

الجزء الرابع عشر (الإمام المهدي «ع»)

الفهرس الاجمالي

مقدمة المجمع العالمي لأهل بيت ٧

الباب الأول:

الفصل الأول: الإمام المهدي المنتظر عليه السلام في سطور ١٧

الفصل الثاني: المهدي الموعود و غيبته في بشارات الأديان ٢١

الفصل الثالث: المهدي الموعود و غيبته في القرآن الكريم ٥٣

الفصل الرابع: المهدي الموعود و غيبته في المتفق عليه من السنة ٧٧

الباب الثاني:

الفصل الأول: نشأة الامام المهدي المنتظر عليه السلام ١٠٩

الفصل الثاني: مراحل حياة الامام المهدي المنتظر عليه السلام ١١٩

الفصل الثالث: الامام المهدي المنتظر في ظل أبيه عليهما السلام ١٢١

الباب الثالث:

الفصل الأول: الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام ١٢٧

الفصل الثاني: أسباب الغيبة الصغرى و التمهيد لها ١٣٥

الفصل الثالث: إنجازات الإمام المهدي عليه السلام في الغيبة الصغرى. ١٤٧

الباب الرابع:

الفصل الأول: الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام و أسبابها ١٦٣

الفصل الثاني: إنجازاته في الغيبة الكبرى ١٧٣

الفصل الثالث: تكاليف عصر الغيبة الكبرى ١٨٣

الباب الخامس:

الفصل الأول: علائم ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام ١٩٩

الفصل الثاني: سيرة الإمام المهدي عليه السلام عند الظهور ٢٠٧

الفصل الثالث: قبسات من تراث الإمام المهدي عليه السلام ٢٣١

ص:٧

[مقدمة المجمع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداة لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء و سيد الرسل و الأصفياء أبو القاسم المصطفى محمد (صلى الله عليه و آله) و على آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الإنسان و زوده بعنصرى العقل و الإرادة، فبالعقل يبصر و يكتشف الحق و يميزه عن الباطل، و بالإرادة يختار ما يراه صالحا له و محققا لأغراضه و أهدافه.

و قد جعل الله العقل المميز حجة له على خلقه، و أعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنه هو الذى علم الإنسان ما لم يعلم، و أرشده إلى طريق كماله اللائق به، و عرفه الغاية التى خلقه من أجلها، و جاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

و أوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربانية و آفاقها و مستلزماتها و طرقها، كما بين لنا عللها و أسبابها من جهة، و أسفر عن ثمارها و نتائجها من جهة أخرى.

قال تعالى:

ص:٨

قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى [الأنعام (٦): ٧١].

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [البقرة (٢): ٢١٣].

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ [الأحزاب (٣٣): ٤].

وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [آل عمران (٣): ١٠١].

قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ [يونس (١٠): ٣٥].

وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [سبا (٣٤): ٦].

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ [القصص (٢٨): ٥٠].

فالله تعالى هو مصدر الهداية . و هدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الصراط المستقيم و إلى الحق القويم.

و هذه الحقائق يؤيدها العلم و يدركها العلماء و يخضعون لها بملء وجودهم.

و لقد أودع الله فى فطرته الإنسان النزوع إلى الكمال و الجمال ثم منّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، و أسبغ عليه نعمة التعرف على طريق الكمال، و من هنا قال تعالى: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** [الذاريات (٥١): ٥٦].

و حيث لا تتحقق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، صارت المعرفة و العبادة طريقا منحصرا و هدفا و غاية موصلة إلى قمة الكمال.

و بعد أن زود الله الإنسان بطاقتي الغضب و الشهوة ليوفر له وقود الحركة نحو الكم ال؛ لم يؤمن عليه من سيطرة الغضب و الشهوة و الهوى الناشئ منهما، و الملازم لهما. فمن هنا احتاج الإنسان - بالإضافة إلى عقله و سائر

ص:٩

أدوات المعرفة - الى ما يضمن له سلامة البصيرة و الرؤية؛ كى تتمّ عليه الحجّة، و تكمل نعمة الهداية، و تتوفر لديه كلّ الأساليب التى تجعله يختار طريق الخير و السعادة، أو طريق الشرّ و الشقاء بملء إرادته.

و من هنا اقتضت سنّة الهداية الربّانية أن يسند عقل الإنسان عن طريق الوحي الإلهي، و من خلال الهداء الذين اختارهم الله لتولّى مسؤوليّة هداية العباد، و ذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة و إعطاء الإرشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

و قد حمل الأنبياء و أوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ و على مدى العصور و القرون، و لم يترك الله عباده مهملين دون حجّة هادية و علم مرشد و نور مضيء، كما أفصحت نصوص الوحي - مؤيّدة لدلائل العقل - بأنّ الأرض لا تخلو من حجّة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق، و لو لم يبق فى الأرض إلّا اثنان؛ لكان أحدهما الحجّة. و صرّح القرآن - بشكل لا يقبل الريب - قائلا:

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد (١٣): ٧].

و يتولّى أنبياء الله و رسله و أوصياؤهم الهداء المهديون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، و التى تتلخّص فى:

١ - تلقى الوحي بشكل كامل و استيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة.

و هذه المرحلة تتطلب الاستعداد التام لتلقى الرسالة، و من هنا يكون ا لاصطفاء الإلهي لرسله شأنًا من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلا:

اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ [الأنعام (٦): ١٢٤] وَاللَّهُ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ [آل عمران (٣): ١٧٩].

ص: ١٠

٢- إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية و لمن ارسلوا إليه، و يتوقف الإبلاغ على الكفاءة التامة التي تتمثل في «الاستيعاب و الإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة و أهدافها و متطلباتها، و «العصمة» عن الخطأ و الانحراف معا، قال تعالى : **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** [البقرة (٢): ٢١٣].

٣- تكوين امة مؤمنة بالرسالة الإلهية، و إعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها و تطبيق قوانينها في الحياة، و قد صرحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمة مستخدمة عنواني التزكية و التعليم، قال تعالى : **يُزَكِّيهِمْ وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ** [الجمعة (٦٢): ٢] و التزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان . و تتطلب التربية القدوة الصالحة التي تتمتع بكل عناصر الكمال، كما قال تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** [الاحزاب (٣٣): ٢١].

٤- صيانة الرسالة من الزيغ و التحريف و الضياع في الفترة المقررة لها، و هذه المهمة أيضا تتطلب الكفاءة العلمية و النفسية. و التي تسمى العصمة.

٥- العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية و تثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد و أركان المجتمعات البشرية و ذلك بتنفيذ الاطروحة الربانية، و تطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيان سياسي يتولى إدارة شؤون الامة على أساس الرسالة الربانية للبشرى، و يتطلب التنفيذ قيادة حكيمة، و شجاعة فائقة، و صمودا كبيرا، و معرفة تامة بالنفوس و طبقات المجتمع و التيارات الفكرية و السياسية و الاجتماعية

ص: ١١

و قوانين الإدارة و التربية و سنن الحياة، و نلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولة عالمية دينية، هذا فضلا عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة الدينية من كل سلوك منحرف أو عمل خاطئ بإمكانه أن يؤثر تأثيرا سلبيا على مسيرة القيادة و انقياد الامة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة و أغراضها.

و قد سلك الأنبياء السابقون و أوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، و اقتحموا سبيل التربية الشاق، و تحمّلوا في سبيل أداء المهام الرسالية كلّ صعب، و قدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدمه الإنسان المتفاني من أجل مبدئه و عقيدته، و لم يتراجعوا لحظة، و لم يتلکؤا طرفه عين.

و قد توجّ الله جهودهم و جهادهم المستمر على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلّى الله عليه و آله) و حمّله الأمانة الكبرى و مسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالبا منه تحقيق أهدافها . و قد خطا الرسول الأعظم (صلّى

اللّٰه عليه و آله) فى هذا الطريق الوعر خطوات مدهشة، و حقّق فى أقصر فترة زمنية أكبر نتاج ممكن فى حساب الدعوات التغييرية و الرسائل الثورية، و كانت حصيلة جهاده و كدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلى:

١- تقديم رسالة كاملة للبشرية تحتوى على عناصر الديمومة و البقاء.

٢- تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ و الانحراف.

٣- تكوين أمة مسلمة تؤمن بالإسلام مبدأ، و بالرسول قائدا، و بالشريعة قانونا للحياة.

ص:١٢

٤- تأسيس دولة إسلامية و كيان سياسىّ يحمل لواء الإسلام و يطبق شريعة السماء.

٥- تقديم الوجه المشرق للقيادة الربّانية الحكيمة المتمثلة فى قيادته (صلّى اللّٰه عليه و آله).

و لتحقيق أهداف الرسالة بشكل كامل كان من الضرورى:

أ- أن تستمرّ القيادة الكفوءة فى تطبيق الرسالة و صيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر.

ب- أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربّ كفوء علميا و نفسيا حيث يكون قدوة حسنة فى الخلق و السلوك كالرسول (صلّى اللّٰه عليه و آله)، يستوعب الرسالة و يجسّدها فى كل حركاته و سكناته.

و من هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتمّ على الرسول (صلّى اللّٰه عليه و آله) إعداد الصفوة من أهل بيته، و التصريح بأسمائهم أدوارهم؛ لتولّى مهمة إدامة الحركة النبوية العظيمة و الهداية الربّانية الخالدة بأمر من اللّٰه سبحانه و صيانته للرسالة الإلهية التى كتب اللّٰه لها الخلود من تحريف الجاهلين و كيد الخائنين، و تربية الأجيال على قيم و مفاهيم الشريعة المباركة التى تولّوا تبين معالمها و كشف أسرارها و ذخائرها على مرّ العصور، و حتى يرث اللّٰه الأرض و من عليها.

و تجلّى هذا التخطيط الربّاني فى ما نصّ عليه الرسول (صلّى اللّٰه عليه و آله) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا: كتاب اللّٰه و عترتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض».

و كان أئمة أهل البيت صلوات اللّٰه عليهم خير من عرفهم النّبي الأكرم (صلّى اللّٰه عليه و آله) بأمر من اللّٰه تعالى لقيادة الأمة من بعده.

ص:١٣

إنّ سيرة الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت (عليهم السّلام) تمثّل المسيرة الواقعية للإسلام بعد عصر الرسول (صلّى اللّٰه عليه و آله)، و دراسة حياتهم بشكل مستوعب تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الإسلام الأصيل الذى أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأمة و وجدانها بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلّى اللّٰه عليه و آله)، فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) يعملون على توعية الأمة و تحريك طاقتها باتجاه إيجاد و تصعيد الوعي الرساليّ للشريعة و

لحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) و ثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكم في سلوك القيادة و الأمة جمعاء.

و تبلورت سيرة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) و انفتاح الأمة عليهم و التفاعل معهم كأعلام للهداية و مصابيح لإنارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكانوا هم الأدلاء على الله لنيل مرضاته، و المستقرين في أمر الله، و التامين في محبته، و الذائبين في الشوق اليه، و السابقين إلى تسلق قمم الكمال الإنساني المنشود.

و قد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد و الصبر على طاعة الله و تحمّل جفاء أهل الجفاء؛ حتى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العز على الحياة مع الذلّ فيها، حتى فازوا بقاء الله سبحانه بعد كفاح عظيم و جهاد كبير.

و لا يستطيع المؤرخون و الكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا سيرتهم العطرة و يدّعوا دراستها بشكل كامل . و من هنا فإنّ محاولتنا هذه إنّما هي إعطاء قبسات من سيرتهم، و سلوكهم و مواقفهم التي دونها المؤرخون، و استطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة و التحقيق، عسى الله

ص: ١٤

أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السّلام) الرسالية تبده برسول الإسلام و خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) و تنتهي بخاتم الأوصياء، محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه و أنار الأرض بعدله.

و يختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام المنتظر محمد بن الحسن المهدي الذي وعد الله به الامم أن يملأ به الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً.

و لا بدّ لنا من ذكر كلمة شكر لكلّ العاملين الذين بذلوا جهداً في إخراج هذا المشروع، لا سيما لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

نشكر الله تعالى على التوفيق العظيم الذي منّ به علينا لانجاز هذه الموسوعة المباركة إنّ نعم المولى و نعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السّلام)

قم المقدسة

ص: ١٥

الباب الأول و فيه فصول:

الفصل الأول:

الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني:

المهدي الموعود و غيبته في بشارات الأديان

الفصل الثالث:

المهدي الموعود و غيبته في القرآن الكريم

الفصل الرابع:

المهدي الموعود و غيبته في المتفق عليه من السنّة

ص: ١٧

الفصل الأول الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) في سطور

إنّ قضية الإمام المهدي المنتظر الذي بشرّ به الإسلام و بشرّت به الأديان من قبل، قضية انسانية قبل أن تكون دينية أو إسلامية؛ فإنها تعبير دقيق عن ضرورة تحقق الطموح الإنساني بشكله التام.

و قد تميّز مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بالاعتقاد بالإمامة محمّد بن الحسن المهدي (عليه السلام) الذي ولد في سنة ٢٥٥ هـ، و استلم زمام الأمر و تصدى لمسؤولياته القيادية سنة ٢٦٠ هـ و هو الآن حي يرزق يقوم بمهامّه الرسالية من خلال متابعته الأحداث فهو يعاصر التطورات و يرقب الظروف التي لا بد من تحقيقها كي يظهر الى العالم الإنساني بعد أن تستنفذ الحضارات الجاهلية كل ما لديها من قدرات و طاقات، و تفتتح البشرية بعقولها و قلوبها لتلقّي الهدى الإلهي من خلال قائد ربّاني قادر على قيادة العالم أجمع، كما يريدّه الله له.

و هذا الإمام الثاني عشر هو من أهل البيت الذين نصّ الرسول الأعظم (صلّى الله عليه و آله) على إمامتهم و بشرّ بهم و بمستقبلهم امته . و قد تحقّقت ولادته في ظروف حرجة جدا لم تكن لتسمح بالاعلان العام عن ولادته، و لكنّ أباه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) و عدّة من أهل بيته و أقربائه كحكيمة و نسيم و غيرهما قد شهدوا ولادته و أعلنوا فرحهم و سرورهم بذلك. و أطلع شيعته

ص: ١٨

و اتباعه على ولادته و حياته و أنه إمامهم الثاني عشر الذي بشر به خاتم الرسل (صلى الله عليه و آله) و تبعه نشاط الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه طيلة خمس سنوات من أجوبة المسائل و الحضور في الأماكن الخاصة التي كان يؤمن فيها عليه من ملاحقة السلطة، و بعد استشهاد أبيه، أقام الأدلة القاطعة على وجوده حتى استطاع أن يبدد الشكوك حول ولادته و وجوده و إمامته و يمسك بزمام الامور و يقوم بالمهام الكبرى و هو في مرحلة الغيبة الصغرى كل ذلك في خفاء من عيون الحكام و عمالهم.

و استمر بالقيام بمهامه القيادية في مرحلة الغيبة الكبرى بعد تمهيد كاف لها و تعيينه لمجموعة الوظائف و المهام القيادية للعلماء بالله، الامناء على حاله و حرامه ليكونوا نوابه على طول خط الغيبة الكبرى و ليقوموا بمهام المرجعية الدينية في كل الظروف التي ترافق هذه المرحلة حتى تتوفر له مقدمات الظهور للاصلاح الشامل الذي وعد الله به الامم.

لقد بدأت غيبته الكبرى سنة (٣٢٩ هـ) و لا زالت هذه الغيبة مستمرة حتى عصرنا هذا.

و قد مارس الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليه السلام) خلال مرحلة الغيبة الصغرى نشاطا مكثفا و هو مستتر عن عامة أتباعه لتثبيت موقعه كإمام مفترض الطاعة، و أنه الذي ينبغي للامة أن تنتظر خروجه و قيامه حين تتوفر الظروف الملائمة لثورته العالمية الشاملة.

و قد واصل الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) ارتباطه بأتباعه من خلال نوابه الأربعة خلال مرحلة الغيبة الصغرى، غير أنها انتهت قبل أن تكتشف السلطة محل تواجد الامام و نشاطه، و انقطعت الامة عن الارتباط بوكلائه عند اعلانه انتهاء الغيبة الصغرى، و بقي يمارس مهامه القيادية و ينفع الامة كما تنتفع

ص: ١٩

بالشمس إذا ظللها السحاب.

و قد ترك الإمام المهدي المنتظر (عليه السلام) للامة الإسلامية خلال مرحلة الغيبة الصغرى، تراثا غنيا لا يمكن التغافل عنه.

و هو لا يزال يمارس ما يمكنه من مهامه القيادية خلال مرحلة الغيبة الكبرى . و هو ينتظر مع سائر المنتظرين اليوم الذي يسمح له الله سبحانه فيه أن يخرج و يقوم بكل استعداداته و طاقاته التي أعدها و هيأها الله له ليملا الأرض عدلا بعد أن تملأ ظلما و جورا . و ذلك بعد أن تنهيا كل الظروف الموضوعية اللازمة من حيث العدد و العدة، و سائر الظروف العالمية التي ستمهد لخروجه و ظهوره كقائد رباني عالمي، و تفجير ثورته الإسلامية الكبرى، و تحقيق أهداف الدين الحق و ذلك حين ظهوره على الدين كله و لو كره المشركون.

ص: ٢١

الفصل الثاني المهدي الموعود (عليه السلام) و غيبته في بشارات الأديان

عراقة الإيمان بالمصلح العالمي

يعتبر الايمان بحتمية ظهور المصلح الدينى العالمى و إقامة الدولة الإلهية العادلة فى كل الأرض من نقاط الاشتراك البارز ة بين جميع الأديان^١، و الاختلاف فيما بينها إنما هو فى تحديد هوية هذا المصلح الدينى العالمى الذى يحقق جميع أهداف الأنبياء (عليهم السّلام).

و قد استعرض الدكتور محمد مهدى خان فى الأبواب الستة الاولى من كتابه «مفتاح باب الأبواب» آراء الأديان الستة المعروفة بشأن ظهور النبى الخاتم (صلى الله عليه و آله) ثم بشأن المصلح العالمى المنتظر و بين أن كل دين منها بشر بمجىء هذا المصلح الإلهى فى المستقبل أو فى آخر الزمان ليصلح العالم و ينهى الظلم و الشر و يحقق السعادة المنشودة للمجتمع البشرى^٢. كما تحدث عن ذلك الميرزا محمد الاستربادى فى كتابه «ذخيرة الأبواب» بشكل تفصيلى، و نقل طرفا من نصوص و بشارات الكثير من الكتب

(١) راجع مثلاً كتاب آية الله الشيخ محمد أمين زين الدين، مع الدكتور أحمد أمين فى حديث المهدي و المهدوية: ١٣.

(٢) ملحقات إحقاق الحق لآية الله المرعشى النجفى، ٢٩: ٦٢١-٦٢٢.

ص: ٢٢

الساوية لمختلف الأقوام بشأنه.

و هذه الحقيقة من الواضحات التى أقرّ بها كل من درس عقيدة المصلح العالمى حتى الذين أنكروا صحتها أو شككوا فيها كـ بعض المستشرقين مثل جولد زيهر المجرى فى كتابه «العقيدة و الشريعة فى الإسلام»^٣، فاعترفوا بأنها عقيدة عريقة للغاية فى التاريخ الدينى وجدت حتى فى القديم من كتب ديانات المصريين و الصينيين و المغول و البوذيين و المجوس و الهنود و الأحباش فضلا عن الديانات الكبرى الثلاث: اليهودية و النصرانية و الإسلامية^٤.

البشارات بالمنقذ فى الكتب المقدسة

و الملاحظ فى عقائد هذه الأديان بشأن المصلح العالمى أنها تستند الى نصوص واضحة فى كتبهم المقدسة القديمة و ليس الى تفسيرات عرضها علماءهم لنصوص غامضة حمالة لوجوه تأويلية متعددة^٥.

و هذه الملاحظة تكشف عراقة هذه العقيدة و كونها تمثل أصلا مشتركا فى دعوات الأنبياء - صلوات الله عليهم -، حيث ان كل دعوة نبوية - و على الأقل الدعوات الرئيسة و الكبرى - تمثل خطوة على طريق التمهيد لظهور المصلح الدينى العالمى الذى يحقق أهداف هذه الدعوات كافة^٦.

^١ (١) راجع مثلاً كتاب آية الله الشيخ محمد أمين زين الدين، مع الدكتور أحمد أمين فى حديث المهدي و المهدوية: 13.

^٢ (٢) ملحقات إحقاق الحق لآية الله المرعشى النجفى، 29: 621-622.

^٣ (١) العقيدة و الشريعة فى الإسلام 218 حيث وصفها بأنها من الأساطير ذات الجذور غير الإسلامية لكنه قال أيضا باتفاق كلمة الأديان عليها، المصدر: 192، و الإنكار الحديث للفكرة مصدره المستشرقون و تابعهم بعض المتأثرين بهم من المسلمين أمثال أحمد أمين

^٤ (٢) راجع أيضا الإمامة و قائم القيامة للدكتور مصطفى غالب 270.

^٥ (٣) راجع النصوص الخاصة بالمهدي الموعود من كتاب «بشارات عهدين» للشيخ محمد الصادقي.

(١) العقيدة و الشريعة في الإسلام: ٢١٨ حيث وصفها بأنها من الأساطير ذات الجذور غير الإسلامية لكنه قال أيضا باتفاق كلمة الأديان عليها، المصدر : ١٩٢، و الإنكار الحديث لفكرة مصدره المستشرقون و تابعهم بعض المتأثرين بهم من المسلمين أمثال أحمد أمين.

(٢) راجع أيضا الإمامة و قائم القيامة للدكتور مصطفى غالب: ٢٧٠.

(٣) راجع النصوص الخاصة بالمهدي الموعود من كتاب «بشارات عهدين» للشيخ محمد الصادق.

(٤) لمعرفة تفصيلات هذا التمهيد يراجع كتاب تأريخ الغيبة الكبرى للسيد الشهيد محمد الصدر رحمه الله، في حديثه عن التخطيط الإلهي لليوم الموعود قبل الإسلام: ٢٥١ و ما بعدها.

ص: ٢٣

كما أن للتبشير بحتمية ظهور هذا المصلح العالمي تأثيرا على هذه الدعوات فهو يشكل عامل دفع لاتباع الأنبياء للتحرك باتجاه تحقيق أهداف رسالتهم و السعى للمساهمة في تأهيل المجتمع البشرى لتحقيق أهداف جميع الدعوات النبوية كاملة في عصر المنقذ الدني العالمى.

و لذلك كان التبشير بهذه العقيدة عنصرا أصيلا في نصوص مختلف الديانات و الدعوات النبوية.

رسوخ الفكرة في الديانتين اليهودية و النصرانية

إن الإيمان بفكرة ظهور المصلح ثابت عند اليهود مدون في التوراة و المصادر الدينية المعتمدة عندهم، و قد فصل الحديث عن هذه العقيدة عند اليهود كثير من الباحثين المعاصرين خاصة في العالم الغربى مثل جورج رذرفورد في كتابه «ملايين من الذين هم أحياء اليوم لن يموتوا أبدا»، و السناتور الأمريكى بول منزلى في كتابه (من يجرؤ على الكلام) و الباحثة غريس هالسل في كتابها «النبوءة و السرياسة». و غيرهم كثير^٦.

فكل من درس الديانة اليهودية التفت الى رسوخ هذه العقيدة فيها.

و النماذج التى ذكرناها آنفا من هذه الدراسات اختصت بعرض هذه العقيدة بالذات عند اليهود و الآثار السياسية التى أفرزتها نتيجة لتحرك اليهود انطلاقا من هذه العقيدة، و فى القرون الأخرى خاصة بهدف الاستعداد لظهور المنقذ العالمى الذى يؤمنون به.

و سبب هذا التحرك هو أن عقيدة اليهود فى هذا المجال تشتمل على تحديد زمنى لبدء مقدمات ظهور المنقذ العالمى؛ الذى يبدأ من عام (١٩١٤) للميلاد - و هو عام تفجر الحرب العالمية الاولى كما هو معروف -، ثم عودة

^٦ (4) لمعرفة تفصيلات هذا التمهيد يراجع كتاب تأريخ الغيبة الكبرى للسيد الشهيد محمد الصدر رحمه الله، في حديثه عن التخطيط الإلهي لليوم الموعود قبل الإسلام: 251 و ما بعدها.
^٧ (1) راجع أيضا أهل البيت في الكتاب المقدس، احمد الواسطي 121- 123.

(١) راجع أيضا أهل البيت في الكتاب المقدس، احمد الواسطي: ١٢١-١٢٣.

ص: ٢٤

الشتات اليهودي الى فلسطين و إقامة دولتهم التي يعتبرونها من المراحل التمهيدية المهمة لظهور المنقذ الموعود، و يعتقدون بأن العودة الى فلسطين هي بداية المعركة الفاصلة التي تنهى وجود الشر في العالم و يبدأ حينئذ حكم الملكوت في الأرض لتصبح الأرض فردوساً^٨.

و بغض النظر عن مناقشة صحة ما ورد من تفاصيل في هذه العقيدة عند اليهود، إلّا أن المقدار الثابت هو أنها فكرة متأصلة في تراثهم الديني و بقوة بالغة مكّنت اليهودية- من خلال تحريف تفصيلاتها و مصاديقها- أن تقيم على أساسها تحركا استراتيجيا طويل المدى و طويل النفس، استقطبت له الطاقات اليهودية المتباينة الأفكار و الاتجاهات، و نجحت في تجميع جهودها و تحريكها باتجاه تحقيق ما صوّره قادة اليهودية لأتباعهم بأنه مصداق التمهيد لظهور المنقذ الموعود.

و واضح أنّ الايمان بهذه العقيدة لو لم يكن راسخا و مستندا الى جذور عميقة في التراث الديني اليهودي لما كان قادرا على إيجاد مثل هذا التحرك الدؤوب و من مختلف الطاقات و الاتباع، فمثل هذا لا يتأتى من فكرة عارضة أو طارئة لا تستند الى جذور راسخة مجمع عليها.

كما آمن النصارى بأصل هذه الفكرة استنادا الى مجموعة من الآيات و البشارات الموجودة في الإنجيل و التوراة . و يصرح علماء الإنجيل بالايمان بحتمية عودة عيسى المسيح في آخر الزمان ليقود البشرية في ثورة عالمية كبرى يعم بعدها الأمن و السلام كل الأرض كما يقول القس الالماني فندر في كتابه «ميزان الحق»^٩ و أنه يلجأ الى القوة و السيف لإقامة الدولة العالمية العادلة. و هذا هو الاعتقاد السائد لدى مختلف فرق النصارى.

(١) صحيفة العهد اللبنانية العدد: ٦٨٥، مقال تحت عنوان «حركة شهود يهوه، النشأة، التنظيم، المعتقد».

(٢) بشارت عهدين: ٢٦١، نقلا عن كتاب ميزان الحق للقس الالماني فندر: ٢٧١.

ص: ٢٥

الإيمان بالمصلح العالمي في الفكر غير الديني

الملاحظ أنّ الايمان بحتمية ظهور المصلح العالمي و دولته العادلة التي تضع فيها الحرب أوزارها و يعم السلام و العدل في العالم لا يختص بالأديان السماوية بل يشمل المدارس الفكرية و الفلسفية غير الدينية أيضا . فنجد في التراث الفكري الإنساني الكثير من التصريحات بهذه الحتمية، فمثلا يقول المفكر البريطاني الشهير برتراند رسل : «إن العالم في انتظار

^٨ (١) صحيفة العهد اللبنانية العدد: 685، مقال تحت عنوان «حركة شهود يهوه، النشأة، التنظيم، المعتقد».

^٩ (٢) بشارت عهدين: 261، نقلا عن كتاب ميزان الحق للقس الالماني فندر: 271.

مصلح يوحد تحت لواء واحد و شعار واحد»^{١٠}. و يقول العالم الفيزيائي المعروف ألبرت اينشتاين صاحب النظرية النسبية: «إن اليوم الذي يسود العالم كله فيه السلام و الصفاء و يكون الناس متحابين متآخين ليس بعيد»^{١١}.

و أدق و أصرح من هذا و ذاك ما قاله المفكر الايرلندي المشهور برناردشو و، فقد بشر بصراحة بحتمية ظهور المصلح و بلزوم أن يكون عمره طويلا يسبق ظهوره؛ بما يقترب من عقيدة الإمامية في طول عمر الإمام المهدي (عليه السلام)؛ و يرى ذلك ضروريا لإقامة الدولة الموعودة، قال في كتابه «الانسان السوبرمان» - و حسب ما نقله عنه الدكتور عباس محمود العقاد في كتابه عن برناردشو - في وصف المصلح بأنه: «إنسان حي ذو بنية جسيديّة صحيحة و طاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الانسان الأدنى بعد جهد طويل، و أنه يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائة سنة و يستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور و ما استجمعه من أطوار حياته الطويلة»^{١٢}.

(١) المهدي الموعود و دفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستاني: ٦.

(٢) المهدي الموعود و دفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستاني: ٧.

(٣) برناردشو، للاستاذ عباس محمود العقاد: ١٢٤-١٢٥، و علق الاستاذ العقاد على كلمة برناردشو بالقول:-

ص: ٢٦

طول عمر المصلح في الفكر الانساني

إن الأوصاف التي يذكرها المفكر الايرلندي للمصلح العالمي من الكمال الجسمي و العقلي و طول العمر و القدرة على استجماع خبرات العصور و الأطوار بما يمكنه من انجاز مهمته الاصلاحية الكبرى قريبة من الأوصاف التي يعتقد بها مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) و غيبته.

و قضية طول العمر في هذا المصلح العالمي التي أكد ضرورتها برناردشو؛ تشير الى إدراك الفكر الإنساني لضرورة أن يكون المصلح العالمي مستجمعا عند ظهوره لتجارب العصور لكي يكون قادرا على إنجاز مهمته^{١٣}، و هذه الثمرة متحصلة من غيبة غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) الطويلة حسب عقيدة الإمامية الاثني عشرية، و لكن الفرق هو أن عقيدتنا في الإمام المعصوم تقول بأنه مستجمع منذ البداية لهذه الخبرة و الثمار المرجوة من طول عمره، فهو (عليه السلام) مؤهل بدءا لأداء مهمته الاصلاحية الكبرى و مسدد إلهيا لإنجازها، قادر عليها متى ما تهيأت الأوضاع الملائمة لظهوره . و أن طول الغيبة يؤدي الى اكتساب أنصاره و المجتمع البشري و اقتطافهم لهذه الثمار فيستجمعونها جيلا بعد آخر^{١٤}.

^{١٠} (1) المهدي الموعود و دفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستاني: 6.

^{١١} (2) المهدي الموعود و دفع الشبهات عنه، للسيد عبد الرضا الشهرستاني: 7.

^{١٢} (3) برناردشو، للاستاذ عباس محمود العقاد: 124-125، و علق الاستاذ العقاد على كلمة برناردشو بالقول:- «يلوح لنا أن سوبرمان شو ليس بالمستحيل، و أن دعوته لا تخلو من حقيقة» ثابتة»، نقلا عن كتاب المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي: 9، و قد نقلها عن العقاد الشيخ محمد حسن آل ياسين في كتابه المهدي المنتظر بين التصور و التصديق: 81.

^{١٣} (1) راجع توضيح هذه النقطة في البحث القيم الذي كتبه آية الله الامام الشهيد الصدر حول المهدي

41-48، ط 3 دار التعارف.

^{١٤} (2) لمزيد من التوضيح راجع تأريخ الغيبة الكبرى 276 و ما بعدها.

- «يلوح لنا أن سوبرمان شو ليس بالمستحيل، وأن دعوته لا تخلو من حقيقة» «ثابتة»، نقلا عن كتاب المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي: ٩، وقد نقلها عن العقاد الشيخ محمد حسن آل ياسين في كتابه المهدي المنتظر بين التصور والتصديق : ٨١.

(١) راجع توضيح هذه النقطة في البحث القيم الذي كتبه آية الله الامام الشهيد الصدر حول المهدي:

٤١- ٤٨، ط ٣ دار التعارف.

(٢) لمزيد من التوضيح راجع تأريخ الغيبة الكبرى: ٢٧٦ و ما بعدها.

ص: ٢٧

الإيمان بالمهدي (عليه السلام) تجسيد لحاجة فطرية

إنّ ظهور الإيمان بفكرة حتمية ظهور المنقذ العالمي في الفكر الإنساني عموما يكشف عن وجود أسس متينة قوية تستند إليها تنطلق من الفطرة الانسانية، بمعنى أنها تعبّر عن حاجة فطرية عامة يشترك فيها بنو الانسان عموما، وهذه الحاجة تقوم على ما جبل عليه الإنسان من تطلّع مستمر للكمال بأشمل صور ه وأن ظهور المنقذ العالمي وإقامة دولته العادلة في اليوم الموعود يعبر عن وصول المجتمع البشري الى كماله المنشود.

يقول العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر (قدّس سرّه): «ليس المهدي (عليه السلام) تجسيدا لعقيدة إسلامية ذات طابع ديني فحسب، بل هو عنوان لظموح اتجهت إليه البشرية بمختلف أديانها ومذاهبها، وصياغة لإلهام فطري أدرك الناس من خلاله - على تنوع عقائدهم و وسائلهم الى الغيب - أن للانسانية يوما موعودا على الأرض تحقق فيه رسالات السماء مغزاها الكبير و هدفها النهائي، و تجد فيه المسيرة المكدودة للإنسان على مرّ التأريخ استقرارها و طمأنينتها بعد عناء طويل.

بل لم يقتصر هذا الشعور الغيبي، و المستقبل المنتظر على المؤمنين دينيا بالغيب، بل امتد الى غيرهم أيضا و انعكس حتى على أشد الايدولوجيات والاتجاهات رفضا للغيب، كالمادية الجدلية التي فسرت التاريخ على أساس التناقضات و آمنت بيوم موعود، تصفّى فيه كل تلك التناقضات و يسود فيه الوئام و السلام.

و هكذا نجد أن التجربة النفسية لهذا الشعور و التي مارستها الإنسانية على مرّ الزمن من أوسع التجارب النفسية و أكثرها عموما

ص: ٢٨

بين بنى الانسان»^{١٥}.

^{١٥} (1) بحث حول المهدي: 7-8.

إذن فالإيمان بالفكرة التي يجسدها المهدي الموعود هي من أكثر و أشد الأفكار انتشارا بين بنى الانسان كافة لأنها تستند الى فطرة التطلع للكمال بأشمل صورته، أى أنها تعبّر عن حاجة فطرية، و لذلك فتحققها حتمى؛ لأن الفطرة لا تطلب ما هو غير موجود كما هو معلوم.

موقف الفكر الانساني من غيبة المهدي (عليه السّلام)

إنّ الفكر الانساني لا يرى مانعا من طول عمر هذا المصلح العالمي الذي يتضمنه الإيمان بغيبته وفقا لمذهب أهل البيت (عليه السّلام)، بل يرى طول عمره أمرا ضروريا للقيام بمهمته الإصلاحية الكبرى كما لاحظنا في كلام المفكر الإيرلندي برناردشو. و عليه فالفكر الانساني العام لا يرفض مبدئيا الإيمان بالغيبة إذا كانت الأدلة المثبتة لها مقبولة عقليا.

و قد تناول العلماء ايضا الإمكان العقلي لطول عمر الإمام المهدي و عدم تعارضه مع أى واحد من القوانين العقلية، كما فعل الشيخ المفيد في كتابه «الفصول العشرة في الغيبة» و السيد المرتضى في رسالته «المقنع في الغيبة» و العلامة الكراجكي في رسالته «البرهان على طول عمر إمام الزمان (عليه السّلام)» التي تضمنها كتابه كنز الفوائد في جزئه الثاني، و الشيخ الطبرسي في «اعلام الوري»، و السيد الصدر في بحثه عن المهدي و غيرهم كثير، بل قلّما يخلو كتاب من كتب الغيبة عن مناقشة هذا الموضوع و الاستدلال عليه.

(١) بحث حول المهدي: ٧- ٨.

ص: ٢٩

الفكر الديني يؤمن بظهور المصلح العالمي بعد غيبة

إن الإجماع على حتمية ظهور المصلح العالمي مقترن بالإيمان بأن ظهوره يأتي بعد غيبة طويلة، فقد آمن اليهود بعودة عزير أو منحاس بن العازر بن هارون، و آمن النصارى بغيبة المسيح و عودته، و ينتظر مسيحيو الأحباش عودة ملكهم تيودور كمهدي في آخر الزمان، و كذلك الهنود آمنوا بعودة فيشنوا، و المجوس بحياء أو شيدر، و ينتظر البوذيون عودة بودا و منهم من ينتظر عودة ابراهيم (عليه السّلام) و غير ذلك^{١٤}.

إذن قضية الغيبة قبل ظهور المصلح العالمي ليست مستغربة لدى الأديان السماوية، و لا يمكن لمنصف أن يقول بأنها كلّها قائمة على الخرافات و الأساطير، فالخرافات و الأساطير لا يمكن أن توجد فكرة متأصلة بين جميع الأديان دون أن ينكر أى من علمائها أصل هذه الفكرة، فلم ينكر أحد منهم أصل فكرة الغيبة و إن أنكر مصداق الغائب المنتظر في غير الدين الذي اعتنقه و آمن بالمصداق الذي ارتضاه.

إنّ انتشار أصل هذه الفكرة في جميع الأديان السماوية كاشف عن أرضية اعتقادية مشتركة رسخها الوحي الإلهي فيها جميعا، و دعمتها تجارب الأنبياء (عليهم السّلام) التي شهدت غيبات متعددة مثل غيبة ابراهيم الخليل و عودته، و غيبة موسى عن بنى اسرائيل و عودته اليهم بعد السنين التي قضاها في مدين، و غيبة عيسى (عليه السّلام) و عودته في آخر

^{١٤} (١) راجع مثلا كتاب «دفاع عن الكافي» للسيد العميدي: 1/ 181، و إحقاق الحق: 3/ 13- 4.

الزمان التي أقرتها الآيات الكريمة و اتفق عليها المسلمون من خلال ورودها في الأحاديث النبوية الشريفة، و غيبة نبي الله إلیاس التي قال بها أهل السنة كما صرح بذلك مفتي

(١) راجع مثلاً كتاب «دفاع عن الكافي» للسيد العميدى: ١ / ١٨١، و إحقاق الحق: ١٣ / ٣ - ٤.

ص: ٣٠

الحرمين الكنجي الشافعي في الباب الخامس و العشرين من كتابه «البيان في أخبار صاحب الزمان»، و صرح كذلك بإيمان أهل السنة بغيبة الخضر (عليه السلام) و هي مسفرة الى ظهور المهدي (عليه السلام) في آخر الزمان حيث يكون وزيره^{١٧}.

بل إن انتشار فكرة غيبة المصلح العالمي في الأديان السابقة قد تكون مؤشرا على وجود نصوص سماوية صريحة بذلك كما سنلاحظ ذلك في نموذج النبوة الواردة في سفر الرؤيا من الكتاب المقدس و التي طبقها الب احث السني سعيد أيوب على المهدي الإمامي.

أما الاختلاف في تشخيص هوية المصلح الغائب فهو ناشئ من الخلط بين النصوص المخبرة عن غيبات بعض الانبياء (عليهم السلام) و بين النصوص المتحدثة عن غيبة المصلح العالمي، بدوافع عديدة سنشير إليها لاحقا.

الاختلاف في تشخيص هوية المنقذ العالمي

إذن فالإجماع قائم في الأديان السماوية على حتمية اليوم الموعود، و كما قال العلامة المتتبع آية الله السيد المرعشي النجفي في مقدمة الجزء الثالث عشر من «إحقاق الحق»: «و ليعلم أن الأمم و المذاهب و الأديان اتفقت كلمتهم - إلّا من شذ و ندر - على مجيء مصلح سماوي إلهي ملكوتي لإصلاح ما فسد من العالم و إزاحة ما يرى من الظلم و الفساد فيه و إنارة ما غشيه من الظلم، غاية الأمر أنه اختلفت كلمتهم بين من يراه عزيزا، و بين من يراه مسيحا، و من يراه خليلا، و من يراه - من المسلمين - من نسل الإمام مولانا أبي محمد ال حسن السبط و من يراه من نسل الإمام مولانا أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد ...».

(١) البيان في أخبار صاحب الزمان: ١٤٩ - ١٥٠.

ص: ٣١

و إذا اختلفت الأديان بل الفرق و المذاهب المتشعبة عنها في تحديد هوية المصلح العالمي رغم اتفاقهم على حتمية ظهوره و على غيبته قبل عودته الظاهرة، فما هو سر هذا الاختلاف؟

^{١٧} (١) البيان في أخبار صاحب الزمان 149- 150.

يبدو أن سبب هذا الاختلاف يرجع الى تفسير النصوص و البشارات السماوية و تأويلها استنادا الى عوامل خارجة عنها و ليس الى تصريحات أو اشارات فى النصوص نفسها، و إلى التأثير العاطفى برموز م عروفة لاتباع كل دين أو فرقة و تطبيق النصوص عليها و لو بالتأويل، بمعنى أن تحديد هوية المصلح الموعود لا ينطلق من النصوص و البشارات ذاتها بل ينطلق من انتخاب شخصية من الخارج و محاولة تطبيق النصوص عليها . يضاف الى ذلك عوامل أخرى سياسية كثيرة لسنا هنا بصدد الحديث عنها، و معظمها واضح معروف فيما يرتبط بالأديان السابقة و فيما يرتبط بالفرق الاسلامية، و محورها العام هو: إن الإقرار بما تحدده النصوص و البشارات السماوية و النبوة نفسها ينسف قناعات لدى تلك الأديان و هذه الفرق يسلبها مبرر بقائها الاستقلالى، و مسوغ إصرارها على عقائدها السالفة.

أما بالنسبة للعامل الأول فنقول : إن النصوص و البشارات السماوية و أحاديث الأنبياء و أوصيائهم (عليهم السلام) بشأن المصلح العالمى تتحدث عن قضية ذات طابع غيبى و هو شخصية مستقبلية و عن دور تاريخى كبير يحقق أعظم إنجاز للبشرية على مدى تاريخها و يحقق فى اليوم الموعود أسمى طموحاتها، و الإنسان بطبعه ميال لتجسيد القضايا الغيبية فى مصاديق ملموسة يحس بها، هذا من جهة . و من جهة أخرى فكل قوم يتعصبون لشريعتهم و رموزهم و ما ينتمون إليه و يميلون أن يكون صاحب هذا الدور التاريخى منهم.

ص: ٣٢

لذا كان من الطبيعى أن يقع الاختلاف فى تحديد هوية المصلح العالمى، لأنّ من الطبيعى أن يسعى أتباع كل دين الى اختيار مصداق للشخصية الغيبية المستقبلية التى تتحدث عنها النصوص و البشارات الثابتة فى مراجعهم المعتبرة و المعتمدة عندهم ممن يعرفون و يحبون من زعمائهم، يدفعهم لذلك التعصب الشعورى أو اللاشعورى لشريعتهم و رموزها، و الرغبة الطبيعية العارمة فى أن يكون لهم افتخار تحقق ذاك الدور التاريخى على يد شخصية تنتمى اليهم أو ينتمون إليها.

الخلط بين البشارات و تأويلها

من هنا أخذت كل طائفة تسعى لتطبيق الصفات التى تذكرها تلك النصوص و البشارات المروية لدى كل منها على الشخصية المحبوبة لديها أو أقرب رموزها الى الصفات المذكورة؛ فإذا وجدت بعض تلك الصفات صريحة فى عدم انطباقه على الشخصية التى اختارتها عمدت الى معالجة الأمر بالتأويل و التلقيق، أو بتغييبها أو تحريفها لتنطبق على من انتخبته سابقا أو الخلط بين النصوص و البشارات السماوية - الواردة بشأن النبى اللاحق أو المنقذ للعالم فى برهة معينة أو المصحح لإنحراف أمة معينة - و بين النصوص و البشارات الخاصة بالحديث عن المصلح العالمى الذى يقيم الدولة العادلة على كل الأرض فى آخر الزمان و يحقق أهداف الأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام) جميعا.

منهج لحل الاختلاف

و حيث اتضح سبب الاختلاف فى تحديد هوية المصلح العالمى؛ أمكن

ص: ٣٣

معرفة سبيل حلّه و التوصل الاستدلالي لمصادقه الحقيقي بصورة علمية سليمة و مقنعة، و يمكن تلخيص مراحلها على النحو التالي:

١- تمييز البشارات و النصوص الخاصة بالمصلح العالمي الموعود في آخر الزمان عن غيرها الواردة بشأن نبي أو وصي معين، استنادا الى دلالات نصوص البشارات نفسها و من مصادرها الأصلية، و كذلك استنادا الى ما تقتضيه المبادئ الأولية المرتبطة بمهام الأنبياء و الأوصياء (عليهم السّلام) و سيرهم و الواقع التاريخي الثابت، و كذلك ما تقتضيه معرفة الثابت من دوره و مهمته الكبرى كمصلح عالمي.

٢- تحديد الصفات و الخصائص التي تحددها النصوص و البشارات نفسها للمصلح الموعود و بصورة مجتمعة و توضيح الصورة التي ترسمها له قبل افتراض سابق لمصادق لها، لكي لا تكون الصورة المرسومة له متأثرة بالمصادق المفترض سلفا.

٣- و بعد اكتمال الصورة التجريدية المستفادة، تبدأ عملية التعرف على الصفات و الخصائص و الحقائق التاريخية المذكورة كمصاديق للمصلح العالمي الموعود، ثم عرضها على الصورة التي ترسمها له نصوص البشارات نفسه ، و المتحصلة من المرحلتين السابقتين، ليتم بذلك تبيان عدم انسجام صفات المصاديق غير الحقيقية مع تلك الصورة و بالتالي التعرف على المصادق الحقيقي من بينها.

المهدي الإمامي و حل الاختلاف

من المؤكد أن البشارات السماوية الواردة في الكتب المقدسة تهدي الى المهدي ا لمنتظر الذي يقول به مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) كما سنشير لذلك

ص: ٣٤

لاحقا، و أثبتته دراسات متعددة في نصوص هذه البشارات^{١٨}.

إذن فالتعريف بعقيدة أهل البيت (عليهم السّلام) في المهدي المنتظر (عليه السّلام) يفتح آفاقا أوسع للاهتمام للمصادق الحقيقي للمصلح العالمي الذي بشرت به كل الديانات طبقا لدلالات نصوص البشارات الواردة في الكتب المقدسة حتى لو كان الايمان الجديد من خلال قناعات أتباع الديانات السابقة.

و كنموذج على تأثير هذا التعريف نشير الى نتيجة تحقيق القاضي جواد الساباطي من أعلام القرن الثاني عشر الهجري، إذ كان في بداية أمره عالما نصرانيا ثم تعرّف على الاسلام و اعتنقه على المذهب السنّي الذي كان أول ما عرف من الفرق الاسلامية، و ألف كتابه المعروف «البراهين الساباطية» في ردّ النصارى و إثبات نسخ شرائعهم؛ استنادا الى ما ورد في نصوص كتبهم المقدسة^{١٩}.

^{١٨} (1) نظير كتاب بشارات عهدين للشيخ محمد الصادقي و ترجمته العربية بقلم المؤلف نفسه المطبوع باسم « البشارات و المقارنات». و مثله بالفارسية : بشارات صحف آسماني به ظهور حضرت مهدي (عليه السّلام) لعلي أكبر شعفي اصفهاني، و العربية: المهدي المنتظر و العقل لمحمد جواد مغنية

^{١٩} (2) كشف الأستار للميرزا حسن النوري 84، و أولى منه كتاب كبير في ست مجلدات بعنوان أنيس الأعلام في نصره الإسلام لعالم نصراني أرميني كبير اعتنق الإسلام على مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) و كتب ذلك الكتاب بالفارسية استجابة لاقتراح علماء الإسلام، من أواخر القرن

تناول القاضى الساباطى إحدى البشارات الواردة فى كتاب أشعيا من العهد القديم من الكتاب المقدس بشأن المصلح العالمى، ثم ناقش تفسير اليهود و النصارى لها و دحض تأويلات اليهود و النصارى لها ليخلص الى

(١) نظير كتاب بشارات عهدين للشيخ محمد الصادقى و ترجمته العربية بقلم المؤلف نفسه المطبوع باسم:

«البشارات و المقارنات». و مثله بالفارسية: بشارات صحف آسمانى به ظهور حضرت مهدي (عليه السلام) لعلى أكبر شعى اصفهانى، و العربية: المهدي المنتظر و العقل لمحمد جواد مغنية.

(٢) كشف الأستار للميرزا حسن النورى : ٨٤، و أولى منه كتاب كبير فى ست مجلدات بعنوان : أنيس الأعلام فى نصره الإسلام. لعالم نصرانى أرمينى كبير اعتنق الإسلام على مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و كتب ذلك الكتاب بالفارسية استجابة لاقتراح علماء الإسلام، من أواخر القرن الثانى عشر و أوائل الثالث عشر، سيأتى ذكره آنفا باسم الشيخ محمد صادق فخر الإسلام، و هذا ما لقّبه به علماء اصفهان يومئذ تقديرا لجهوده فى مجلدات كتابه القيم.

ص: ٣٥

قوله: «و هذا نصّ صريح فى المهدي - رضى الله عنه - حيث أجمع المسلمون انه (رضى الله عنه) لا يحكم بمجرد السمع و الظاهر، و مجرد البينة بل لا يلاحظ إلا الباطن، و لم يتفق ذلك لأحد من الأنبياء و الأولياء».

ثم يقول بعد تحليل النص: «... و قد اختلف المسلمون فى المهدي، فأما أصحابنا من أهل السنة و الجماعة قالوا : إنه رجل من أولاد فاطمة (عليها السلام)، اسمه محمد و اسم أبيه عبد الله و اسم امه آمنه.

و قال الإماميون: بل هو محمد بن الحسن العسكرى الذى ولد سنة خمس و خمسين و مائتين من جارية للحسن العسكرى (عليه السلام) اسمها نرجس فى (سرّ من رأى) فى عصر المعتمد ثم غاب سنة^{٢٠} ثم ظهر ثم غاب و هى الغيبة الكبرى و لا يرجع بعدها إلا حين يريد الله تعالى .

و لما كان قولهم أقرب لما يتناوله هذا النص و إن هدفى الدفاع عن أمة محمد (صلّى الله عليه و آله) مع قطع النظر عن التعصب لمذهب؛ لذلك ذكرت لك أن ما يدعيه الإمامية يتطابق مع هذا النص»^{٢١}.

فلاحظ هنا أن هذا العالم الخبير بالنصرانية يصرح بانطباق البشارة مورد البحث على المهدي المنتظر طبق ما يعتقد مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، على الرغم من عدم انتمائه الى المذهب الشيعى بعد اعتناقه الاسلام، فخالف رأى المذهب الذى

الثاني عشر و أوائل الثالث عشر، سيأتى ذكره آنفا باسم الشيخ محمد صادق فخر الإسلام، و هذا ما لقّبه به علماء اصفهان يومئذ تقديرا لجهوده فى مجلدات كتابه القيم.

^{٢٠} (1) الثابت أن غيبة الإمام المهدي بعد وفاة أبيه - (عليهما السلام) - استمرت 69 سنة. فلعل الساباطى ترك بياضا ليتأكد من المدة ثم نسي ملء الفراغ فانتشر الكتاب كذلك.

^{٢١} (2) المصدر السابق: 85، و ذكر أن كتاب البراهين الساباطية قد طبع قبل أكثر من ثلاثين من تأليف كتابه كشف الأستار.

ينتمي إليه في هذا المجال و رجّح رأى مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) و صرّح بلفظ باق بشاره كتاب أشعيا على هذا الرأى.

(١) الثابت أن غيبة الإمام المهدي بعد وفاة أبيه - (عليهما السّلام) - استمرت ٦٩ سنة. فلعل الساباطى ترك بياضا ليتأكد من المدّة ثم نسي ملء الفراغ فانتشر الكتاب كذلك.

(٢) المصدر السابق: ٨٥، و ذكر أن كتاب البراهين الساباطية قد طبع قبل أكثر من ثلاثين من تأريخ تأليف كتابه كشف الأستار.

ص: ٣٦

و الذى أوصله الى الاهتداء للمصداق الحقيقى هو التعرف على رأى الإمامية فى المهدي المنتظر (عليه السّلام)، و بدون التعرف على هذا الرأى لعله لم يكن ليتوصّل الى المصداق الذى تنطبق عليه البشارات المذكورة و لو لا ذلك لكان يقتصر إمّا على رد أقوال النصارى بشأن البشارة المذكورة أو اغفالها اصلا أو تأويل بعض دلالاتها لتنطبق على رأى المذهب الذى كان ينتمى اليه فى المهدي الموعود.

و الملاحظة نفسها نجدها فى دراسات علماء آخ رين من أهل الكتاب بشأن هذه البشارات، فقد أصبح من اليسير عليهم معرفة المصداق الذى تتحدث عنه عند ما تعرفوا على رأى مذهب أهل البيت (عليهم السّلام) فى المهدي المنتظر و خاصة الذين اعتنقوا الاسلام و تهيأت لهم فرصة التعرف على هذا الرأى، و قد أثارهم شدة انطباق ما تذكره البشارات التى عرفوها فى كتب دياناتهم السابقة على المهدي المنتظر (عليه السّلام) الذى تؤمن به الإمامية؛ الأمر الذى دفعهم الى دراسة هذه البشارات فى كتبهم.

و النموذج الآخر هو: ما فعله العلّامة محمد صادق فخر الاسلام الذى كان نصرانيا و اعتنق الاسلام و انضم الى لمذهب أهل البيت (عليهم السّلام) و ألف كتابه الموسوعى «أنيس الأعلام» فى رد اليهود و النصارى^{٢٢} و تناول فيه دراسة هذه البشارات و انطباقها على الإمام محمد المهدي بن الحسن العسكري (عليهما السّلام). مثل ما فعله العلّامة محمد رضا رضائى الذى أعرض عن اليهودية - و قد كان من علمائها - و اعتنق الاسلام و ألف كتاب «منقول رضائى» الذى بحث فيه أيضا موضوع تلك البشارات و أثبت النتيجة نفسها.

(١) بشارات عهدين: ٢٣٢، و ذكر أن العالم المذكور كان من متتبعي علماء النصارى و محققيهم و اعتنق الاسلام بعد دراسة معمقة استغرقت أمدا و ألف عدة كتب منها الكتاب المذكور الذى يوصف بأنه أفضل ما ألف فى الرد على اليهود و النصارى.

ص: ٣٧

^{٢٢} (1) بشارات عهدين: 232، و ذكر أن العالم المذكور كان من متتبعي علماء النصارى و محققيهم و اعتنق الاسلام بعد دراسة معمقة استغرقت أمدا و ألف عدة كتب منها الكتاب المذكور الذى يوصف بأنه أفضل ما ألف فى الرد على اليهود و النصارى

البشارات السماوية لا تنطبق على غير المهدي الإمامي

إن من الواضح لمن يمعن النظر في نصوص تلك البشارات السماوية أنها تقدم مواصفات للمصلح العالمي لا تنطبق على غير المهدي المنتظر الإمامي طبقاً لعقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لذلك فإن من لم يتعرف على هذه العقيدة لا يستطيع التوصل إلى المصداق الذي تتحدث عنه كما نلاحظ ذلك مثلاً في أقوال مفسري الإنجيل بشأن الآيات (١٧ - ١١) من سفر الرؤيا الفصل الثاني عشر «مكاشفات يوحنا اللاهوتي» فهم يصرحون بأن «الشخص الذي تتحدث عنه البشارة الواردة في هذه الآيات لم يولد بعد، لذا فإن تفسيرها الواضح ومعناها البين موكول للمستقبل والزمان المجهول الذي سيظهر فيه»^{٢٣}، في حين أن هذه الآيات تتحدث بوضوح عن الحكمة الإلهية التي يقيمها هذا الشخص في كل العالم و يقطع دابر الأشرار والشياطين وهي المهمة التي حددتها البشارات الأخرى بأنها محور حركة المصلح العالمي. لكن مفسري الإنجيل لم يستطيعوا تطبيقها على المصداق الذي اختاروه لهذا المصلح وهو السيد المسيح عيسى بن مريم (عليهما السلام) لأن البشارة واردة عن يوحنا اللاهوتي عن السيد المسيح فهو المبشر بمجيء هذا المنقذ، كما أنهم لم يتعرفوا على عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام)، لذلك لم يستطيعوا الاهتداء إلى مصداق تلك الآيات.

(١) بشارات عهدين: ٢٦٤.

ص: ٣٨

البشارات و غيبة الإمام الثاني عشر

و هناك باحث من أهل السنة استطاع الاهتداء إلى المصداق الذي تتحدث الآيات المشار إليها عند ما تعرّف على عقيدة أهل البيت في المهدي المنتظر - سلام الله عليهم اجمعين - وهو الاستاذ سعيد أيوب حيث يقول في كتابه «المسيح الدجال» عن هذه الآيات نفسها: «و يقول كعب: مكتوب في أسفار الأنبياء: المهدي ما في عمله عيب» ثم علق على هذا النص بالقول:

«و أشهد اني وجدته كذلك في كتب اهل الكتاب، لقد تتبع اهل الكتاب أخبار المهدي كما تتبعوا أخبار جده (صلى الله عليه وآله)، فدلّت أخبار سفر الرؤيا إلى امرأة، يخرج من صلبها اثنا عشر رجلاً، ثم أشار إلى امرأة أخرى: أي التي تلد الرجل الأخير الذي هو من صلب جدته، و قال السفر: إن هذه المرأة ستحيط بها المخاطر، و رمز للمخاطر باسم «التنين» و قال: و التنين وقف أمام المرأة العتيقة حتى تلد، يبتلع ولدها متى ولدت»^{٢٤}.

أي إن السلطة كانت تريد قتل هذا الغلام، و لكن بعد ولادة الطفل. يقول باركلي في تفسيره: «عند ما هجمت عليها المخاطر اختطف الله ولدها و حفظه». و النص: و اختطف الله ولدها^{٢٥}، أي: إن الله غيَّب هذا الطفل كما في قول باركلي.

^{٢٣} (١) بشارات عهدين: 264.

^{٢٤} (١) سفر الرؤيا 12: 3.

^{٢٥} (2) سفر الرؤيا 12: 5.

و ذكر السفر أن غيبة الغلام ستكون ألفا و مائتين و ستين يوما^{٢٦}، و هي مدة لها رموزها عند أهل الكتاب، ثم قال : باركلي عن نسل المرأة [الاولى]

(١) سفر الرؤيا ١٢: ٣.

(٢) سفر الرؤيا ١٢: ٥.

(٣) المدة رمزية و قد وردت في الأصل العبري بتعبير: «و سيغيب عن التنين زمانا و زمانين و نصف زمان»، راجع بشارات العهدين: ٢٦٣.

ص: ٣٩

عموما: «إن التنين سيعمل حربا شرسة مع نسل المرأة كما قال: في السفر:

فغضب التنين على المرأة، و ذهب ليضع حربا مع باقى نسلها الذى يحفظون وصايا الله»^{٢٧}.

و عقب الاستاذ سعيد أيوب على ما تقدم بالقول: هذه هي أوصاف المهدي، و هي نفس أوصافه عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، و دعم قوله بتعليقات أوردها في الهامش بشأن انطباق الأوصاف على مهدي آل البيت (عليهم السلام)^{٢٨}.

البشارات و خصوصيات المهدي الإمامي

و يلاحظ في هذه البشارات الإنجيلية تناولها لخصوصيات في المصلح العالمي لا تنطبق إلا على أبرز ما يميز عقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) و الواقع التاريخي الذي مرت به.

إن تناول هذه الخصوصيات الظاهرة بالذات يشير الى حكمة ربانية في هداية الآخرين الى المصدق الحقيقي للمصلح العالمي بأبلغ حجة من خلال الإشارة الى ابرز خصوصياته الظاهرة و المعروفة لكي يكون الاهتداء اليها أيسر، فمثلا نلاحظ فيها الإشارة الى تعرض مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) لمخاطر التصفية و الإبادة التي تؤدي بالتالي الى غيبة الإمام الثاني عشر منهم، ثم التأكيد على أن هذا الإمام محفوظ بالرعاية الإلهية في غيبته حتى يحين موعد ظهوره المبارك . و معلوم أن القول بغيبة الإمام الثاني عشر هو أهم ما يميز عقيدة الامامية في المهدي المنتظر و لذلك وردت الإشارة اليها بالذات

(١) سفر الرؤيا ١٢: ١٣.

^{٢٦} (3) المدة رمزية و قد وردت في الأصل العبري بتعبير: «و سيغيب عن التنين زمانا و زمانين و نصف زمان»، راجع بشارات العهدين: 263.

^{٢٧} (1) سفر الرؤيا 12: 13.

^{٢٨} (2) المسيح الدجال، سعيد أيوب: 379-380/ نقلا عن المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، اصدار مركز الرسالة 13-14.

(٢) المسيح الدجال، سعيد أيوب: ٣٧٩ - ٣٨٠ / نقلا عن المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، اصدار مركز الرسالة : ١٣ - ١٤.

ص: ٤٠

تسهيلا للاهتمام الى المصداق الحقيقي للمنقذ العالمي.

كما وردت اشارات الى مميزات معروفة اخرى تختص بها عقيدة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، مثل القول بأن الإمام المهدي هو الإمام الثاني عشر من سلسلة مباركة متصلة كما تشير لذلك الآيات المتقدمة و بشارات اخرى واردة في الكتب المقدسة، نظير ما ورد في «سفر التكوين من الأصل العبري»^{٢٩}، من الوعد على لسان الرب تعالى خطابا لإبراهيم الخليل (عليه السلام)، بالمباركة والتكثير في صلب اسماعيل بمحمد (صلى الله عليه وآله) و الأئمة الاثني عشر من عترته (عليهم السلام)^{٣٠}. و معلوم أن مصداق الأئمة الاثني عشر من صلب اسماعيل لم يتحقق بالصورة المتسلسلة المشار اليها في البشارات إلا في الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) كما يثبت ذلك الواقع التاريخي فضلا عن الأحاديث النبوية المتفق على صحتها بين المسلمين^{٣١}، فهي خاصة بهم حتى أصبحت ظاهرة واضحة في التاريخ الاسلامي اطلقت على المذهب المنتمي لأهل البيت فسمى مذهب الإمامية الاثني عشرية.

و عليه يتضح أن تلك البشارات تهدى الى حقيقة هي: أن المهدي هو خاتم هؤلاء الأئمة الاثني عشر.

(١) سفر التكوين: ١٧: ٢٠، و ٢٢ - ٢٣.

(٢) أهل البيت في الكتاب المقدس، احمد الواسطي: ١٠٥ - ١٠٧.

(٣) راجع الفصل الأول من كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر لآية الله الشيخ لطف الله الصافي، فقد نقل فيه (٢٧١) حديثا من المصادر الحديثية المعتبرة عند مختلف طوائف المسلمين تشتمل على إخبار النبي (صلى الله عليه وآله) باتصال الإمامة في هؤلاء الأئمة الاثني عشر من أهل بيته (عليهم السلام) الى يوم القيامة و فيها احاديث تنص صراحة على اسمائهم أو تحدد أن أولهم الإمام علي (عليه السلام) و آخرهم الإمام المهدي (عليه السلام)، و للشيخ الصافي في هذا الفصل تعليقة استقرائية تاريخية تثبت عدم صدق هذه الأحاديث على غير الأئمة الاثني عشر من عتره آل الرسول (صلى الله عليه وآله).

ص: ٤١

^{٢٩} (1) سفر التكوين: 17: 20، و 22 - 23.

^{٣٠} (2) أهل البيت في الكتاب المقدس، احمد الواسطي: 105 - 107.

^{٣١} (3) راجع الفصل الأول من كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر لآية الله الشيخ لطف الله الصافي، فقد نقل فيه (271) حديثا من المصادر الحديثية المعتبرة عند مختلف طوائف المسلمين تشتمل على إخبار النبي (صلى الله عليه وآله) باتصال الإمامة في هؤلاء الأئمة الاثني عشر من أهل بيته (عليهم السلام) الى يوم القيامة و فيها احاديث تنص صراحة على اسمائهم أو تحدد أن أولهم الإمام علي (عليه السلام) و آخرهم الإمام المهدي (عليه السلام)، و للشيخ الصافي في هذا الفصل تعليقة استقرائية تاريخية تثبت عدم صدق هذه الأحاديث على غير الأئمة الاثني عشر من عتره آل الرسول (صلى الله عليه وآله).

البشارات و أوصاف المهدي الإمامي

وردت في البشارات أيضا اشارات الى ألقاب اختص بها المهدي الإمامي (عليه السلام) مثل وصف «القائم»^{٣٢} فمثلا نلاحظ البشارة التالية من سفر أشعيا النبي التي تحدث القاضي جواد الساباطي عن دلالتها على المهدي وفق عقيدة الإمامية الاثني عشرية: «٢- و يحل عليه روح الرب، و روح الحكمة و الفهم، و روح المشورة، و القوة، و روح المعرفة و مخافة الرب . ٣- و لذته في مخافة الرب ، و لا يقضى بحسب مرأى عينيه و لا بحسب مسمع اذنيه، ٤- و يحكم بالانصاف لبائسي الأرض، و يضرب الأرض بقضيب فمه و يميت المنافق بنفخة شفثيه ... ٥- و يسكن الذئب و الخروف، و يربض النمر مع الجدى، و العجل و الشبل معا و صبي صغير يسوقها ... ٩- لا يسيئون و لا يفسدون في كل جبل قدسى لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر . ١٠- و في ذلك اليوم سيرفع «القائم» راية الشعوب و الامم التي تطلبه و تنتظره و يكون محله مجدا»^{٣٣}.

و مثل وصف «صاحب الدار» المعدود من ألقاب الإمام المهدي (عليه السلام)^{٣٤}، فقد وردت ضمن بشارات عن انت ظار المنقذ العالمي الذي لا يختص به المسيحيون اشارة الى عدم هذا الاختصاص و تحدثت عن

(١) اختص هذا اللقب بأئمة العترة الطاهرة، و اذا اطلق كان المراد منه الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام)، راجع كتاب النجم الثاقب لآية الله الميرزا حسين النوري ١: ٢١١، من الطبعة المترجمة الى العربية، و قد ذكر الميرزا النوري أن هذا اللقب مذكور في الزبور الثالث عشر و غيره، نقل ذلك عن كتاب ذخيرة الألباب للشيخ محمد الاستربادي.

(٢) أهل البيت في الكتاب المقدس: ١٢٣-١٢٧.

(٣) النجم الثاقب: ٢ / ١٩٨.

ص: ٤٢

ظهوره المفاجئ و هي في «إنجيل مرقس، ١٣: ٣٥»^{٣٥}.

و مثل وصف «المنتقم لدم الحسين (عليه السلام) المستشهد عند نهر الفرات» كما ورد في بشارة في «سفر أرميا، ٤٦ / ٢- ١١».

و قد صرح بذلك الاستاذ الأردني عودة مهاوش في دراسته «الكتاب المقدس تحت المجهر» و ذكر أنها تتعلق بالمهدي المنتقم لدم الحسين (عليه السلام)^{٣٦}.

^{٣٢} (١) اختص هذا اللقب بأئمة العترة الطاهرة، و اذا اطلق كان المراد منه الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام)، راجع كتاب النجم الثاقب لآية الله الميرزا حسين النوري 1: 211، من الطبعة المترجمة الى العربية، و قد ذكر الميرزا النوري أن هذا اللقب مذكور في الزبور الثالث عشر و غيره، نقل ذلك عن كتاب ذخيرة الألباب للشيخ محمد الاستربادي

^{٣٣} (٢) أهل البيت في الكتاب المقدس: 123-127.

^{٣٤} (٣) النجم الثاقب: 2 / 198.

^{٣٥} (١) بشارات العهدين: 277.

و هناك نظائر كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

الاهتداء الى هوية المنقذ على ضوء البشارات

اذن معرفة هذه الخصوصيات تقودنا الى اثبات أن المصلح العالمى الذى بشرت به جميع الديانات هو المهدي ابن الحسن العسكري (عليهما السلام) كما تقوله عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) لأن البشارات السماوية لا تنطبق على العقائد الاخرى، فتكون النتيجة هو أن الديانات السابقة لم تبشر بظهور المنقذ العالمى فى آخر الزمان بعنوانه العام و حسب بل شخصت أيضا هويته الحقيقية من خلال تحديد صفات و تفصيلات لا تنطبق على غيره (عليه السلام)، و هكذا تكون هذه البشارات دليلا اضافيا على صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الشأن.

و نكتفى هنا بالاشارة الى بعض البشارات الواردة فى العهدين القديم و الجديد «أسفار التوراة و الأنجيل» بهذا الصدد، بحكم كونها معتبرة عند أكبر و أهم الديانات السابقة على الاسلام أى اليهودية و النصرانية؛ و لأن هذين

(١) بشارات العهدين: ٢٧٧.

(٢) الكتاب المقدس تحت المجهر : ١٥٥، نقلا عن كتاب دفاع عن الكافي للسيد ثامر العميدى : ١، و راجع بشأن هذه البشارة، أهل البيت فى الكتاب المقدس: ١ / ١٨٥ - ١٨٦.

ص: ٤٣

العهدين الموجودين حاليا قد مرّ بالكثير من التحقيق و التوثيق عند علماء اليهود و النصارى و اجريت بشأنهما الكثير من الدراسات و دونت الكثير من الشروح لهما، و نسخهما كثيرة و متداولة بترجمات كثيرة ل مختلف اللغات، غير أن الاعتماد على الاصول العبرية أدق لوقوع أخطاء و لبس فى الترجمات.

فالاعتصار عليهما لا يعنى انحصار البشارات التى لا يمكن تفسيرها بغير المهدي المنتظر (عليه السلام) طبق عقيدة مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، بل على العكس فإن أمثالها موجودة فى مختلف كتب الأديان الاخرى و بتصريحات و دلالات أوضح ذكرتها الدراسات المتخصصة فى هذا الباب^{٣٧}. و لكنها غير مشهورة عند الجميع و نسخها غير متداولة و أغلبها لم تترجم عن لغاتها الام إلا قليلا . على أن الاعتصار على النماذج المتقدمة من العهدين القديم و الجديد فى ه الكفاية فى الاستدلال على المطلوب، و التفصيلات موكولة للمراجع المتخصصة المشار اليها فى طيات البحث.

الاستناد الى بشارات الكتب السابقة و مشكلة التحريف

و تبقى هنا قضيتان من الضرورى التطرق لهما قبل تثبيت النتائج المتحصلة من البحث.

^{٣٦} (٢) الكتاب المقدس تحت المجهر: 155، نقلا عن كتاب دفاع عن الكافي للسيد ثامر العميدى: 1، و راجع بشأن هذه البشارة، أهل البيت فى الكتاب المقدس: 1 / 185 - 186.

^{٣٧} (1) راجع مثلا ما نقله الشيخ الصادقي فى كتابه بشارات العهدين- من كتب الأديان الاخرى

القضية الأولى: هى مناقشة السؤال التالى: كيف يمكن الاستناد الى كتب الديانات الاخرى فى اثبات قضية مهمة مثل قضية تشخيص هوية المصلح العالمى المنتظر و اثبات أنه المهدي ابن الحسن العسكري (عليهما السلام)، و اثبات صحة هذه العقيدة و انتمائها الإلهى مع اتفاق المسلمين على وقوع التحريف فى هذه الكتب؟

(١) راجع مثلاً ما نقله الشيخ الصادق - فى كتابه بشارات العهدين - من كتب الأديان الاخرى.

ص: ٢٤

نعتقد أن الاجابة على هذا التساؤل ممكنة بقليل من التدبر فى حيثيات الموضوع، و يمكن تلخيصها بما يلى:

١- إن اثبات عقيدة منهج أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدي المنتظر (عليه السلام) يستند الى الكثير من البراهين العقلية و الآيات القرآنية و ما اتفق عليه المسلمون من صحاح الأحاديث النبوية و الواقع التاريخي لسيرة أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، كما هو مشهود فى الكتب العقائدية التى تناولت هذا الموضوع.

أما الاستناد الى البشارات الواردة فى كتب الأديان المقدسة فهو من باب الدليل الاضافى أو الشواهد المؤيدة فلا تسقط النتيجة المتحصلة منه بسقوط أو بطلان الأساس؛ لأن هذه العقيدة قائمة على اسس اخرى أيضا، اذن لا مجال للاعتراض على صحة هذه العقيدة حتى مع افتراض بطلان بعض اسسها باعتبار القول بتحريف تلك الكتب.

٢- ثمة ثمار مهمة لدراسة و توثيق هذا الدليل، و هى هداية اتباع الديانات الاخرى الى الحق و الى المصلح الإلهى الحقيقى بالاستناد الى كتبهم نفسها و فى ذلك حجة كاملة عليهم؛ هذا أولا، و ثانياً فإن مثل هذه الدراسة تؤكد الجانب العالمى فى القضية المهدوية، و توفر محورا جديدا للوفاق بين الأديان المختلفة بشأن المصلح العالمى الذى ينتظرونه جميعا.

٣- و ليس ثمة من يقول بأن جميع ما فى كتب الأديان السابقة محرف، بل إن المتفق عليه بين المسلمين وقوع التحريف فى بعضها و ليس فى كلها.

لذلك فإن ما صدّقه النصوص الشرعية الاسلامية - قرآنا و سنة - مما فى الكتب السابقة محكوم بالصحة و عدم تطرق التحريف اليه؛ و هذا واضح.

ص: ٢٥

الاستناد الى ما صدّقه الاسلام من البشارات

١- من الثابت اسلاميا أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قد بشر بالمهدى الموعود من أهل بيته و من ولد فاطمة- سلام الله عليها^{٣٨}، لذلك فإن البشارات الواردة في كتب الأديان السابقة من هذا النمط الذي لم تطاله أيدي التحريف ما دامت منسجمة مع ما صرح في النصوص الشرعية الاسلامية.

اذن لا مانع من الاستناد اليه و الاحتجاج به.

٢- يضاف الى ذلك أن القرآن الكريم نفسه قد بشر بالدولة الإلهية العالمية و اقامتها في آخر الزمان كما صرحت بذلك آياته الكريمة التي دلّ عدد منها على المهدى الموعود و حتمية وجوده و غيبته، كما سنوضح ذلك في بحث لاحق ان شاء الله تعالى. و هذا يعني تصديق ما ورد في بشارات الأديان السابقة الواردة بالمضمون نفسه، الأمر الذي يعني صدورهما من نفس المصدر الذي صدر منه القرآن الكريم، و بالتالي الحكم بصحتها و عدم تطرق التحريف اليها، فلا مانع حينئذ من الاستناد اليها و الاحتجاج بها في اطار المضامين التي صدّقها القرآن الكريم.

٣- إن بعض هذه البشارات ترتبط بواقع خارجي معاش أو ثابت تاريخيا، بمعنى أن الواقع الخارجي الثابت جاء مصدقا لها. فمثلا البشارات التي تشير الى ان المصلح العالمي هو الإمام الثاني عشر من ذرية اسماعيل و أنه من ولد خيرة الإمام و أن ولادته تقع في ظل اوضاع سياسية خائفة

(١) بل أثبتت دراسات عدد من علماء أهل السنة تواتر هذه الأحاديث الشريفة، مثل كتاب «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر و الدجال و المسيح» للإمام الشوكاني، و كتاب «الاشاعة في أشراف الساعة» للبرزنجي، و كتاب «التصريح» للكشميري و غيرها.

ص:٤٦

و مهددة لوجوده فيحفظه الله و يغيبه عن أعين الظالمين الى حين موعد ظهوره و أمثالها، كلها تنبأت بحوادث ثابتة تاريخيا، و هذا يضيف دليلا آخر على صحتها، ما دام أن من الثابت علميا أنها مدونة قبل وقوع الحوادث التي أخبرت عنها، فهي في هذه الحالة تثبت أنها من أنباء الغيب التي لا يمكن أن تصدر إلا ممن له ارتباط بعلم الغيوب تبارك و تعالى . و بذلك يمكن الحكم بصحتها و عدم تطرق التحريف اليها، و بالتالي يمكن الاستناد اليها و الاحتجاج بها^{٣٩}.

تأثير البشارات في صياغة العقيدة المهدوية

^{٣٨} (١) بل أثبتت دراسات عدد من علماء أهل السنة تواتر هذه الأحاديث الشريفة، مثل كتاب «التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر و الدجال و المسيح» للإمام الشوكاني، و كتاب «الاشاعة في أشراف الساعة» للبرزنجي، و كتاب «التصريح» للكشميري و غيرها.
^{٣٩} (١) هذا الحكم يصدق ايضا على الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم و أئمة العترة - صلوات الله و سلامه عليه اجمعين- و التي تنبأت بولادة المهدي من الحسن العسكري و غيبته، فنثبت صدورهما و تدوينها قبل وقوع الولادة و الغيبة بما يزيد على القرن و أكثر ثم تحقق ما أخبرت عنه عمليا يثبت صحتها حتى لو كان ثمة نقاش في بعض أسانيدهما؛ لأن تصديق الواقع لها دليل على صحة صدورهما من ينابيع الوحي المتصلة بالله تبارك و تعالى الذي لا يعلم الغيب سواه و لا يطلع على غيبه إلا من ارتضى، و قد استدلل العلماء بهذا الدليل الوجداني على صحة الغيبة و صحة إمامة المهدي ابن العسكري (عليهما السلام) مثل الشيخ الصدوق في إكمال الدين: 1/ 19، و الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: 101-107، و الطبرسي في اعلام الوري، و ابن طاووس في كشف المحجة و غيرهم

أما القضية الثانية: فهي ترتبط بالاعتراض القائل بأن الاستناد الى هذه البشارات في اثبات عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) يفتح باب التشكيك و الادعاء بأن هذه العقيدة تسللت الى الفكر الاسلامي من الاسرائيليات و محرفات الأديان السابقة.

و الجواب على هذا الاعتراض يتضح من الإجابة السابقة، فهو يصح إذا كانت العقيدة الإمامية المهدوية تستند الى تلك البشارات وحدها في حين أن الأمر ليس كذلك.

(١) هذا الحكم يصدق ايضا على الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم و أئمة العترة - صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين - و التي تنبأت بولادة المهدي من الحسن العسكري و غيبته، فثبوت صدورهما و تدوينها قبل وقوع الولادة و الغيبة بما يزيد على القرن و أكثر ثم تحقق ما أخبرت عنه عمليا يثبت صحتها حتى لو كان ثمة نقاش في بعض أسانيدهما؛ لأن تصديق الواقع لها دليل على صحة صدورهما من ينابيع الوحي المتصلة بالله تبارك و تعالي الذي لا يعلم الغيب سواه و لا يطلع على غيبه إلا من ارتضى، و قد استدلل العلماء بهذا الدليل الوجداني على صحة الغيبة و صحة إمامة المهدي ابن العسكري (عليهما السلام) مثل الشيخ الصدوق في إكمال الدين: ١ / ١٩، و الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: ١٠١ - ١٠٧، و الطبرسي في اعلام الوري، و ابن طاووس في كشف المحجة و غيرهم.

ص: ٢٧

و لو قلنا بأن كل فكرة اسلامية لها نظير في الأديان السابقة هي من الأفكار الدخيلة في الاسلام؛ لأدى الأمر الى اخراج الكثير من الحقائق و البديهيّات الاسلامية التي أقرها القرآن الكريم و صحاح الأحاديث الشريفة و هي موجودة في الأديان السابقة، و هذا واضح البطلان و لا يخفى بطلانه على ذي لب . فالمعيار في تشخيص الأفكار الدخيلة على الاسلام هو عرضها على القرآن و السنّة و الأخذ بما وافقه ما و نبذ ما خالفهما، و ليس عرضها على ما في كتب الديانات السابقة و نبذ كل ما وافقها مع العلم بأن فيها ما لم تنطبق له يد التحريف و فيه ما ثبت صدوره عن المصدر الذي صدر عنه القرآن الكريم.

يضاف الى ذلك أن عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر (عليه السلام) تستند الى واقع تاريخي ثابت، فكون الإمام المهدي هو الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ثابت تاريخيا و حتى ولادته الخفية من الحسن العسكري (عليه السلام) قد سجلها المؤرخون من مختلف المذاهب الاسلامية و أقرها علماء مختلف المذاهب حتى الذين لم يدعوا أنه هو المهدى الموعود و إن كان عدد الذين صرحوا بأنه هو المهدي من علماء أهل السنّة غير قليل أيضا^{٤٠}.

(١) ذكر الشيخ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة الكثير من علماء أهل السنّة القائلين بأن المهدي الموعود هو ابن الحسن العسكري و أنه حي و غائب، كما ذكر الميرزا النوري في كتاب كشف الأستار اربعين عالما منهم و نقل تصريحاتهم في

^{٤٠} (1) ذكر الشيخ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة الكثير من علماء أهل السنّة القائلين بأن المهدي الموعود هو ابن الحسن العسكري و أنه حي و غائب، كما ذكر الميرزا النوري في كتاب كشف الأستار اربعين عالما منهم و نقل تصريحاتهم في ذلك، و كذلك فعل العلامة نجم الدين العسكري في كتابه المهدي الموعود المنتظر (عليه السلام) عند علماء أهل السنّة و الإمامية، و جمع أقوالهم و تصريحاتهم السيد ثامر العميدي في الجزء الأول من كتابه (دفاع عن الكافي). و كذلك السيد الأمين العاملي في ج5 من المجالس السنية و الاستاذ الدخيل في الإمام المهدي (عليه السلام).

ذلك، و كذلك فعل العلامة نجم الدين العسكري في كتابه المهدي الموعود المنتظر (عليه السلام) عند علماء أهل السنة و الإمامية، و جمع أقوالهم و تصريحاتهم السيد ثامر العميدى فى الج زء الأول من كتابه (دفاع عن الكافى). و كذلك السيد الأمين العاملى فى ج ٥ من المجالس السنية و الاستاذ الدخيل فى: الإمام المهدي (عليه السلام).

ص:٤٨

نتائج البحث

نصل الى القسم الأخير من البحث، و هو تسجيل النتائج الحاصلة منه فى النقاط التالية:

١- ان اصل فكرة الايمان بالمصلح العالمى فى آخر الزمان و إقامة الدولة العادلة التى تحقق السعادة الحقّة للبشرية جمعاء تستند الى جذور فطرية فى الانسان تنبع من فطرة تطلّعه الى الكمال، و لذلك لاحظنا اجماع مختلف التيارات الفكرية الانسانية حتى المادية منها على حتمية تحقق ه ذا اليوم الموعود . أما الفكر الدينى فهو مجمع عليها لتواتر البشارات السماوية فى كتب الأديان المختلفة بذلك. فلا يمكن قبول ما زعمه بعض المستشرقين بأن هذه الفكرة المجمع عليها تستند الى الخرافات و الأساطير.

٢- إن القول بوجود المهدي الموعود بالفعل و غيبته - و هو الذى يؤمن به مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و يتميز عن عقيدة أهل السنة فى المهدي الموعود- غير مستبعد لا فى الفكر الإنسانى الذى يرى أن من الضرورى أن يكون عمر المصلح العالمى طويلا، و لا من الفكر الدينى الذى اقترن إيمانه بالمصلح العالمى بالإيمان بأنه يعود بعد غيبة. بل إن وقوع الغيبات فى تاريخ الأنبياء (عليهم السلام) يدعم هذا القول و يعززه.

٣- إن إجماع الأديان السماوية على الايمان بالمصلح العالمى و غيبته قبل الظهور اقترن بالاختلاف الشديد فى تحديد هويته، و هو اختلاف ناشئ من جملة من العوامل، منها : ان البشارات الواردة فى الكتب المقدسة بشأنه تتحدث عن قضية غيبية، و الانسان بطبعه ميال لتجسيد الحقائق الغيبية فى

ص:٤٩

مصاديق محسوسة يعرفها . و منها: أن التعصب المذهبى و الرغبة فى الفوز بافتخار الانتماء لصاحب هذا الدور التاريخى المهم دفعت اتباع كل دين الى تأويل تلك البشارات أو خلطها بالبشارات الواردة بشأن نبي أو وصى معين غير المصلح العالمى أو تحريفها لتطبيقها على الأقرب من المواصفات التى تذكرها من زعمائهم و رموزهم الدينية . فالاختلاف ناشئ من سوء تفسير و تطبيق البشارات السماوية و ليس من نصوص البشارات نفسها.

٤- إن سبيل حل الاختلاف هو تمييز البشارات الواردة بشأن المصلح العالمى عن غيرها المرتبطة بغيره من الأنبياء و الأوصياء (عليهم السلام)، ثم تحديد الصورة التى ترسمها بنفسها للمصلح العالمى بعيدا عن التأثير بالمصاديق المفترضة سلفا. ثم عرض المصاديق عليها لمعرفة هويته الحقى قية استنادا الى الواقع التاريخى القابل للإثبات و بعيدا عن حصر هذه المصاديق المفترضة برموز دين معين، بل عرض كل مصداق مرشح من قبل أى دين أو مذهب على الصورة التى ترسمها نصوص البشارات بصورة تجريدية.

٥- إن تلك البشارات السماوية تهدي - بناء على هذا المنهج العلمي - الى معرفة حقيقة هي أن المصلح العالمي الذي بشرت به هو الإمام الثاني عشر من عتره خاتم الأنبياء - صلوات الله عليه وآله - وهو صاحب الغيبة التي يضطر إليها بسبب تربيص الظلمة به لتصفيته، أي إنها تهدي الى المهدي الإمامي الذي يقول به مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وقد صرحت تلك البشارات بالهداية اليه من خلال ذكر صفات لا تنطبق على غيره، و من خلال ذكر خصائص فيه امتاز بها و اشتهرت عنه كما لاحظنا.

٦- ان الاستناد الى هذه البشارات في إثبات صحة عقيدة

ص:٥٠

أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي المنتظر (عليه السلام) يشكل دليلا آخر في إثبات هذه العقيدة يضاف الى الأدلة العقلية و القرآنية و ما صح لدى المسلمين من الأحاديث الشريفة، و لا مانع من الاستدلال بهذه البشارات بعدما ثبت أن التحريف في الديانات السابقة لم يشمل كل نصوصها الموحدة، فيمكن الاستناد الى ما صدقته النصوص الشرعية الاسلامية مما ورد في كتب الديانات السابقة؛ و كذلك ما صدقه الواقع التاريخي الكاشف عن صحة ما أخبرت عنه باعتباره من أنباء الغيب التي لا يعلمها سوى الله تعالى، و منها أخبار المهدي (عليه السلام).

٧- إن في الاستناد الى بشارات الأديان السابقة في اثبات صحة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي الموعود و اضافته الى الأدلة الشرعية و العقلية الاخرى ثمارا عديدة، منها : الكشف عن أهمية هذه العقيدة و ترسيخ الايمان بها لدى اتباعها، و منها : إعانة أتباع الديانات و المذاهب الأخرى على الاهتداء لمعرفة هوية المصلح ال عالمي الذي بشرت به نصوص كتبهم المقدسة و دعوتهم الى الاسلام من هذا الطريق، و الاحتجاج عليهم بالنصوص المعتمدة عندهم و هو احتجاج أبلى في الدلالة، و منها : ايجاد محور توحيدى لدعاة الاصلاح الدينى من اتباع مختلف الديانات يعزز جهودهم و ينسقها، يقوم على أساس الايمان بهذا المصلح العالمي و وجوده فعلا و رعايته لجهود الممهددين لظهوره طبقا للعقيدة الاسلامية الأوسع شمولية و تفصيلا في عرض هذه الفكرة العريقة في الفكر الدينى و الانساني.

يقول العلامة الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر : و إذا كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام و أوسع منه، فإن معالمها التفصيلية التي

ص:٥١

حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعا لكل الطموحات التي انشئت الى هذه الفكرة منذ فجر التاريخ الدينى، و أغنى عطاء و أقوى إثارة لأحاسيس المظلومين و المعذبين على مر التاريخ . و ذلك لأن الإسلام حول الفكرة من غيب الى واقع، و من مستقبل الى حاضر، و من التطلع الى منقذ تتمخض عنه الدنيا فى المستقبل البعيد المجهول الى الإيمان بوجود المنقذ فعلا، و تطلعه مع المتطلعين الى اليوم الموعود الى اكمال كل الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم.

فلم يعد المهدي (عليه السلام) فكرة ننتظر ولادتها، و نبوءة نتطلع الى مصداقها، بل واقعا قائما ننتظر فاعليته، و إنسانا معيناً يعيش بيننا بلحمه و دمه، نراه ويرانا، و يعيش آمالنا و آلامنا و يشاركنا أحزاننا و أفراحنا، و يشهد كل ما تزخر به الساحة

على وجه الأرض من عذاب المعذّبين و بؤس البائسين و ظلم الظالمين، و يكتوى بذلك من قريب أو بعيد، و ينتظر بلهفة اللحظة التي يتاح له فيها أن يمدّ يده الى كل مظلوم و كل محروم و كل بائس و يقطع دابر الظالمين.

و قد قدّر لهذا القائد أن لا يعلن عن نفسه و لا يكشف للآخرين هويّته و وجوده على الرغم من أنه يعيش معهم انتظارا للحظة الموعودة.

و من الواضح أن الفكرة بهذه المعالم الإسلامية تقرّب الهوة الغيبية بين المظلومين كل المظلومين و المنقذ المنتظر، و تجعل الجسر بينهم و بينه في شعورهم النفسى قصيرا مهما طال الانتظار.

و نحن حينما يراد منا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيرا عن إنسان حي محدد يعيش فعلا كما نعيش، و يترقب كما نترقب، يراد الإيحاء إلينا بأن فكرة الرضى المطلق لكل ظلم و جور، و التي يمثلها المهدي،

ص: ٥٢

تجسدت فعلا في القائد الرافض المنتظر، الذي سيظهر و ليس في عنقه بيعه لظالم كما في الحديث، و إنّ الإيمان به إيمان بهذا الرضى الحي القائم فعلا و مواكبه له»^{٢١}.

(١) بحث حول المهدي: ١٢-١٤.

ص: ٥٣

٢٢

الفصل الثالث المهدي الموعود (عليه السلام) و غيبته في القرآن الكريم

إنّ أبرز ما تتميز به عقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي الموعود هو القول بوجوده بالفعل و غيبته و تحدد هويته بأنّه الإمام الثاني عشر من أئمة العترة النبوية الطاهرة، و أنّه قد ولد بالفعل من الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٥٥ هـ) و تولى مهام الإمامة بعد وفاة أبيه العسكري سنة (٢٦٠ هـ) و كانت له غيبتان الاولى و هي الصغرى استمرت الى سنة (٣٢٩ هـ) كان الإمام يتصل خلالها بشيعته عبر سفرائه الخاصين، ثم بدأت الغيبة الكبرى المستمرة حتى يومنا هذا و الى أن يأذن الله عزّ و جلّ بالظهور لأنجاز مهمته الكبرى في إقامة الدولة الإسلامية العالمية التي يسيطر فيها العدل و القسط على أرجاء الأرض ان شاء الله تعالى.

^{٢١} (١) بحث حول المهدي: ١٢- ١٤.

^{٢٢} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، ١٤٢٥ هـ.ق.

و يتفق أهل السنة على انتماء المهدي الموعود لأهل البيت (عليهم السّلام) و أنه من ولد فاطمة (عليها السّلام) و قد اعتقد جمع منهم بولادته لكن بعضهم ذهب الى أنه سيولد و يظهر في آخر الزمان ليحقق مهمته الموعودة دون أن يستند الى دليل نقلي و لا عقلي في ذلك سوى الاستناد الى الأحاديث المشيرة الى أن ظهوره يكون في آخر الزمان . و ليس هذا دليلا تاما على أن ولادته ستكون في آخر الزمان أيضا كما أنه ليس فيه نفى للغيبة؛ لأنها و الظهور لا يكونان في زمن

ص: ٥٤

واحد لكى يقال بأنّ إثبات الظهور في آخر الزمان يعنى نفى الغيبة دفعا لاجتماع النقيضين المحال عقلا، فرأى الإمامية هو أن الغيبة تكون قبل الظهور فلا تعارض بينهما.

و مدرسة أهل البيت (عليهم السّلام) تقدم الأدلة لإثبات الغيبة بتفصيل فى كتبها العقائدية المشهورة^{٤٣}.

و قد لاحظنا سابقا أن البشارات السماوية الواردة فى الأديان السابقة بشأن المنقذ العالمى الموعود فى آخر الزمان لا تنطبق بالكامل إلّا على المهدي ابن الحسن العسكري (عليهما السّلام) الذى تؤمن به مدرسة أهل البيت (عليهم السّلام)، بل و تصرّح بغيبته و هذا أهم ما يميّز رأى الإمامية كما تصرّح بأنه خاتم الأئمة الاثنى عشر و تشير الى خصائص لا تنطبق على سواه، الأمر الذى جعل التعرف على عقيدة الإمامية فى المهدي المنتظر وسيلة ناجحة فى حل الاختلاف فى تحديد هويّة المنقذ العالمى استنادا الى المنهج العلمى فى دراسة هذه البشارات.

و نعرض هنا مجموعة من الآيات الكريمة التى تدل بصورة مباشرة على حتمية أن يكون فى كل زمان إمام حق يهدى الناس الى الله و يشهد على أعمالهم ليكون حجة الله عزّ و جلّ على أهل زمانه فى الدنيا و الآخرة، و التى تحدّد له صفات لا تنطبق - فى عصرنا الحاضر - على غير الإمام المهدي الذى تقول مد رسة أهل البيت (عليهم السّلام) بوجوده و غيبته . فتكون هذه الآيات دالة

(١) مثل رسائل الشيخ المفيد فى الغيبة و هى خمس رسائل إضافة الى كتاب الفصول العشرة فى الغيبة، و كتاب المقنع فى الغيبة للسيد المرتضى، و كتاب الغيبة للشيخ الطوسى ، و كتاب إكمال الدين للشيخ الصدوق، و كتاب الغيبة للشيخ النعماني، و عموم كتب الإمامة كالشافى و تلخيصه و غيرها فقد حفلت بأشكال الأدلة على هذا الموضوع و هى كثيرة للغاية.

ص: ٥٥

على صحة عقيدة الإمامية فى المهدي المنتظر، و هى فى الواقع من الآيات المثبتة لا ستحالة خلو الأرض من الإمام الحق فى أى زمان، و دلالتها على المقصود واضحة لا تحتاج الى المزيد من التوضيح إلّا أن الخلافات السياسية التى شهدتها التاريخ الإسلامى و انعكاساتها فى تشكيل الآراء العقائدية؛ أدت الى التغطية على تلك الدلالات الواضحة و صرفها الى تأويلات بعيدة عن ظواهرها البيّنات.

^{٤٣} (1) مثل رسائل الشيخ المفيد فى الغيبة و هى خمس رس ائل إضافة الى كتاب الفصول العشرة فى الغيبة، و كتاب المقنع فى الغيبة للسيد المرتضى، و كتاب الغيبة للشيخ الطوسى، و كتاب إكمال الدين للشيخ الصدوق، و كتاب الغيبة للشيخ النعماني، و عموم كتب الإمامة كالشافى و تلخيصه و غيرها فقد حفلت بأشكال الأدلة على هذا الموضوع و هى كثيرة للغاية.

و نكمل هذا البحث بدراسة لدلالات طائفة من الأحاديث الشريفة التي صحّت روايتها عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) في الكتب الستة المعتبرة عند أهل السنة و غيرها من الكتب المعتبرة عند جميع فرق المسلمين؛ فهي تشكل حجة عليهم جميعاً؛ و هي تكمل دلالات الآيات الكريمة المشار إليها و تشخص المصاديق التي حددت الآيات صفاتها العامة . و تثبت أن المهدي الموعود الذي بشر به رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو الإمام الثاني عشر من أئمة العترة النبوية و هو ابن الحسن العسكري سلام الله عليه.

١- عدم خلو الزمان من الإمام

قال الله تعالى: **يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أَوْتَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۖ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا**^{٤٤}.

و هذا نصّ صريح على أن لكل أهل زمان «كل أناس» إمام يدعون به يوم القيامة . و يكون الاحتجاج به عليهم أو ليكون شاهداً عليهم يوم الحساب و هذا أيضاً يتضمن معنى الاحتجاج عليهم. فمن هو «الإمام» المقصود في

(١) الاسراء (١٧): ٧١ - ٧٢.

ص: ٥٤

الآية الكريمة الاولى؟

للإجابة يلزم الرجوع الى المصطلح القرآني نفسه لمعرفة المعاني المرادة منه و الاهتداء به لمعرفة المنسجم مع منطوق النص القرآني المتقدم.

لقد اطلق لفظ «الإمام» في القرآن الكريم على من يقتدى به من الأفراد، و هو على نوعين لا ثالث لهما في الاستخدام القرآني و هما: الإمام المنسوب من قبل الله تبارك و تعالى لهداية الخلق إليه بأمره عزّ و جلّ، كما في قوله عزّ و جلّ : **وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**^{٤٥}، و قوله: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**^{٤٦}، و قوله: **وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**^{٤٧}، و قوله : **وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**^{٤٨}. فيلاحظ في جميع هذه الموارد أنها تنسب جعل الإمامة الى الله سبحانه مباشرة.

أما النوع الثاني فهو من يقتدى به للضلال كما في قوله تعالى: **فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ**^{٤٩}، و قوله: **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ**^{٥٠}.

^{٤٤} (١) الاسراء (١٧): ٧١ - ٧٢.

^{٤٥} (١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

^{٤٦} (٢) البقرة (٢): ١٢٤.

^{٤٧} (٣) القصص (٢٨): ٥.

^{٤٨} (٤) الفرقان (٢٥): ٧٤.

^{٤٩} (٥) التوبة: ١٢/٩.

^{٥٠} (٦) القصص (٢٨): ٤١. و الجعل هنا بمعنى «تصييرهم سابقين في الضلال يقتدي بهم اللاحقون» الميزان:

هذا فى الأفراد أما فى غير الأفراد فقد استخدم فى معنيين و بصورة المفرد فقط، فى حين ورد بالمعنى السابقة بصيغة المفرد و صيغة الجمع، و المعنى الأول هو التوراة كما فى قوله تعالى : **وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً**^{٥١}، و ربما يستفاد من هذا الاستخدام صدق وصف «الإمام» على

(١) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٢) البقرة (٢): ١٢٤.

(٣) القصص (٢٨): ٥.

(٤) الفرقان (٢٥): ٧٤.

(٥) التوبة: ٩ / ١٢.

(٦) القصص (٢٨): ٤١. و جعل هنا بمعنى «تصييرهم سابقين فى الضلال يقتدى بهم اللاحقون» الميزان:

٣٨ / ١٦، فليس هنا بمعنى النصب كما هو حال أئمة الهدى.

(٧) هود (١١): ١٧.

ص: ٥٧

الكتب السماوية الاخرى أو الرئيسة منها على الأقل . أما المعنى الثانى فهو اللوح المحفوظ كما فى قوله تعالى : **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**^{٥٢}.

الإمام المقصود فى الآية

فمن هو «الإمام» المقصود فى الآية و الذى لا يخلو زمان من مصداق له و يدعى به أهل عصره يوم القيامة؟ هل هو شخص معين؟ أم هو أحد الكتب السماوية فى كل عصر؟ أم هو اللوح المحفوظ؟

لا يمكن أن يكون المراد هنا الكتب السماوية و لا اللوح المحفوظ لأن الآية عامة و صريحة بأن مدلولها - و هو عدم خلو أى زمان، و أى قوم من إمام - يشمل الأولين و الآخرين، فى حين أن من الثابت قرآنياً و تاريخياً أن أول الكتب السماوية التشريعية هو كتاب نوح (عليه السلام)، فالقول بأن المراد بالإمام فى الآية أحدها فى كل عصر يعنى إخراج الأزمنة التى سبقت نوحاً (عليه السلام) من حكم الآية و هذا خلاف صريح منطوقها بشمولية دلالتها لكل عصر كما يدل عليه قوله تعالى **كُلُّ أُنَاسٍ**.*

16 / 38، فليس هنا بمعنى النصب كما هو حال أئمة الهدى

^{٥١} (7) هود (11): 17.

^{٥٢} (1) يس (26): 12.

كما لا يمكن تفسير الإمام في الآية باللوح المحفوظ؛ لأنه واحد لا يختص بأهل زمان معين دون غيرهم في حين أن الآية الكريمة تصرّح بأن لكل اناس إماما.

إذن لا يبقى إلّا القولان الأولان، فالمتعين أن يكون المراد من الإمام في الآية من يأتّم به أهل كل زمان في سبيل الحق أو الباطل. أو أن يكون المراد فيها إمام الحق خاصةً و هو الذي يجتبيه الله سبحانه في كل زمان لهداية الناس بأمره تبارك و تعالى و يكون حجة الله عزّ و جلّ عليهم يدعوهم به يوم

(١) يس (٢٦): ١٢.

ص: ٥٨

القيامة للاحتجاج به عليهم سواء كان نبيا كإبراهيم الخليل و محمد - عليهما و آلهما الصلاة و السلام - أو غير نبي كأوصياء الأنبياء (عليهم السلام).

و يكون المراد بالدعوة في الآية هو الإحضار، أى إن كل اناس - في كل عصر - محضرون بإمام عصرهم، ثم يؤتى من اقتدى بإمام الحق كتابه بيمينه و يظهر عمى من عمى عن معرفة الإمام الحق في عصره و أعرض عن إتباعه.

و هذا ما يعطيه التدبر في الآيتين الكريمتين مورد البحث كما يقول العلامة الطباطبائي في تفسيرهما^{٥٣}، و قد عرض في بحثه لجميع أقوال المفسرين في تفسير معنى الإمام هنا و بين عدم انسجامها مع الاستخدام القرآني و ظاهر الآيتين، و هي أقوال واضحة البطلان، و لعل أهمها القول بأن المراد من الإمام : النبي العام لكل أمة، كأن يدعى بأمة إبراهيم أو أمة موسى أو أمة عيسى أو أمة محمد - صلوات الله عليهم أجمعين - و هذا القول أيضا غير منسجم مع ظاهر الآيتين أيضا لأنه يخرج من حكمها العام الأمم التي لم يكن فيها نبي، و هذا خلاف ظاهرهما، كما أنه مدحوض بالآيات الاخرى التي سنتناولها لاحقا، إن شاء الله تعالى.

الإمام المنقذ من الضلالة

و عليه يكون محصل الآيتين الكريمتين هو الدلالة على حتمية وجود إمام حق يهتدى به في كل عصر، يكون حجة الله عزّ و جلّ على أهل زمانه في الدنيا و الآخرة، فتكون معرفته و أتباعه في الدنيا وسيلة النجاة يوم الحشر؛ فيما يكون العمى عن معرفته و اتباعه في الدنيا سببا للعمى و الضلال الأشد في الآخرة يوم يدعى كل اناس بإمام زمانهم الحق، و يقال للضالين عنه: هذا

(١) تفسير الميزان: ١٣ / ١٦٥ - ١٦٩، و ما أوردناه مستفاد من بحثه التفسيري لهما.

ص: ٥٩

^{٥٣} (1) تفسير الميزان: 13 / 165 - 169، و ما أوردناه مستفاد من بحثه التفسيري لهما

إمامكم الذى كان بين أظهركم فلما ذا عميتم عنه؟ و بذلك تتم الحجة البالغة عليهم، و تتضح حكمة دعوتهم م و إحضارهم به يوم القيامة.

و نصل الآن للسؤال المحورى المرتبط بما دلّت عليه هاتان الآيتان، و هو:

- من هو الإمام الحق الذى يكون حجة الله على خلقه فى عصرنا هذا؟ فإنه لا بد للإمام الحق من مصداق فى كلّ العصور كما نصت عليه الآيتان المتقدمتان.

و للإجابة على ه ذا السؤال من خلال النصوص القرآنية وحدها - باعتبارها حجة على الجميع - ينبغى معرفة الصفات التى تحددها الآيات الكريمة للإمام الحق، ثم البحث عن تنطبق عليه فى زماننا هذا.

المواصفات القرآنية لإمام الهدى

و المستفاد من تفسير الآيتين المتقدمتين أن الإمام المقصود يجب أن تتوفر فيه الصفات التى تؤهله للاحتجاج به على قومه يوم القيامة مثل القدرة على الهداية و الأهلية لأن يكون أتباعه موصلا للهدى و تكون طاعته معبرة عن طاعة الله تبارك و تعالى، و أن يكون قادرا على معرفة حقائق أعمال الناس و ليس ظواهرها، أى أن يكون هاديا لقومه و شهيدا على أعمالهم، الأمر الذى يستلزم أن يكون قادرا على تلقى الهداية الإلهية و حفظها و نقلها للناس، كما يجب أن يكون أهلا لأن يتفضل عليه الله عزّ و جلّ بعلم الكتاب و الأسباب التى تؤهله لمعرفة حقائق أعمال الناس للشهادة بشأنها و الاحتجاج به عليهم يوم القيامة. و سيأتى المزيد من التوضيح لذلك فى الفقرتين اللاحقتين.

كما ينبغى أن يكون متحليا بأعلى درجات العدالة و التقى لكى لا يخلّ بأمانة نقل الهداية الإلهية الى قومه، و كذلك لكى لا يحيف فى شهادته عليهم يوم القيامة. أى أن يتحلى بدرجة عالية من العصمة، و هذا ما صرح به القرآن

ص: ٦٠

الكريم فى قوله تعالى: **وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ: وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**^{٥٤}. فالإمامة «عهد» من الله تبارك و تعالى لا ينال من تلبس بظلم مطلقا، و معلوم أن ارتكاب المعاصى مصداق من مصاديق الظلم؛ لذا فالمؤهل للإمامة يجب أن يكون معصوما.

و حيث إن الله تبارك و تعالى قد أقرّ طلب خليفه إبراهيم النبى (عليه السلام) فى جعل الإمامة فى ذريته و لم يقيدها إلّا بأنها لا تنال غير المعصومين، نفهم أن الذرية الابراهيمية لا تخلو من متأهل للإمامة الى يوم القيامة، و هذا ما يؤكده قوله عزّ و جلّ: **وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**^{٥٥}.

و لما كانت الإمامة عهدا إلهيا، كان الإمام مختارا لها من الله عزّ و جلّ - و هو الأعلم حيث يجعل رسالته - و هذا ما تؤكده الآيات الكريمة فقد نسبت جعل الإمام الى الله مباشرة و لم تنسبه لغيره كما هو واضح فى الآيتين المتقدمتين من سورتي

^{٥٤} (1) البقرة (2): 124.

^{٥٥} (2) الزخرف (43): 28، و لاحظ قوله تعالى: **وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ** العنكبوت (29): 27.

الزخرف و البقرة و غيرهما. و يتحقق هذا الاختيار الإلهي لشخص معين للإمامة من خلال النص الصادر من ينابيع الوحي - القرآن و السنة - أو من ثبتت إمامته و عصمته، أو ظهور المعجزات الخارقة للعادة على يديه حيث تثبت صحة ادعائه الإمامة.

إذن فإمام زماننا الذي دلت آيتا سورة الاسراء على حتمية وجوده يجب أن يكون هاديا لقومه و شهيدا على أعمالهم ليصح الاحتجاج به يوم القيامة، و أن يكون معصوما أو على الأقل متحليا بدرجة عالية من العدالة تؤهله للقيام بمهمته في الهداية و الشهادة؛ و من الذرية الابراهيمية التي ثبت

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

(٢) الزخرف (٤٣): ٢٨، و لاحظ قوله تعالى **وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ** العنكبوت (٢٩): ٢٧.

ص: ٤١

بقاء الإمامة فيها، و أن يكون منصوبا عليه من قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) أو من ثبتت إمامته، أو أن يكون قد ظهرت على يديه من المعجزات و أثبتت ارتباطه بالسماء و صحة ادعائه الإمامة.

مصدق الإمام في عصرنا الحاضر

فمن الذي تتوفر فيه هذه الصفات في عصرنا الحاضر؟ من الواضح أنه لا يوجد شخص ظاهر تنطبق عليه هذه الصفات و ليس ثمة شخص ظاهر يدعيها أيضا، فهل يكون عدم وجود شخص ظاهر تتوفر فيه هذه الصفات يعني خلو عصرنا من مثل هذا الإمام؟

الجواب سلبى بالطبع؛ لأنه يناقض صريح دلالة آيتي سورة الاسراء، فلا يبقى أمامنا إلّا القول بوجوده و غيبته و قيامه بالمقدار اللازم للاحتجاج به على أهل زمانه يوم القيامة و الذى هو من مهام الإمام، حتى فى غيبته.

و هذا ما تقوله مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى المهدى المنتظر (عليه السلام) و تتميز به، و تقيم الأدلة النقلية و العقلية الدالة على توفر جميع الشروط و الصفات المتقدمة فيه من العصمة و النص عليه من الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) و من ثبتت إمامته من آبائه (عليهم السلام)، كما ثبت صدور المعجزات عنه فى غيبته الصغرى بل و الكبرى أيضا و قيامه عمليا بما يتيسر له من مهام الإمامة فى غيبته كى يتحقق الاحتجاج به على أهل زمانه، كما هو مدون فى الكتب التى صنفها علماء هذه المدرسة^{٥٤}.

^{٥٤} (١) راجع فى هذا الباب مثلا كتاب منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر لأية الله الشيخ لطف الله الصافى فقد جمع الكثير من النصوص المروية من طرق أهل السنة و الشيعة، و راجع أيضا كتاب إثبات الهداة بالنصوص و المعجزات للحر العاملي، و فرائد السمطين للحموينى الشافعى، و ينابيع المودة للحافظ القندوزى الحنفى و غيرها كثير

(١) راجع في هذا الباب مثلاً كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر لآية الله الشيخ لطف الله الصافي فقد جمع الكثير من النصوص المروية من طرق أهل السنة و الشيعة، و راجع أيضاً كتاب إثبات الهداء بالنصوص و المعجزات لحر العاملي، و فرائد السمطين للحموي الشافعي، و ينابيع المودة للحافظ القندوزي الحنفي و غيرها كثير.

ص: ٦٢

و تكفي هنا الإشارة الى أن بعض هذه الكتب قد دوّنت قبل ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بفترة طويلة تفوق القرن و فيها أحاديث شريفة تضمنت النص على إمامته و الإخبار عن غيبته و طول هذه الغيبة قبل وقوعها و هذا أوضح شاهد على صحتها كما استدل بذلك العلماء إذ جاءت الغيبة مصدقة لما أخبرت عنه النصوص المتقدمة عليها و في ذلك دليل واضح على صدورها من ينابيع الوحي^{٥٧}.

٢- في كل زمان إمام شهيد على امته

قال تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً^{٥٨}.

و قال: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ^{٥٩}.

و قال: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ...^{٦٠}

و قال: وَ نَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كُنُوا يَفْتَرُونَ^{٦١}.

إن هذه الآيات الكريمة تتحدث عن الاحتجاج الإلهي على البشر يوم القيامة، و هو الاحتجاج نفسه الذي لاحظناه في آيتي سورة الإسراء

(١) راجع هذا الاستدلال في مقدمة كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق : ١٢، و الفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد، و كذلك الرسالة الخامسة من رسائل الغيبة . و كتاب الغيبة للشيخ الطوسي : ١٠١ و ما بعدها، و إعلام الوري للشيخ الطبرسي: ٢/ ٢٥٧ و ما بعدها و كشف المحجة للسيد ابن طاووس: ١٠٤، و غيرها.

(٢) النساء (٤): ٤١.

(٣) النحل (١٦): ٨٤.

^{٥٧} (١) راجع هذا الاستدلال في مقدمة كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق : 12، و الفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد، و كذلك الرسالة الخامسة من رسائل الغيبة و كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: 101 و ما بعدها، و إعلام الوري للشيخ الطبرسي: 2/ 257 و ما بعدها و كشف المحجة للسيد ابن طاووس: 104، و غيرها.

^{٥٨} (٢) النساء (4): 41.

^{٥٩} (٣) النحل (16): 84.

^{٦٠} (٤) النحل (16): 89.

^{٦١} (٥) القصص (28): 75.

(٤) النحل (١٦): ٨٩.

(٥) القصص (٢٨): ٧٥.

ص: ٦٣

المتقدمتين، و هي تدعم و تؤكد دلالتهما على حتمية وجود إمام حق في كل عصر يحتج به الله جلّ و علا على أهل كل عصر «كل أمة، كل اناس» فيما يرتبط بالهداية و الضلال و انطباق أعمالهم على الدين الإلهي القيم.

واضح أن مقتضى كونه حجة لله على خلقه أن يكون عالما بالشرعية الإلهية من جهة لكي يكون قادرا على هداية الخلق إليها و أن يكون بين أظهرهم للقيام بذلك، هذا أولا، و ثانيا أن يكون محيطا بأعمال قومه لكي يكون شهيدا عليهم، أي يستطيع الشهادة يوم القيامة بشأن مواقفهم تجاه الدين القيم.

و واضح أن الشهادة المذكورة في هذه الآيات مطلقة، «و ظاهر الجميع على إطلاقها هو الشهادة على أعمال الأمم و على تبليغ الرسل أيضا»^{٦٢} و قد صرح الزمخشري في الكشف بذلك و قال: «لأن أنبياء الأمم شهداء يشهدون بما كانوا عليه»^{٦٣}، عليه»^{٦٤}، و أن الشهيد : «يشهد لهم و عليهم بالايمان و التصديق و الكفر و التكذيب»^{٦٤}. و الشهيد يجب أن يكون حيا معاصرا لهم غير متوفى كما يشير لذلك قوله تعالى على لسان عيسى (عليه السلام): **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**^{٦٥}.

يسفاد من هذه الآية أن إعلان نتاج الشهادة يكون في يوم القيامة لكن الإحاطة بموضوعها أي أعمال القوم يكون في الدنيا و خلال معاصرة الشهيد لامتة لقوله تعالى : **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي** ...، لذلك يجب أن يكون الشهيد الذي يحتج به الله يوم القيامة معاصرا لمن يشهد عليهم، لذلك لا يمكن حصر الشهداء على الأمم بالأنبياء (عليهم السلام) كما فعل الزمخشري

(١) تفسير الميزان: ٣٢ / ١.

(٢) تفسير الكشاف: ٣ / ٤٢٩.

(٣) تفسير الكشاف: ٢ / ٦٢٦.

(٤) المائدة (٥): ١١٧.

ص: ٦٤

^{٦٢} (١) تفسير الميزان: 32 / 1.

^{٦٣} (٢) تفسير الكشاف: 429 / 3.

^{٦٤} (٣) تفسير الكشاف: 626 / 2.

^{٦٥} (٤) المائدة (5): 117.

فى تفسيره^{٦٦}، بل يجب القول بأن فى كل عصر شهيد على أعمال معاصريه، كما صرح بذلك الفخر الرازى فى تفسيره حيث قال: «أما قوله تعالى: **وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا**، فالمراد ميّزنا واحدا ليشهد عليهم، ثم قال بعضهم هم الأنبياء يشهدون بأنهم بلغوا القوم الدلائل وبلغوا فى إيضاحها كل غاية ليعلم أن التقصير منهم أى من الناس فيكون ذلك زائدا فى غمهم.

وقال آخرون: بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس فى كل زمان، ويدخل فى جملتهم الأنبياء، وهذا أقرب لأنه تعالى عم كل أمة وكل جماعة بأن ينزع منهم الشهيد فيدخل فيه الأحوال التى لم يوجد فيها النبى و هى أزمنة الفترات و الأزمنة التى حصلت بعد محمد (صلى الله عليه وآله) فعلموا حينئذ أن الحق لله و لرسوله...»^{٦٧}.

إذن فلا بد من وجود شهيد على الأمة فى هذا العصر كما هو الحال فى كل عصر، يؤيد ذلك استخدام آيتى سورة النساء و الحج لاسم الإشارة «هؤلاء» فى الحديث عن شهادة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله): **وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ** إشاره الى معاصريه فيما يكون شهداء آخرون على الأجيال اللاحقة^{٦٨}. فمن هو الشهيد علينا فى هذا العصر؟ ! نعود الى الآيات الكريمة لمتابعة ما تحدده من الصفات الهادية الى معرفته و الإجابة على هذا التساؤل .

صفات الشهيد الإمام

إن الآية (٨٩) من سورة الحج تصرّح بأنه من البشر أنفسهم شهيدا من أنفسهم و هو المستفاد من الآيات الاخرى فهى تستخدم «من» التبعية فى

(١) تفسير الكشاف: ٣ / ٤٢٩.

(٢) التفسير الكبير: ٢٥ / ١٢ - ١٣. راجع فى ذلك مجمع البيان: فى ذيل الآية.

(٣) التفسير الكبير: ٢٥ / ١٢ - ١٣، و تفسير الكشاف: ٢ / ٦٢٨.

ص: ٦٥

قوله تعالى: **مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ**.*

فالشهيد هو كالأنبياء بشر، لا هو من الملائكة و لا من الجن و لا من الكتب السماوية و لا اللوح المحفوظ، و فى هذا تأييد لما تقدم فى الحديث عن آيتى سورة الإسراء أن المقصود فيهما من الإمام شخص لا كتاب سماوى، إذ أن الآيتين تتحدثان عن الاحتجاج الإلهى به على أمته و هذا هو دور الشهيد فى هذه الآيات أيضا، فالمقصود واحد فى كلتا الحالتين، فالإمام هو أيضا منهم.

^{٦٦} (١) تفسير الكشاف: ٣ / 429.

^{٦٧} (٢) التفسير الكبير: 12 / 25 - 13. راجع فى ذلك مجمع البيان فى ذيل الآية.

^{٦٨} (٣) التفسير الكبير: 12 / 25 - 13، و تفسير الكشاف: 2 / 628.

و الآيات الكريمة تستخدم صيغة المفرد في وصفه، أى إنَّ الشهيد على قومه واحد في زمانه الذى يعاصره حيا، و هذا ينسجم مع استخدام آية سورة الإسراء المتقدمة لصيغة المفرد في ذكر الإمام **كُلُّ أَنَاثِ بِلَامِهِمْ**. الأمر الذى ينفى التفسير القائل بأن الأمة الإسلامية جمعاء أو جماعة المؤمنين الآمرة بالمعروف و الناهية عن المنكر هى الشهيدة على أعمال قومها أو الأقوام الأخرى المعاصرة لها، و الأمر نفسه يصدق على نفى القول بأن مصداق هذه الآيات هم «الأبدال» الذين لا يخلو منهم زمان كما ورد فى الروايات المروية من طريق الفريقين^{٦٩}. بل شهيد الأعمال فى زمانه واحد لا أكثر.

و حيث إن دوره هو الشهادة على أعمال امته بالكفر و التكذيب أو الإيمان و التصديق كما تقدم القول عن الزمخشري و هذه حالات قلبية و حيث إن: «من الواضح أن هذه الحواس العادية فينا و القوى المتعلقة بها منا لا تتحمل إلّا صور الأفعال و الأعمال فقط، و ذلك التحمل أيضا إنما يكون فى شىء يكون موجودا حاضرا عند الحس لا معدوما و لا غائبا عنه، و أما حقائق الأعمال و المعانى النفسانية من الكفر و الإيمان و الفوز و الخسران، و بالجملة

(١) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي: ١/ ٢٧٤، نقلا عن مسند أحمد و غيره من المجاميع الروائية لأهل السنة.

ص: ٦٦

كل خفى عن الحس، و مستبطن عند الإنسان - و هى التى تكسب القلوب و عليه يدور حساب رب العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى: **وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ**^{٧٠}، فهى مما ليس فى وسع الإنسان إحصاؤها و الإحاطة بها و تشخيصها من الحاضرين فضلا عن الغائبين إلّا رجل يتولى الله أمره و يكشف ذلك له بيده»^{٧١}.

لذلك يجب أن تكون للشهيد على أمته إحاطة علمية ربانية هـ بحقائق أعمالهم لأن قيمة الأعمال فى الميزان الإلهي هى لحقائقها الباطنية و دوافعها و نواياها كما هو واضح، لذلك لا يمكن أن يكون هذا الشهيد على أمته شخصا عاديا بل من الذين يحظون بنعمة التسديد الإلهي المباشر و من الذين ارتضاهم الله سبحانه فأطلعهم على غيبه إذ من مصاديق غيبه معرفة بواطن أعمال الناس.

و من المعلوم أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمة، إذ ليست [هى] إلّا كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم، و أما من دونهم من المتوسطين فى السعادة و العدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك ... إن أقل ما يتصف به الشهداء - و هم شهداء الأعمال - أنهم تحت ولاية الله و نعمته و أصحاب الصراط المستقيم»^{٧٢}.

الشهيد عنده «علم الكتاب»

و واضح أن هذا الإطلاع على بواطن الناس غير ممكن بالأسباب الطبيعية المتعارفة بل يحتاج الى نمط خاص من العلم يتفضل به الله تبارك

^{٦٩} (١) راجع معجم أحاديث الإمام المهدي: ١/ 274، نقلا عن مسند أحمد و غيره من المجاميع الروائية لأهل السنة

^{٧٠} (١) البقرة (2): 225.

^{٧١} (2) تفسير الميزان: ١/ 320 - 321.

^{٧٢} (3) تفسير الميزان: ١/ 321.

(١) البقرة (٢): ٢٢٥.

(٢) تفسير الميزان: ١/ ٣٢٠ - ٣٢١.

(٣) تفسير الميزان: ١/ ٣٢١.

ص: ٦٧

و تعالى بحكمته على من يشاء من عباده - و هو عزّ و جلّ الأعلّم حيث يجعل رسالته^{٧٣} - فيتمكن به العبد من تجاوز ما تعارف عليه الناس من الأسباب الطبيعية و القيام بما يمكن ال قيام به بواسطة هذه الأسباب فتكون له مرتبة من الولاية التكوينية و تجاوز الأسباب الطبيعية بإذن الله، و هذا النمط الخاص من العلم هو ما سمى في القرآن الكريم ب «علم الكتاب».

كما نلاحظ ذلك في قصة إتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس من اليمن الى فلسطين في طرفه عين؛ فقد علل القرآن قدرته على القيام بهذا العمل في زمن قصير للغاية بحيث لا يتصور تحقّقه على وفق الأسباب الطبيعية، بما كان لديه من علم الكتاب. لاحظ قوله عزّ و جلّ: **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي**^{٧٤}.

و كان آصف بن برخيا وصيًا لسليمان النبي (عليه السلام) أراد أن يعرف الناس بأنه الحجة من بعده بإبراز علمه المأخوذ من الكتاب^{٧٥}، و كان عنده مقدار معيّن من علم الكتاب و ليس كلّ كما هو واضح من استخدام «من» التبعية في الآية المتقدمة.

و منه يتضح أن الذي لديه علم الكتاب كلّ تكون له مرتبة أعلى من هذه الولاية التكوينية و التصرف في الأسباب و القدرة على الإحاطة ببواطن أعمال الناس و تقديم الشهادة الكاملة بأحقية الرسالة الإلهية.

و عليه فالشهيد على قومه ينبغي أن يكون لديه علم من الكتاب - كلا

(١) إشارة الى قوله تعالى: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** الأنعام (٤): ١٢٤.

(٢) النمل (٢٧): ٤٠.

(٣) قصص الأنبياء للسيد الجزائري: ٤٢٨ نقلا عن تفسير العياشي.

^{٧٣} (١) إشارة الى قوله تعالى: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** الأنعام (٦): ١٢٤.

^{٧٤} (٢) النمل (٢٧): ٤٠.

^{٧٥} (٣) قصص الأنبياء للسيد الجزائري: ٤٢٨ نقلا عن تفسير العياشي.

أو بعضاً - أو يمكن القول كحدّ أدنى بأن الذي عنده هذا النمط الخاص من العلم قادر على ذلك . يقول: عزّ من قائل في آخر سورة الرعد: **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتُ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**^{٧٤}.

و قد ثبت من طرق أهل السنة - كما نقل ذلك الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل^{٧٧} - و من عدّة طرق، و كذلك ثبت من طرق مذهب أهل البيت (عليهم السّلام)^{٧٨}: أن الآية الكريمة نزلت في الإمام على (عليه السّلام)، و إن علم الكتاب عنده و عند الأئمة من أولاده (عليهم السّلام) و ليس هناك من يدعيه غيرهم و قد صدّقت سيرتهم (عليهم السّلام) ذلك و الكثير مما نقله عنهم حفاظ أهل السنة و الشيعة يشهد على صدق مدعاهم هذا.

إذن فالمتحصل من الآيات الكريمة المتقدمة:

١ - حتمية وجود من يجعله الله تبارك و تعالى شهيدا على أعمال العباد في كل عصر بحيث يحتج به على أهل عصره و أمته يوم القيامة، فهو إمام زمانهم الذي يدعون به، و يكون من أنفسهم.

٢ - و هذا الإمام الشهيد قد يكون نبيا و قد يكون من الأوصياء في الفترات التي ليس فيها نبيّ كما هو حال عصرنا الحاضر و العصور التي تلت عصر خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه و آله). إذ الآيات مطلقة تشمل كل الأزمان كما هو ظاهر . فالإمام الشهيد موجود إذن في عصرنا الحاضر.

٣ - و الإمام الشهيد في عصرنا الحاضر حيّ أيضا كما هو المستفاد مما حكاه القرآن الكريم على لسان عيسى (عليه السّلام).

(١) الرعد (١٣): ٤٣.

(٢) شواهد التنزيل: ١ / ٤٠٠ و ما بعدها.

(٣) تفسير الميزان: ١١ / ٣٨٧ - ٣٨٨.

٤ - و لا بدّ أن يكون هذا الإمام الشهيد على أهل زمانه مسدّداً بالعناية الإلهية ممن تفضّل الله عزّ و جلّ عليه بنمط من الولاية التكوينية التي يصل بها الى حقائق أعمال من يشهد لهم أو عليهم يوم القيامة . و مظهر هذا التسديد و الفضل الإلهي هو أن يكون لديه علم من الكتاب أو علم الكتاب كلّ.

^{٧٦} (١) الرعد (١٣): ٤٣.

^{٧٧} (٢) شواهد التنزيل: ١ / ٤٠٠ و ما بعدها.

^{٧٨} (٣) تفسير الميزان: ١١ / ٣٨٧ - ٣٨٨.

٥- و حيث إن مثل هذا الشخص غير ظاهر فلا بد من القول بغيبته الظاهرية، و قيامه بما يؤهله لأن يحتج الله تبارك و تعالى به يوم القيامة خلال غيبته.

٦- قد ثبت - من طرق أهل السنة و الشيعة - أن لدى الإمام على و الأئمة من أولاده (عليهم السلام) علم الكتاب حسب ما نص عليه القرآن الكريم بالوصف الذي لا ينطبق على غيره.

و قد أثبت المفسر الكبير العلامة محمد حسين الطباطبائي (رحمه الله) في كتابه القيم «الميزان في تفسير القرآن»، عدم انسجام الأقوال الاخرى مع منطوق الآية الأخيرة من سورة الرعد لذلك فإن المواصفات المستفادة من الآيات الكريمة تنطبق عليهم، و حيث لم يدع غيرهم ذلك فانحصر الأمر بهم.

و قولهم في الإمام الثاني عشر منهم، و هو محمد بن الحسن العسكري - عليهم السلام جميعا - و قولهم بغيبته و قيامه بمهام الإمامة و ما تقتضيه مهمة الشهادة على أهل زمانه يوم القيامة؛ ينسجم بشكل كامل مع دلالات الآيات الكريمة المتقدمة التي لا تنطبق على غيره كما هو واضح بالاستقراء لعقائد الفرق الاخرى.

إن هذه الطائفة من الآيات الكريمة تهدى الى حتمية وجود مهدى آل البيت (عليهم السلام) و غيبته و قيامه بما تقتضيه مسؤولية الشهادة الاحتجاجية يوم القيامة. و هذا ما تؤكد كما سوف نرى الآيات اللاحقة.

ص: ٧٠

٣- لا يخلو زمان من هاد الى الله بأمره

قال تعالى: **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**^{٧٩}.

تصرّح الآية الكريمة و على نحو الإطلاق بأن **لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**. و استنادا الى إطلاقها يستفاد أن ثمة هاد الى الحق في كل عصر.

و هذه الحقيقة منسجمة مع ما تدل عليه الآيات الكريمة و صحاح الأحاديث الشريفة و البراهين العقلية من أن ربوبيّة الله لخلقه اقتضت أن يجعل سبحانه و تعالى لهم في كل عصر حجة له عليهم يهديهم الى الحق، طبقا لسننه الجارية في جميع مخلوقاته في هدايتهم الى الغاية من خلقها فهو كما قال: **الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**^{٨٠}. و هذه السنة جارية على بنى الإنسان أيضا فهو تعالى الذى خلقهم و قدّر بأن يهديهم الى كمالاتهم المقدرة لهم و يدلهم على ما فيه صلاحهم فى دنياهم و اخراهم.

معنى الآية الكريمة هو أن الكفار يقترحون على ك [أيها النبي الخاتم (صلى الله عليه و آله)] آية؛ و عندهم القرآن أفضل آية؛ و ليس إليك شىء من ذلك، و إنما أنت هاد تهديهم من طريق الإنذار، و قد جرت سنة الله فى عباده على أن يبعث فى كل قوم هاديا يهديهم.

^{٧٩} (1) الرعد (13): 7.

^{٨٠} (2) الأعلى (87): 2-3 و راجع تفسيرها في الجزء العشرين من تفسير الميزان

و الآية التى ذكرت أعلاه تدل على أن الأرض لا تخلو من هاد يهدى

(١) الرعد (١٣): ٧.

(٢) الأعلى (٨٧): ٢-٣ و راجع تفسيرها فى الجزء العشرين من تفسير الميزان.

ص: ٧١

الناس الى الحق، «إما أن يكون نبيا و إما أن يكون هاديا غير نبيّ يهدى بأمر الله»^{٨١} .. و إطلاق الآية الكريمة ينفى حصر مصداق «الهادى» فى الآية بالأنبياء (عليهم السلام) كما ذهب لذلك الزمخشري فى الكشاف فى تفسير الآية . لأن هذا الحصر يخرج الفترات التى لم يكن فيها نبيّ من حكم الآية الكريمة العام و هذا خلاف ظاهرها المصرّح بوجود هاد فى كل عصر لا تخلو الأرض منه.

فمن هو الهادى فى عصرنا الحاضر؟ نرجع الى القرآن الكريم للحصول على الإجابة، فنلاحظ الآيات الكريمة تحصر أمر الهداية الى الحق على نحو الأصالة بالله تبارك و تعالى، ثم تثبتتها للهادين بأمره على نحو التبعية، يقول عزّ و جلّ : **قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**^{٨٢}.

تلخص الآية الكريمة و بلغة إحتجاجية الرؤية القرآنية لموضوع الهداية الى الحق التى فصلتها العديد من الآيات الكريمة، و هى حصر الهداية الى الحق بالله تبارك و تعالى على نحو الإطلاق: «قل الله يهدى الى الحق».

ثم قررت الآية الكريمة أن الذى يجب اتباعه من الخلق ليس الذى لا يستطيع أن يهدى إلّا أن يهتدى بغيره من البشر، بل الذى يكون مهتديا بنفسه دون الحاجة الى غيره من البشر، فإن الكلام فى الآية - كما يقول العلامة الطباطبائي (رحمه الله) فى تفسيرها: «قد قوبل فيه قوله: **يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ** بقوله **أَمَّنْ لَا يَهْدِي** مع أن الهداية الى الحق يقابلها عدم الهداية الى الحق، و عدم الاهتداء الى الحق يقابله الاهتداء الى الحق، فلازم هذه المقابلة الملازمة بين الاهتداء بالغير و عدم الهداية الى الحق، و كذا الملازمة بين

(١) تفسير الميزان: ١/ ٣٠٥.

(٢) يونس (١٠): ٣٥.

ص: ٧٢

^{٨١} (١) تفسير الميزان: 1/ 305.

^{٨٢} (٢) يونس (10): 35.

الهداية الى الحق والاهتداء بالذات فالذى يهذى الى الحق يجب أن يكون مهتديا بنفسه لا بهداية غيره و الذى يهتدى بغيره ليس يهذى الى الحق أبدا.

هذا ما تدل عليه الآية بحسب ظاهرها الذى لا ريب فيه و هو أعدل شاهد على أن الكلام موضوع فيها على الحقيقة دون التجوزات المبنية على المساهلة التى نبني عليها و نتداولها فيما بيننا معاشر أهل العرف فننسب الهداية الى الحق الى كل من تكلم بكلمة حق و دعا إليها و إن لم يعتقد بها أو اعتقد و لم يعمل بها أو عمل و لم يتحقق بمعناها، و سواء اهتدى إليها بنفسه أو هداه إليها غيره.

بل الهداية الى الحق - التى هى الإيصال الى صريح الحق و متن الواقع - ليس إلّا لله سبحانه أو لمن اهتدى بنفسه أى هداه الله سبحانه من غير واسطة تتخلل بينه و بينه، فاهتدى بالله و هدى غيره بأمر الله سبحانه ... و قد تبين بما قدمناه فى معنى الآية أمور:

أحدها: أن المراد بالهداية الى الحق ما هو بمعنى الإيصال الى المطلوب دون ما هو بمعنى إراءة الطريق المنتمى الى الحق فإن وصف طريق الحق يتأتى من كل أحد سواء اهتدى الى الحق بنفسه أو بغيره أو لم يهتد.

و ثانيها: أن المراد بقوله: **أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي** هو من لا يهتدى بنفسه، و هذا أعم من أن يكون ممن يهتدى بغيره أو يكون ممن لا يهتدى أصلا لا بنفسه و لا بغيره ...

و ثالثها: أن الهداية الى الحق - بمعنى الإيصال إليه - إنما هى شأن من يهتدى بنفسه : أى لا واسطة بينه و بين الله سبحانه فى أمر الهداية إما من بادئ أمره أو بعناية خاصة من الله سبحانه كالأنبياء و الأوصياء من الأئمة. و أما الهداية بمعنى إراءة الطريق و وصف السبيل فلا يختص به تعالى و لا بالأئمة

ص: ٧٣

من الأنبياء و الأوصياء، كما يحكيه الله تعالى عن مؤمن آل فرعون إذ يقول:

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ^{٨٣} ...

و أما قوله تعالى خطابا للنبي (صلى الله عليه و آله) و هو إمام: **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**^{٨٤} و غيرها من الآيات فهى مسوقة لبيان الأصالة و التبعية كما فى آيات التوفى و علم الغيب و نحو ذلك مما سبقت لبيان أن الله سبحانه هو المالك لها بالذات و الحقيقة، و غيره يملكها بتملك الله ملكا تبعية أو عرضيا و يكون سببا لها بإذن الله، قال تعالى: **وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**^{٨٥}، و فى الأحاديث اشارة الى ذلك و أن الهداية الى الحق شأن النبي و أهل بيته -

^{٨٣} (1) المؤمن (40): 38.

^{٨٤} (2) القصص (28): 56.

^{٨٥} (3) الأنبياء (21): 73.

صلوات الله عليهم أجمعين . انتهى قول العلامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسير الآية ملخصا و قد عرض الأقوال الاخرى الواردة في تفسير الآية و بين عدم انسجامها مع منطوق الآية نفسها^{٨٦}.

و المتحصّل من التدبر فيها هو حصر الهداية الى الحق بمعنى الايصال الى صريحه بالله تبارك و تعالى بالأصالة و بالتبع بمن كان مهديا بنفسه من قبل الله تبارك و تعالى إذ يتحلّى بدرجة عالية من الاستعداد الذاتى لتلقى المنح الخاصة بالهداية من الله تبارك و تعالى سواء عن طريق الوحي إذا كان نبيا أو عن طريق الإلهام الإلهي الخاص إذا لم يكن نبيا؛ و كذا لك للحصول على «أمر الله» للقيام بمهمة الهداية اليه عزّ و جلّ، و مراجعة الآيات التي تتحدث عن «أمر الله» تقودنا - و بوضوح - الى معرفة أنه يشمل الولاية التكوينية و التصرف الخاص إذ لا تجد آية في القرآن الكريم تذكر «أمر الله» دون أن يقتصر معناه على ولايته التكوينية أو يشملها الى جانب الولاية التشريعية «فالإمام هاد يهdy بأمر

(١) المؤمن (٤٠): ٣٨.

(٢) القصص (٢٨): ٥٦.

(٣) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٤) تفسير الميزان: ١٠ / ٥٦ - ٦١.

ص: ٧٤

ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم»^{٨٧}.

و بهذه الولاية التكوينية يستطيع الهادي الى الله بأمره أن يتصرف بالأسباب و يصل الى حقائق و بواطن العباد فيعطيه من حقائق الهداية ما يناسبهم، و هذا التصرف هو الذي ساقنا إليه التدبر في الآيات الناصة على وجود شهيد في كل زمان على أهل عصره.

الهادي منصوب من الله .

و بالرجوع ثانية الى القرآن الكريم نجده يصرّح بأن الذي يكون هاديا للناس بأمر الله تبارك و تعالى هو الإمام المنصوب لذلك من قبل الله تعالى كما هو واضح من قوله تعالى: **وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**^{٨٨}.

و في هذا تأكيد لما دلّت عليه آيات الإمامة و أنها عهد إلهي يجعله الله فيمن يختاره من عباده، كما أشرنا لذلك في الحديث عن آيات سورة الاسراء و صفات الإمام.

^{٨٦} (٤) تفسير الميزان: 10 / 56 - 61.

^{٨٧} (١) تفسير الميزان: 1 / 272.

^{٨٨} (٢) الأنبياء (21): 73.

نعود للآية مورد البحث من سورة الرعد فهي تصرّح بأنه **لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ** على نحو الإطلاق و مصداق الهادى المراد فيها لا يمكن أن يكون أحد الكتب السماوية للسبب نفسه الذى أوردناه فى معرفة مصداق «الإمام» فى آية سورة الإسراء، كما لا يمكن حصر المصداق بالنبي لما قلنا من أنه يخرج الفترات التى ليس فيها نبي من حكم الآية و هذا خلاف ظاهر الآية العام الذى يشمل جميع الأزمان.

كما لا يمكن أن يكون المصداق المقصود فى الآية هو الله سبحانه و تعالى؛ لأن هدايته تشمل جميع الأزمنة دونما تخصيص بقوم دون قوم، و هذا خلاف ظاهر الآية، خاصة و أن لفظة «هاد» جاءت بصيغة النكرة، الأمر

(١) تفسير الميزان: ٢٧٢ / ١.

(٢) الأنبياء (٢١): ٧٣.

ص: ٧٥

الذى يفيد تعدد الهداء.

يضاف الى كل ذلك أن الهداية الإلهية للناس تكون بواسطة هداة من أنفسهم مرتبططين به تبارك و تعالى يتلقون منه الهداية و ينقلونها الى عبادهم، و هؤلاء هم المهتدون بأنفسهم منه تبارك و تعالى دونما واسطة كما تقدم فى تفسير آية سورة يونس و هم الذين يهدون بأمره تعالى. و هم الأئمة المنصوبون للهداية بأمره تعالى كما تقدم حيث لم يرد فى القرآن الكريم وصف الهداية بأمره إلّا فى موردتين اقترن فيهما بوصفى «الأئمة» و إختيارهم لذلك من قبل الله تعالى، و الموردان هما آية سورة الأنبياء المتقدمة و آية سورة السجدة: **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**^{٨٩}.

و تكون النتيجة المتحصلة من التدبر فى الآية الكريمة مورد البحث هى حتمية وجود إمام هاد الى الله بأمره تبارك و تعالى منصوب لذلك من قبله عزّ و جلّ فى كل عصر فلا تخلو الأرض منه سواء أ كان نبيا أو غير نبي.

و حيث إن مثل هذا الشخص غير ظاهر فى عصرنا الحاضر؛ إذ لا يوجد بين المسلمين - من أى فرقة كانت - من يقول بوجود إمام ظاهر هاد بأمر الله منصوب من قبله تعالى ورد النص عليه ممّن قوله حجة إلهية كما تقدم فى البحث عن آية سورة الإسراء؛ لذا فلا مناص من القول بغيبته و استتاره، و قيامه بمهام الإمامة و الهداية مستترا بأستار الغيبة، فيكون الانتفاع به مثل الانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب كما ورد فى الأحاديث الشريفة^{٩٠}.

و هذا ما تقول به مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فى الامام المهدي و غيبته.

(١) السجدة (٣٢): ٢٤.

^{٨٩} (١) السجدة (32): 24.

^{٩٠} (٢) راجع الحديث الذى يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه و آله المروي فى كمال الدين 1/ 253 و كفاية الأثر: 53 و غيرهما.

(٢) راجع الحديث الذى يرويه جابر بن عبد الله الأنصارى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) المروى فى كمال الدين:

١/ ٢٥٣ و كفاية الأثر: ٥٣ و غيرهما.

ص: ٧٧

الفصل الرابع المهدى الموعود و غيبته فى المتفق عليه من السنة

الى جانب الآيات الكريمة المتقدمة توجد بين أيدينا الكثير من الأحاديث الشريفة التى صحت روايتها عند أهل السنة و الشيعة عن سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) بطرق كثيرة، تؤكد دلالات الطائفة المتقدمة من الآيات الكريمة و تفصل مجملاتها و تكمل الصورة التى ترسمها فيما يرتبط بالدلالة على وجود الإمام المهدى الموعود (عليه السلام) بالفعل و غيبته و تصرح بالمصادق الذى دلت عليه الآيات الكريمة بذكر صفاته العامة.

و نختار هنا نماذج من الأحاديث الشريفة المتواترة أو المستفيضة المروية بأسانيد صحاح يحد عند أهل السنة و المروية فى الكتب الستة المعتمدة عندهم لأن الاحتجاج بها أبلغ، و لأن تفسيرها و تقديم المصادق المعقول لها غير ممكن إلا على ضوء عقيدة أهل البيت فى المهدى المنتظر (عليه السلام) فيما يرتبط بعصرنا الحاضر خاصة؛ و لأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، قد صرح فى هذه الأحاديث المختارة بالأهمية القصوى التى تحظى بها مضامينها كما سنرى.

ص: ٧٨

١- حديث الثقلين

و هو من الأحاديث المتواترة، رواه حفاظ أهل السنة و الشيعة بأسانيد صحيحة عن جم غفير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، عدّ ابن حجر - من علماء أهل السنة - أكثر من عشرين منهم فى كتابه الصواعق المحرقة^{٩١} و عدّ غيره من حفاظ أهل السنة أكثر من ثلاثين صحابيا كما فى سنن الترمذى^{٩٢}، و ألف الحافظ أبو الفضل المقدسى المعروف بابن القيسراني - و هو من كبار حفاظ أهل السنة - كتابا خاصا عن طرق هذا الحديث الشريف^{٩٣}. كما أثبتت العديد من الدراسات الحديثية تواتره بما لا يدع أى مجال للنقاش أو التشكيك، نظير ما فعل العلامة المتتبع المير حسين حامد الموسوى فى موسوعة عبقات الأنوار و غيره من العلماء^{٩٤}.

و يتضح من روايات هذا الحديث الشريف أن النبى المكرم (صلى الله عليه وآله) قد كرر مضمونه بعبارات و ألفاظ متقاربة فى عدة مناسبات، منها فى يوم عرفة من حجة الوداع، و موقف يوم الغدير فى طريق عودته منها و بعد انصرافه من الطائف،

^{٩١} (١) الصواعق المحرقة 150 من الطبعة المصرية و قد صرح ابن حجر بتواتره

^{٩٢} (٢) سنن الترمذى: 5/ 621-622- مناقب أهل بيت النبي باب 32.

^{٩٣} (٣) أهل البيت فى المكتبة العربية للسيد عبد العزيز الطباطبائي 277-279.

^{٩٤} (٤) أصدرت دار التقريب الإسلامية فى مصر رسالة مفصلة ألفها أحد أعضاء الدار عن هذا الحديث استوفى فيها أسانيد الحديث فى الكتب المعتمدة عند أهل السنة.

و في الجحفة، و في خطبة له في مسجد ه بالمدينة بعد عودته من هذه الحجة، و في حجرته أيام مرضه (صلى الله عليه و آله) و قد امتلأت الحجرة بالصحابة^{٩٥}. و كل ذلك يكشف عن أهمية الوصية النبوية التي تضمنها الحديث بالنسبة للإسلام

(١) الصواعق المحرقة: ١٥٠ من الطبعة المصري و قد صرح ابن حجر بتواتره.

(٢) سنن الترمذی: ٥/ ٦٢١-٦٢٢- مناقب أهل بيت النبي باب ٣٢.

(٣) أهل البيت في المكتبة العربية للسيد عبد العزيز الطباطبائي: ٢٧٧-٢٧٩.

(٤) أصدرت دار التقريب الإسلامية في مصر رسالة مفصلة ألفها أحد أعضاء الدار عن هذا الحديث استوفى فيها أسانيد الحديث في الكتب المعتمدة عند أهل السنة.

(٥) الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٤٨، أهل البيت في المكتبة العربية: ٢٧٩.

ص: ٧٩

و المسلمين و إلا لما أولاها- و هو الحريص على المؤمنين الرؤوف الرحيم بهم- كل هذا الاهتمام في التكرار و التبليغ في تلك المواطن المهمة التي تجمع أكبر عدد من المسلمين، خاصة و أنه (صلى الله عليه و آله) كان يبادر لإعلان هذه الوصية و يؤكد لها على الملأ العام دون أن ينتظر من يسأله عنها.

و يستفاد من بعض الروايات أن مضمون الوصية التي تضمنها هذا الحديث الشريف، هو الذي أراد رسول الله محمد (صلى الله عليه و آله) كتابته للمسلمين في الأيام الأخيرة من حياته المباركة عند ما طلب أن يأتوه بكتف و دواة ليملى عليهم وصية لكي لا يضلوا بعده، كما ورد في نص حديث الكتف و الدواة هذا المروي في صحيح البخاري^{٩٦} و غيره فمنعوه من ذلك و وقع الاختلاف فصرفهم كما في حديث رزية يوم الخميس المشهور دون أن يدون الوصية، إذ يلاحظ أن عبارة «لن تضلوا بعدى» المذكورة في حديث طلبه كتابة الوصية عبارة متكررة في حديث التقلين أيضا، كما تكررت وصيته بأهل بيته و عترته خيرا في حديث الثقلين و في وصاياه في الساعات الأخيرة من حياته المباركة.

و يظهر من ذلك بوضوح أن النبي الأكرم (صلى الله عليه و آله) أراد تسجيل مضمون الحديث الشريف في وثيقة نبوية حاسمة للجدال مدونة بحضور كبار صحابته قطعا للجدال و توكيدا للأمر . و كل ذلك يبين أن الموضوع الذي يتضمنه مهم للغاية و إلا لما أكد عليه هادي الأمم (صلى الله عليه و آله) بهذه الدرجة المشددة، و هذا الأمر يكشف عنه نص الحديث نفسه المصريح بأن العمل بالوصية التي يتضمنها هو

^{٩٥} (5) الصواعق المحرقة لابن حجر: 148، أهل البيت في المكتبة العربية: 279.

^{٩٦} (1) صحيح البخاري: 1/ 37، 4/ 31، 4/ 65-66، 5/ 137، 7/ 9، 8/ 161 من طبعة دار الفكر المصورة عن طبعة استانبول و في جميعها وردت عبارة «لن تضلوا بعدى» في الحكاية عن مضمون الكتاب الذي أراد كتابته

(١) صحيح البخارى: ٣٧ / ١، ٣١ / ٤، ٤٥ - ٤٦، ١٣٧ / ٥، ٩ / ٧، ١٦١ / ٨ من طبعة دار الفكر المصورة عن طبعة استانبول و فى جميعها وردت عبارة «لن تضلوا بعدى» فى الحكاية عن مضمون الكتاب الذى أراد كتابته.

ص: ٨٠

سبيل النجاة من الضلالة بعده (صلى الله عليه و آله) ... كما سيتضح أكثر خلال دراسة نصه.

كما أن ثبوت تواتر الحديث الشريف عند المسلمين كافة يجعل من الممكن الاستناد إليه فى المسائل الاعتقادية كما هو ثابت فى علم الكلام الاسلامى، لذا يمكن الاستناد اليه فى قضية الإمامة.

اللفظ المتواتر: كتاب الله و عترتى

و اللفظ المتواتر لهذا الحديث الشريف هو الذى ورد فيه ذكر القرآن الكريم و أهل بيت النبى أو عترته - صلوات الله و سلامه عليه و عليهم - كمصداق للتقلين و الأمر بالتمسك بهما منجاء من الضلالة الى يوم القيامة، طبق ما رواه البخارى فى كتابه التأريخ الكبير و مسلم فى صحيحه و الترمذى فى سننه و كذلك النسائى فى خصائصه و ابن ماجه فى سننه، و أحمد بن حنبل فى مسنده، و الحاكم فى مستدركه و صححه على شرط الشيخين و وافقه فى ذلك الذهبى، و غيرهم كثير^{٩٧}، و ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن زيد بن أرقم هو قوله: «... قام رسول الله (صلى الله عليه و آله) فىنا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة و المدينة فحمد الله و أثنى عليه و وعظ و ذكر، ثم قال:

«أما بعد، أيها الناس، فإنما أنا بشر و يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به ... و أهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى»^{٩٨}.

و أخرج الترمذى فى سننه بسنده عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: «إنى تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم

(١) راجع تلخيص و تعريب السيد على الميلانى للجزء الخاص بطرق حديث الثقلين من موسوعة عبقات الأنوار و قد طبع هذا التلخيص مرتين. الأولى فى مجلدين و الثانية فى ثلاث مجلدات.

(٢) صحيح مسلم: ١٨٧٣ / ٤.

ص: ٨١

^{٩٧} (١) راجع تلخيص و تعريب السيد على الميلانى للجزء الخاص بطرق حديث الثقلين من موسوعة عبقات الأنوار و قد طبع هذا التلخيص مرتين. الأولى فى مجلدين و الثانية فى ثلاث مجلدات.
^{٩٨} (٢) صحيح مسلم: ١٨٧٣ / ٤.

من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء الى الأرض، و عترتي أهل بيتي و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^{٩٩}.

و أخرج الحاكم في مستدركه ما نصّه:

«كأنني قد دعيت فأجبت، إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله و عترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا [يفترقا] حتى يردا على الحوض، إن الله مولاي، و أنا ولي كل مؤمن. من كنت مولاه فعلى مولاه. اللهم وال من والاه و عاد من عاداه»^{١٠٠}.

و أخرج ابن حجر في صواعقه ما نصّه:

«إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتي أهل بيتي، إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدى أبدا و لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فلا تقدموهم فتهلكوا و لا تقصروا عنهم فتهلكوا و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^{١٠١}.

و الألفاظ الأخرى التي أخرجها باقى الحفاظ مقارنة لهذه النصوص . و فى جميعها ورد الحديث بلفظ «كتاب الله و أهل بيتي»، و هو اللفظ المتواتر، لذا فلا اعتبار فى مقابله باللفظ المحرف الذى استبدل عبارة «عترتي أهل بيتي» بكلمة «سنتي»، فأهداف هذا التحريف واضحة و الإصرار على ترويجه ارتبط بمصالح الأمويين و العباسيين السياسية، يضاف الى ذلك أن هذا اللفظ المحرف لم يرو فى المصادر المعتبرة^{١٠٢}، و هو فى أفضل الأحوال من روايات الآحاد

(١) سنن الترمذى: ٥ / ٦٦٢.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ٣ / ١٠٩.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٥٠، الفصل الأول/ الآيات الواردة فيهم.

(٤) راجع رسالة الثقلين الصادرة عن دار التقريب الإسلامية فى مصر: ١٨ و راجع مناقشة السيد محمد تقى الحكيم لإعتبار هذه الرواية ضمن حديثه عن دلالات حديث الثقلين فى فصل السنة من كتابه الأصول العامة للفقهاء المقارن.

ص: ٨٢

الضعيفة التى لا تفيد علما و لا عملا خاصة فى مسألة عقائدية مهمة كالتى يتناولها مضمون الحديث.

^{٩٩} (١) سنن الترمذى: ٥ / 662.

^{١٠٠} (٢) المستدرک على الصحيحين: 3 / 109.

^{١٠١} (٣) الصواعق المحرقة: 150، الفصل الأول/ الآيات الواردة فيهم.

^{١٠٢} (٤) راجع رسالة الثقلين الصادرة عن دار التقريب الإسلامية فى مصر: 18 و راجع مناقشة السيد محمد تقى الحكيم لإعتبار هذه الرواية ضمن حديثه عن دلالات حديث الثقلين فى فصل السنة من كتابه الأصول العامة للفقهاء المقارن

و حتى لو فرضنا صحة رواية هذا اللفظ المحرف - كما فعل ابن حجر في صواعقه - فإن ذلك لا يعارض اللفظ المتواتر و لا ينقص من دلالة العقائدية المهمة، بل إن الجمع بينهما ممكن و هو يضيف تأكيدا لحقيقة أن سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) هي عند أئمة عترته فهم العلماء بالكتاب و السنة، كما أشار لذلك ابن حجر حيث قال : «... و في رواية «كتاب الله و سنتي» و هي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السنة مبينة ل ه؛ فأغنى ذكره عن ذكرهما، و الحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب و بالسنة و بالعلماء بهما من أهل البيت، و يستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة»^{١٠٣}.

دلالات الحديث على وجود الإمام

دلالات الحديث الشريف كثيرة، و قد استدلل به العلماء لاثبات معظم مسائل الإمامة حسب مذهب أهل البيت (عليهم السلام)^{١٠٤}، تقتصر هنا على ذكر أهمها مما يرتبط بموضوع بحثنا خاصة.

١- صرح الحديث الشريف بأن سبيل النجاة من الضلالة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، إنما يكون بالتمسك بالقرآن و العترة النبوية معا: «ما إن نفسكنم بهما»، و ليس بواحد منهما فقط، بمعنى أن التمسك بأحدهما لا يكون تاما و حقيقيا و لن يضمن النجاة من الضلالة إلا إذا اقترن و قاد الى التمسك بالآخر،

(١) الصواعق المحرقة: ١٥٠.

(٢) راجع مثلاً كتاب «حديث الثقلين»، تواتره، فقهه» للسيد علي الميلاني .

ص: ٨٣

فلن يكون مدعى التمسك بأحدهما صادقا في ادعائه لأنهما «لن يفترقا».

٢- حدّد الحديث بوضوح هوية الثقل الثاني بقوله (صلى الله عليه وآله): «عترتي أهل بيتي»، و العترة كما يقول علماء اللغة: «نسل الإنسان، قال الأزهرى : و روى ثعلب عن ابن الأعرابي أن العترة ولد الرجل و ذريته و عقبه من صلبه و لا تعرف العرب من العترة غير ذلك»^{١٠٥}.

و بهذا تخرج نساء النبي (صلى الله عليه وآله) من مصداق الحديث.

بل و حتى مع الأخذ بوصف «أهل بيتي» مجردا تخرج نساء النبي من المصداق لما أخرجه مسلم في صحيحه في ذيل حديث الثقلين حيث وضّح راوى الحديث عن زيد بن أرقم المقصود عند ما سأله: «من أهل بيته، نساؤه؟

^{١٠٣} (١) الصواعق المحرقة: 150.

^{١٠٤} (٢) راجع مثلاً كتاب «حديث الثقلين»، تواتره، فقهه» للسيد علي الميلاني.

^{١٠٥} (١) المصباح المنير للفيومي 391، مادة العترة.

قال: لا و أيم الله، إن المرأة تكون مع الرجل من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها و قومها . أهل بيته أصله و عصبته الذين حرموا الصدقة من بعده»^{١٠٦}.

مصدق أهل البيت (عليهم السلام)

و قد حدّد رسول الله (صلى الله عليه و آله) نفسه مصداق «أهل البيت» بعد نزول آية التطهير، حيث خصصها ببيت فاطمة (عليها السلام)، حيث «انه كان يمر ببيت فاطمة رضى الله عنها ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا، كما روى ذلك أحمد بن حنبل في مسنده^{١٠٧}.

يضاف الى ذلك تصريحه بأن هؤلاء هم أهل بيته في حديث الكساء المشهور و إخراج زوجته أم المؤمنين أم سلمة منهم و قوله لها إنها على خير

(١) المصباح المنير للفيومي: ٣٩١، مادة العترة.

(٢) صحيح مسلم: ٢ / ٣٦٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٣ / ٢٥٩.

ص: ٨٤

لكنها ليست من أهل البيت. و حديث الكساء رواه مسلم في صحيحه و السيوطي في الدر المنثور بعده أسانيد صحيحة طبق طرق أهل السنة^{١٠٨}.

و الثابت أن الإمام علياً (عليه السلام) أدخله في مصداق «أهل البيت» و ان لم يكن من صلبه كما هو ظاهر مما تقدم.

عصمة الإمام و توفر شروط الحديث

٣- إن معرفة مصداق «أهل بيتي و عترتي» في الحديث الشريف تبين صفة أخرى للثقل الثاني هي تحليه بالعصمة كما هو واضح من دلالة آية التطهير المباركة^{١٠٩}، و هذا ما ينسجم مع دلالة الحديث نفسه على عصمة الثقل الثاني، فهو يؤكد عدم افتراق الثقلين أبداً و في أى حال كما هو المستفاد من استخدام أداة «لن» التأييدية، و من الثابت أنه لا باطل في القرآن أبداً، لذا فعدم افتراق الثقل الثاني عنه دال على عصمته و إلّا لافترق عن القرآن في حالات صدور الخطأ أو المعصية و كل مصاديق الباطل، و هذا ما ينفيه الحديث صراحة الأمر الذي يدل على عصمة العترة.

^{١٠٦} (٢) صحيح مسلم: 2 / 362.

^{١٠٧} (٣) مسند أحمد بن حنبل: 3 / 259.

^{١٠٨} (١) راجع مثلاً صحيح مسلم: 7 / 130، و ما رواه الحاكم في المستدرک و صححه على شرط البخاري في

3 / 146، و الدر المنثور للسيوطي: 5 / 198.

^{١٠٩} (٢) راجع البحث القرآني الذي أورده العلامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسير الميزان، في تفسير الآية الكريمة و دلالاتها

و يضاف الى ذلك أن الأمر بالتمسك بهما معا مطلق - كما هو واضح لأنه لم يقيّد بشىء -؛ لذلك فهو يشمل مختلف الأحوال و الأزمان، و لو جاز وقوع العترة بما يخالف العصمة لأدّى ذلك الى القول بأنّ رسول الله (صلى الله عليه و آله) أمر بالتمسك بها حتى فى الحالات التى تقع فى الخطأ و ما يخالف القرآن، و هذا محال.

(١) راجع مثلا صحيح مسلم: ١٣٠ / ٧، و ما رواه الحاكم فى المستدرک و صححه على شرط البخارى فى:

٣ / ١٤٦، و الدر المنثور للسيوطى: ٥ / ١٩٨.

(٢) راجع البحث القرآنى الذى أورده العلامة الطباطبائى (رحمه الله) فى تفسير الميزان، فى تفسير الآية الكريمة و دلالاتها.

ص: ٨٥

كما يتضح مما تقدم إخراج غير المعصومين من ذرية الرسول من مصداق النقل الثانى المأمور بالتمسك به، يقول ابن حجر فى دراسته لهذا الحديث: «ثم إن الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله و سنة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض و يؤيده الخبر السريق: «و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» و تميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و شرفهم بالكرامات الباهرة و المزايا المتكاثرة و قد مر بعضها»^{١١٠}.

و قد أثبت الواقع التأريخى انحصار توفر هذا الشرط بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى الإمام على و الأحد عشر إماما من أولاده و أولاد فاطمة بنت رسول الله أى من ذرية رسول الله (صلى الله عليه و آله)، كما نسب نبي الله عيسى الى ابراهيم من جهة البنت.

فالإمامية مجمعون على عصمتهم و سائر فرق أهل السنة مجمعة على محبتهم و نزاهتهم و لم يدع أحد صدور أى شىء يخالف عصمتهم رغم حرص الحكومات المعاصرة لهم على الحصول على أى شىء من هذا القبيل كما هو ثابت تأريخيا أيضا^{١١١}.

٤- كما أن الأمر بالتمسك بالقرآن و العترة مطلق زمانيا أيضا كما هو واضح من قوله (صلى الله عليه و آله): «من بعدى» دونما تقييد، فهو نافذ المفعول الى يوم القيامة لخلود الشريعة المحمدية حيث لا نبي بعده (صلى الله عليه و آله)، و حيث إن القرآن محفوظ من الله تبارك و تعالى، و العترة هى النقل الملازم له الذى لن يفترق عنه، لذلك فهى محفوظة من الله تبارك و تعالى الى يوم القيامة أيضا.

(١) الصواعق المحرقة: ١٥١.

^{١١٠} (١) الصواعق المحرقة: 151.

^{١١١} (٢) راجع تراجمهم- سلام الله عليهم- فيما كتبه علماء الرجال من أهل السنة، و قد ألف العديد منهم كتباً خاصة بالأئمة الاثني عشر م ن أهل البيت عليهم السلام، أمثال ابن طولون الدمشقي و غيره

(٢) راجع تراجمهم - سلام الله عليهم - فيما كتبه علماء الرجال من أهل السنة، و قد ألف العديد منهم كتباً خاصة بالأئمة الاثنى عشر من أهل البيت عليهم السلام، أمثال ابن طولون الدمشقي وغيره.

ص: ٨٦

من هنا يتضح أن في هذا الحديث الشريف المتواتر نصاً صريحاً على حتمية وجود ممثل لأهل بيت النبي و عترته (صلى الله عليه وآله) يتحلى بالعصمة و ملازمة القرآن في كل عصر لكي يتمسك العباد به و بالذكر الإلهي المحفوظ بهدف النجاة من الضلالة عملاً بوصية نبيهم الخاتم محمد (صلى الله عليه وآله)، و إلا لبطل مضمون هذا الحديث المتواتر الذي ثبت صدوره عن لا ينطق عن الهوى.

فلا بد إذن من وجود إمام معصوم من العترة النبوية في عصرنا الحاضر يكون مصداقاً للثقل الثاني و يكون التمسك به ممكناً. و قد تنبه لهذه الحقيقة و الدلالة الواضحة في حديث الثقلين عدد من كبار علماء أهل السنة و صرح بعضهم بها، مثل ابن حجر الهيتمي حيث قال : و في أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة الى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به الى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك، و لهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي و يشهد لذلك الخبر السابق : «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ...»^{١١٢}.

مصداق الحديث في العصر الحاضر

إذن الحديث الشريف يدل بصراحة على وجود متأهل من عترة النبي (صلى الله عليه وآله) للتمسك به الى جانب القرآن الكريم في عصرنا الحاضر و يشترط فيه أن يكون معصوماً أيضاً، فمن هو هذا الإمام؟

من الواضح أن ليس ثمة إمام ظاهر يدعي ذلك أو تنطبق عليه الصفات المستفادة من هذا الحديث الشريف، فلا بد إذن من القول بوجوده و غيبته لأن القول بعدم وجوده مردود بدلالة حديث الثقلين المتواتر، و هذه هي خلاصة عقيدة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في المهدي الموعود القائمة على الكثير من

(١) الصواعق المحرقة: ١٥١.

ص: ٨٧

الأدلة النقلية و العقلية و القائلة بوجوده و غيبته عن الأبصار دون أن تمنع غيبته إمكانية الانتفاع به كما ينتفع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب.

٢- احاديث الخلفاء الاثنى عشر

^{١١٢} (١) الصواعق المحرقة: 151.

روى أحاديث الخلفاء أو النقباء أو الأمراء أو القيمين الاثنى عشر، أصحاب الصحاح و المسانيد المعتبرة عند أهل السنة بأسانيد صحيحة عن جابر ابن سمرة، كما رووها عن أنس بن مالك و ابن مسعود و عبد الله بن عمر و حذيفة بن اليمان، و كلها مسندة الى رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و مضمون الحديث مروي - بتفصيل أكثر - و بتواتر من طرق أتباع أهل البيت (عليهم السلام) و قد نقل آية الله الشيخ لطف الله الصافي أكثر من (٢٧٠) حديثا بهذا الشأن^{١١٣}.

فهذه الأحاديث من المتفق عليه بين الفرق الاسلامية فلا مجال للتشكيك فى صحة المقدار المشترك بينها على الأقل. لكننا نكتفى هنا بالنصوص المروية فى الكتب المعتبرة عند أهل السنة و تحديد دلالتها و مصداقها - على الرغم من خلوها من التفصيلات الموجودة فى أحاديث الطرق الاخرى لاسباب واضحة - لكى تكون النتيجة حجة على الجميع.

ألفاظ الأحاديث

روى البخارى فى صحيحه بسنده عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبى (صلى الله عليه و آله) يقول: «يكون إثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبى: إنه قال: «كلهم من قريش».

و رواه مسلم فى صحيحه من عدة طرق عن جابر بن سمرة و بعده ألفاظ و فى بعضها لفظ:

(١) راجع كتابه: منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر.

ص: ٨٨

«إن هذا الأمر لا ينقضى حتى يمضى إثنا عشر خليفة...».

«لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم إثنا عشر رجلا...».

«لا يزال الإسلام عزيزا الى إثنى عشر خليفة...».

و تشترك هذه الأحاديث فى أنه لم يسمع ذيل الحديث فأخبره والده بلفظ «كلهم من قريش» و هى التتمة الواردة فى معظم نصوص الحديث.

و رواه الترمذى بلفظ: «يكون من بعدى إثنا عشر أميرا...» و أبو داود بلفظ:

«لا يزال هذا الدين عزيزا الى اثنى عشر خليفة، فكبر الناس و ضجوا ثم قال كلمة خفيت، قلت لأبى: يا أبة ما قال؟ قال: كلهم من قريش».

و رواه أحمد فى مسنده بطرق كثيرة منها بلفظ: «لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة...»، و فى بعضها أن ما قاله رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو: «لا يزال هذا الدين ظاهرا على من ناواه، لا يضره مخالف و لا مفارق حتى يمضى من أمتى

^{١١٣} (١) راجع كتابه: منتخب الأثر فى الإمام الثانى عشر.

إثنا عشر أميرا...»، و في روايات أخرى أنه قاله في عرفات، و في أخرى في يوم الجمعة عشية رجم الأسلمي، و في بعضها أن الرسول عقب عليه بالقول : «... و إذا أعطى الله تبارك و تعالى أحدكم خيرا فليبدأ بنفسه و أهله و أنا فرطكم على الحوض»، و في بعضها أن قريشا جاءت اليه (صلى الله عليه و آله) و سألته عما يكون بعد ذلك فقال: «الهرج».

و رواه الطبراني في المعجم الكبير و في أوله: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيما لا يضرهم من خذلهم...».

و رواه المتقي الهندي في كنز العمال عن أنس بن مالك بلفظ : «لن يزال هذا الدين قائما الى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها»^{١١٤}.

(١) راجع هذه النصوص و التعريف بمصادرها في كتاب منتخب الأثر و معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): ٢ / ٢٥٥-٢٦٥، و كذلك كتاب أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل.

ص: ٨٩

دلالاتها على وجود الإمام المهدي (عليه السلام)

هذه هي النصوص المروية في المصادر المعتبرة عند أهل السنة، و بعد عرضها تثبت الدلالات المستفادة منها كما يلي :

١- الاستفادة من روايات الحديث الشريف أنه جاء ضمن خطبة مهمة ألقاها الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) على المسلمين و في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة، و تصرح مجموعة من رواياته أنها كانت في عرفات في حجة الوداع الشهيرة و هي الخطبة نفسها التي أعلن فيها وصيته الشهيرة بالتمسك بالقرآن و عترته في حديث الثقلين المتواتر الذي دل- كما عرفنا- على حتمية وجود متأهل من أهل البيت (عليهم السلام) للتمسك به الى جانب القرآن و الى يوم القيامة.

و هي الحجة نفسها التي بلغ في طريق عودته منها الأمر القرآني بتنصيب الإمام علي وليا و مرجعا للمسلمين من بعده يخلفه في ذلك.

و هذا التقارن بين هذه الأحاديث الثلاثة و جمع تبليغه ا في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة و إحاطتها بكثير من الأهمية يكشف عن أهمية مضامينها فيما يرتبط بهداية المسلمين الى ما يضمن لهم النجاة على المستويين الفردي و الاجتماعي و استمرار تحرك المسيرة الإسلامية من بعده على الصراط المستقيم و المحجة البيضاء.

فهى تشتمك في الموضوع المستقبلي الذي تدور عليه مضامينها، لذلك لا يمكن القول بأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أراد من أحاديث الائمة الاثني عشر مجرد الإخبار عن واقع تأريخي سيجري بعد وفاته، فهذا ما لا يمكنه تفسير

ص: ٩٠

^{١١٤} (١) راجع هذه النصوص و التعريف بمصادرها في كتاب منتخب الأثر و معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام): 2 / 255-265، و كذلك كتاب أحاديث المهدي في مسند أحمد بن حنبل

الأهمية القصوى التي أحاط بها تبليغه لمضمون هذا الحديث، بل واضح أن تبليغ هذا الحديث في الأيام الأخيرة من حياته الشريفة يأتي في ضمن مساعيه لهداية المسلمين الى ما ينقذهم من الضلالة والانحراف بعده و هو الهدف الذي صرح به في حديث الثقلين، لذا فذكر الأئمة أو الخلفاء الاثنى عشر والإخبار عن مجيئهم بعده هو لهداية المسلمين و صونا لمستقبل مسيرتهم من بعده و إتماما للحجة عليهم . و هذه نقطة محورية مهمة يجب أخذها بنظر الاعتبار لدراسة هذا الحديث و لمعرفة مصداقه.

ترابط أحاديث حجة الوداع

٢- و على ضوء اشتراك الأحاديث الثلاثة في موضوع واحد، فإن مما يعين على فهم هذا الحديث الشريف مورد البحث، ملاحظة ارتباطه بالحديثين الآخرين اللذين بلغهما الرسول محمد (صلى الله عليه و آله) في حجة الوداع نفسها أو على الأقل في فترة زمنية واحدة هي الأيام الأخيرة من حياته الشريفة.

و حقيقة الأمر أن الأحاديث الثلاثة ترسم صورة متكاملة ل طريق اهتداء المسلمين لما يضمن مستقبل مسيرتهم من بعده (صلى الله عليه و آله).

فحديث الثقلين يصرح - كما بينا سابقا - بأن النجاة من الضلالة بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) تكون بالتمسك بالقرآن و العترة و أن لكل زمان رجلا من أهل بيته و عترته جديرا بأن ي كون التمسك به الى جانب القرآن منجاة من الضلالة.

أما حديث الغدير فإنه يصرح باسم الإمام على (عليه السلام) كولى للأمة بعده (صلى الله عليه و آله) يجب عليهم التمسك بولايته كما وجب التمسك بولاية خاتم المرسلين، و هذا ما يدل عليه أخذه (صلى الله عليه و آله) الإقرار من المسلمين بأنه أولى

ص: ٩١

بالمؤمنين من أنفسهم ثم قوله: «من كنت مولاه فهذا على مولاه»^{١١٥}.

أما حديث الأئمة الاثنى عشر فإنه يصرح بأن الدين يبقى قائما الى يوم القيامة بوجود هؤلاء الأئمة و بهذا العدد لا يزيد و لا ينقص، و يهدى الى التمسك بهم.

فتكون الصورة التي ترسمها الأحاديث الثلاثة معا - و قد صدرت في حجة واحدة أو على الأقل في فترة زمنية واحدة هي الأيام الأخيرة من حياته الشريفة و ضمن مسعى واحد هو هداية المسلمين الى سبيل النجاة من الانحراف و الضلالة بعده و هي: أن النجاة من الضلالة و حفظ قيام الدين تكون بالتمسك بالقرآن الكريم و بأئمة العترة الطاهرة الذين لا يخلو زمان من أحدهم و أن أولهم الإمام على (عليه السلام) و عددهم إثنا عشر إماما لا يزيد و لا ينقص.

مصدق الخلفاء الاثنى عشر

^{١١٥} (١) عن دلالات حديث الغدير و تواتره و طرقه راجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني (رحمه الله)، و الجزء الخاص به من عبقات الأنوار و غيرها.

و عند ما نرجع للواقع التاريخي الاسلامي لا نجد مصداقا للنتيجة المتحصلة سوى أئمة أهل البيت الاثنى عشر بدء بالإمام على و انتهاء بالمهدي المنتظر - سلام الله عليهم - لا يزيد عددهم عن الاثنى عشر و لا ينقص فجاءوا المصداق الوحيد لما أخبر به الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) إذ لم يدع غيرهم ذلك، تحقيقا للنبوة المحمدية الثابتة عند المسلمين جميعا.

و حيث قد ثبتت عند المسلمين كافة وفاة الأئمة الأحد عشر من هؤلاء الأئمة الاثنى عشر، و ثبت عند الإمامية عدم وفاة الثاني عشر منهم، في حين أن الحديث المتقدم ينص على استمرار وجودهم الى يوم القيامة؛ لذا فلا مناص

(١) عن دلالات حديث الغدير و تواتره و طرقه راجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني (رحمه الله)، و الجزء الخاص به من عبقات الأنوار و غيرها.

ص: ٩٢

من القول بوجود الإمام الثاني عشر و غيبته - إذ من الثابت للجميع عدم ظهوره - و قيام الدين بوجوده في غيبته ايضا تصديقا لما نص عليه الحديث المتقدم.

فيكون هذا الحديث الشريف دليلا على وجود المهدي الإمامي و غيبته.

دراسة الأحاديث مستقلة

٣- الدلالة نفسها يمكن التوصل إليها من خلال دراسة الحديث المتقدم بصورة مستقلة و بغض النظر عن ارتباطه بحديثي الثقلين و الغدير، و استنادا الى الدلالات المستفادة من الحديث نفسه و طبقا للمروى في كتب أهل السنة . فنصوصه تجمع على أن موضوعه الأول إخبار المسلمين بأن اثني عشر شخصا سيخلفون النبي (صلى الله عليه و آله) لقوله: «يكون من بعدى»، أى في الفاصلة الزمنية بين رحيله و الى يوم القيامة كما هو المستفاد من قوله في مقدمة الحديث: «إن هذا الأمر لا ينقضى» كما في صحيح مسلم و غيره و الصيغ الاخرى دالة على الأمر نفسه.

و عليه فالصفات و الدلالات التي يشتمل عليها الحديث الشريف لا تنطبق على أكثر من اثني عشر شخصا بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الى يوم القيامة، و إلا لما حصر رسول الله (صلى الله عليه و آله) الأمر بهم. فمن هم هؤلاء؟

و للإجابة على هذا السؤال نرجع الى نصوص الحديث الشريف نفسه لمعرفة الصفات التي تحددها لهم ثم نلاحظ على من تنطبق.

إن الصفات التي تذكرها النصوص هي : امراء، قرشيون، كونهم خلفاء، بقاء الإسلام عزيزا بهم، قيام الدين بهم، قيّمون على الأمة، خذلان البعض لهم و تعريضهم للمعاداة. فلندرس كل واحدة من هذه الصفات.

إن معنى الإلتناء لقريش واضح، و قد أجمعت معظم المذاهب

ص: ٩٣

الإسلامية على اشتراطه في الإمام . أما صفة «ال خليفة» أو «الأمير» فالمعنى المتبلر منها هو من يخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) في قيادة المسلمين أو من يلي أمرهم، فهل الوصف هذا يراد به من تولى حكم المسلمين السياسى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله)؟!

من الواضح أنه لا يمكن حمل الوصف المذكور على هذا المعنى، إذ إن هذا تنفيه أحاديث أخرى صحت حتى عند إخواننا أهل السنة و هي المصرحة بأن الخلافة بهذا المعنى لن تستمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأكثر من ثلاثين عاما ثم تصبح ملكا كما في صحيح البخارى و مسلم^{١١٦}. فى حين أن الحديث الشريف يصرح باستمرار وجود هؤلاء الاثنى عشر الى يوم القيامة. فلا معنى لحصر البحث عن مصاديق الحديث الشريف فيمن تولى حكم المسلمين بالفعل.

دلالة الواقع التاريخى

يضاف الى ذلك أن الواقع التاريخى الاسلامى ينفى أن يكون المقصود بالخليفة هذا المعنى، إذ أن عدد من وصل للحكم من المسلمين بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) و تسمى بهذا الاسم يفوق الاثنى عشر بكثير.

أجل يمكن القول بأن الاثنى عشر المقصودين فى الحديث الشريف قد يكون بعضهم من هؤلاء الذين وصلوا الى الحكم و هم الجامعون للأوصاف الواردة فى النصوص و ليس مجرد تسلم حكم المسلمين بطريقة أو بأخرى يجعلهم مصداقا للخلفاء و الامراء فى هذا الحديث الشريف.

فإن الخلافة و الإمرة بالمعنى المعروف و المتداول بين المسلمين هو أمر

(١) راجع فى ذلك معجم أحاديث الإمام المهدي، ١: ١٦- ٣٨.

ص: ٩٤

منقوض و مردود بتصريح الأحاديث الشريفة بسرعة زوال الخلافة بهذا المعنى كما تقدم، و لأنه يستلزم أن يكونوا متفرقين على مدى التاريخ الإسلامى و هذا ما تنقضه الدلالات الأخرى المستفادة من الحديث الشريف، لأن مصاديق هذا المفهوم قد انقطعت منذ مدة طويلة فى حين أن الحديث ينص على استمرار وجود هؤلاء الخلفاء الاثنى عشر الى يوم القيامة دونما انقطاع كما سنرى لاحقا.

و لذلك لا بد من حمل معنى «الخليفة» فى هذا الحديث على ما هو أعم من التولى المباشر للحكم السياسى، أى أن يكون المقصود خلافته (صلى الله عليه وآله) فى الوصاية على الدين و الولاية على الأمة و هدايتها الى الصراط المستقيم سواء استلم الخليفة الحكم عمليا أو لم يستلمه، فالرسول (صلى الله عليه وآله) كان يقوم بهذه المهمة عند ما كان فى مكة يتابع نشر دعوته بسريّة و عند ما أعلنها و تعرض للأذى من المشركين و عند ما هاجر الى المدينة و أقام دولته و تولى حكومتها.

^{١١٦} (١) راجع فى ذلك معجم أحاديث الإمام المهدي، 1: 16- 38.

فقد كان (صلى الله عليه وآله) قَيِّماً على الدين الحق حافظاً له و داعياً إليه في كل الأحوال، دون أن يكون لاستلامه الفعلي للحكم علاقة بإنجاز هذه المهمة وإن كان هو الأجدر باستلام الحكم في كل الأحوال.

و هذا ما يشير إليه تشبيهه (صلى الله عليه وآله) لهؤلاء الإثني عشر بنقباء بنى إسرائيل و أوصياء موسى (عليه السلام) كما في حديث ابن مسعود المروى في مسند أحمد بن حنبل و غيره ^{١١٧}. و هذا ما يدل عليه الحديث الشريف نفسه عند ما يربط - في بعض نصوصه - بين وجودهم و بين قيام الدين أى حفظه، فهم أوصياء رسول الله (صلى الله عليه وآله) و خلفاؤه في الوصاية على دينه و الهداية إليه.

(١) مسند أحمد: ١ / ٣٩٨، المعجم الكبير للطبراني: ١٠ / ١٩٥، المستدرک للحاكم: ٤ / ٥٠١.

ص: ٩٥

اتصال وجود الخلفاء الاثني عشر

و هذه الصفة - أى قيام الدين بهم - تدل على استمرار وجودهم ما بين وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) و يوم القيامة، لأن القول بتفرقهم و خلو بعض الأزمان من أحدهم مع ربط قيام الدين بهم، يعنى ضياع الإسلام و عدم قيامه في بعض الأزمان و هذا خلاف ما يدل عليه الحديث الشريف بعبارات من قبيل «لا يزال الدين قائماً» «لا يزال الإسلام عزيزاً».

من هنا لا يمكن أن يكون مصداق الحديث الشريف أشخاصاً متفرقين على طول التاريخ الإسلامى بل يجب أن لا يخلو زمان من واحد منهم. فيكون وجودهم متصلاً.

كما ان صفة قيام الدين بهم تؤكد أن المعنى المراد من الخلافة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) هو المعنى الشمولى المتقدم الذى يشمل بالدرجة الأولى الوصاية على الدين الحق و حفظه و الدعوة له و الهداية إليه، الأمر الذى يؤهلهم للقيمومة على الأمة و الولاية الشرعية عليهم المنتزعة من الولاية النبوية كما في حديث الغدير المشار إليه.

و هذا يستلزم تحليلهم بالدرجة العليا من العلم بالدين الحق و العمل على وفقه لكى يكونوا أهلاً لحفظه و هداية الخلق إليه، و هذا ما يشير إليه قوله (صلى الله عليه وآله) فى وصفه لهم: «كلهم يعمل بالهدى و دين الحق» «الوارد فى ذيل بعض نصوص هذا الحديث الشريف» ^{١١٨}.

و على ضوء ما تقدم نفهم الصفة الاخرى التى يذكرها الحديث الشريف

(١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى: ٣ / ١٨٤، باب الاستخلاف.

ص: ٩٦

^{١١٧} (١) مسند أحمد: ١ / 398، المعجم الكبير للطبراني: ١٠ / 195، المستدرک للحاكم: ٤ / 501.
^{١١٨} (١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى: 3 / 184، باب الاستخلاف.

لهم و هي أنهم سيعرضون للكثير من أشكال المعاداة و الخذلان - و لو لم يكن كثيرا لما استحق الذكر - دون أن يضرهم ذلك، فهذا العداء و الخذلان لن يضرهم بمعنى أنه لا يصددهم عن تحقيق مهمتهم الأساسية بالحفاظ على قيام الدين و عزته رغم كل الصعاب و بقاءه محفوظا عندهم في كل الأزمان رغم أن الكيان السياسي للمسلمين تعرض لحقبة تاريخية عديدة أصابه فيها الذل و الهوان و تولى حكمه فيها أبعد الخلق عن معنى خلافة رسول الله (صلى الله عليه و آله).

هذه هي صفات الخلفاء الأئمة الاثني عشر المستفادة من دلالات الحديث الشريف طبقا لنصوصه المروية في أفضل الكتب المعتمدة عند إخواننا أهل السنة، فعلى من تنطبق؟

أئمة العترة هم المصدق الوحيد

الواقع التاريخي يشهد أن المصدق الوحيد الذي تنطبق عليه هم الأئمة الاثنا عشر من عترة النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله) و هم يختصون بهذا العدد تاريخيا كما هو معلوم و تنطبق عليهم الأوصاف المستفادة من دلالات الحديث الشريف، كما سنشير لذلك فيما يلي:

أدلة التطبيق

أولا: إن الحديث يدل بصورة واضحة على لزوم توفر تلك الأوصاف في هؤلاء الخلفاء الاثني عشر و التي تؤهلهم لكي يكون الدين قائما بهم . بمعنى أن يكونوا جميعا معبرين عن خط واحد و منهج واحد في الدفاع عن الدين و حفظه و تبليغه - كما فعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) - و قد توفرت هذه الصفات في أئمة العترة النبوية الطاهرة الذين ثبت أن علوم النبي (صلى الله عليه و آله) عندهم و ثبت عنه وصيته بالتمسك بهم للنجاة من الضلالة كما في حديث الثقلين، و قد أخذ

ص: ٩٧

الكثير من المسلمين - و منهم أئمة المذاهب الأربعة - علوم الدين منهم كما هو ثابت تاريخيا و ثبت في روايات مختلف الفرق الإسلامية لجوء الجميع إليهم و فقرهم إليهم في علوم الدين و استغناؤهم (عليهم السلام) عن الجميع في ذلك^{١١٩}.

كما أثبتت سيرتهم تفانيهم في الدفاع عن الإسلام و نشر علومه و إغاثة المسلمين عند ما هاجمتهم الغزوات الفكرية . و احتجاجاتهم على الملحدين و أرباب الديانات الأخرى مدونة في كتب المسلمين و هي تثبت حقيقة قيام الدين بهم و خلافتهم للرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) في ذلك، و أهليتهم لقيادة المسلمين أيضا كما صرح بذلك الذهبي مثلا حيث قال بأهلية الإمام الحسن و الحسين و السجاد و الباقر (عليهم السلام) ثم قال: و كذلك جعفر الصادق كبير الشأن من أئمة العلم كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور، و كان ولده موسى كبير القدر جيد العلم أولى بالخلافة من هارون^{١٢٠}.

^{١١٩} (١) راجع مثلا «الإمام الصادق و المذاهب الأربعة» للشيخ أسد حيدر، و ما ورد بشأنهم في تاريخ دمشق لابن عساكر و في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي و الصواعق المحرقة لابن حجر و سير أعلام النبلاء للذهبي و وفیات الأعيان لابن خلكان و غيرها و سائر من ترجم لهم عليهم السلام من مختلف الفرق الإسلامية.

^{١٢٠} (٢) سير أعلام النبلاء: ١٣ / ١٢٠ و راجع ما جمعه الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج تجد نماذج كثيرة لدفاعهم عن الإسلام بوجه الأفكار الدخيلة.

ثانياً: إن سيرتهم (عليهم السلام) تنسجم مع تصريح الحديث الشريف بتعريض الخلفاء الإثني عشر للمعاداة و الخذلان دون أن يضر ذلك في قيامهم بإنجاز مهمتهم الأساسية في حفظ الدين و الدفاع عنه كما لاحظنا ذلك في الفقرة السابقة، و من المعروف تاريخياً أنهم تعرضوا للأذى و الملاحقة الشديدة من قبل السلطات الحاكمة التي لم تأل جهداً لإبادتهم مثل ما جرى في واقعة الطف للحسين (عليه السلام) و أهل بيته و أصحابه و تعريضهم للسجن و الاغتيال بالقتل أو السم الأمر الذي أدى في نهاية المطاف الى ضرورة غيبة خاتمهم الإمام

(١) راجع مثلاً «الإمام الصادق و المذاهب الأربعة» للشيخ أسد حيدر، و ما ورد بشأنهم في تاريخ دمشق لابن عساكر و في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي و الصواعق المحرقة لابن حجر و سير أعلام النبلاء للذهبي و وفيات الأعيان لابن خلكان و غيرها. و سائر من ترجم لهم (عليهم السلام) من مختلف الفرق الإسلامية.

(٢) سير أعلام النبلاء: ١٣ / ١٢٠ و راجع ما جمعه الشيخ الطبرسي في كتاب الاحتجاج تجد نماذج كثيرة لدفاعهم عن الإسلام بوجه الأفكار الدخيلة.

ص: ٩٨

الثاني عشر (عليه السلام)، و لكن كل أشكال التعسف و القهر و العدا و الخذلان لم يثنهم عن حفظ سنة جدهم (صلى الله عليه و آله) و تبليغها حيث حفلت الأحاديث المروية عنهم و المدونة في كتب علماء مدرستهم بكل ما يحتاجه الإنسان في مختلف شؤونه الفردية و الاجتماعية^{١٢١}.

ثالثاً: تنطبق عليهم دلالة الحديث على استمرار وجودهم بصورة متصلة ما بين وفاة جدهم (صلى الله عليه و آله) و قيام الساعة، في سلسلة ذهبية لم تؤد الى قطعها كل حملات العدا و الخذلان التي تعرضوا لها، و إن أدت الى غيبة خاتمهم الإمام المهدي (عليه السلام) فاستمر دوره في حفظ الدين و قيامه بذلك من خلف استار الغيبة بأساليب متنوعة أثبتت أن الانتفاع بوجوده متحقق مثلما ينتفع بالشمس إذا غيبتها السحب عن الأبصار كما ورد في الأحاديث الشريفة^{١٢٢}.

و بذلك يتضح أن عقيدة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) كيف تفسر عدم تناسب طول الفترة الزمنية بين وفاة الرسول (صلى الله عليه و آله) و بين قيام الساعة، مع تحديد الحديث الشريف لعدد الخلفاء القيمين على الإسلام بإثني عشر رجلاً لا أكثر، يستمر وجودهم متصلاً الى يوم القيامة لأن قيام الدين يكون بهم.

و بذلك يكون الحديث الشريف من الأحاديث المتفق على صحتها بين المسلمين و الدالة على وجود الإمام المهدي و غيبته لأنه لا ينطبق على غير الائمة الإثني عشر من أئمة العترة النبوية الذين أدى خذلانهم الى غيبة خاتمهم (عليه السلام).

^{١٢١} (١) جمعت هذه الأحاديث الشريفة في موسوعات ضخمة مثل بحار الأنوار للعلامة المجلسي و وسائل الشيعة للحر العاملي
^{١٢٢} (٢) مثل إصداره «التوقيعات» و هي الرسائل التي كان (عليه السلام) يبعثها للمؤمنين و يجيب فيها عن أسئلتهم الدينية المختلفة و قد دونت كتب الغيبة عدداً كبيراً منها، تجدها في كتاب «كلمة الإمام المهدي» و الصحيفة المهدوية و غيرها.

(١) جمعت هذه الأحاديث الشريفة في موسوعات ضخمة مثل بحار الأنوار للعلامة المجلسي و وسائل الشيعة للحر العاملي.

(٢) مثل إصداره «التوقيعات» و هي الرسائل التي كان (عليه السلام) يبعثها للمؤمنين و يجيب فيها عن أسئلتهم الدينية المختلفة و قد دونت كتب الغيبة عددا كبيرا منها، تجدها في كتاب «كلمة الإمام المهدي» و الصحيفة المهدوية و غيرها.

ص: ٩٩

الاتفاق على أن المهدي خاتم الخلفاء الاثني عشر

يؤيد ذلك موافقة عدد كبير من علماء أهل السنة لعقيدة أ هل البيت (عليهم السلام) في كون المهدي المنتظر هو الخليفة الثاني عشر من الخلفاء الاثني عشر الذين أخبر الرسول (صلى الله عليه و آله) عن خلافتهم الدينية، أمثال أبي داود في سننه^{١٢٣} و ابن كثير في تفسيره^{١٢٤} و غيرهم. و صرح بذلك المجمع الفقهي التابع للأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في جوابه على استفتاء مسلم من كينيا بشأن الإمام الموعود، حيث ورد في جواب المجمع : «هو [المهدي الموعود] آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر عنهم النبي صلوات الله و سلامه عليه في الصحاح...»^{١٢٥}.

و لعل مستندهم في ذلك حديث الأمة الظاهرة القائمة بأمر الله الذي يتحدث عن المصداق الذي يتحدث عنه حديث الاثني عشر الذي يصرح بأن آخر امراء هذه الأمة الظاهرة هو المهدي الموعود كما سلاحظ.

٣- حديث الامة الظاهرة القائمة بأمر الله

و هو من الأحاديث المشهورة المروية في الكتب الستة و غيرها من المجاميع الروائية المعتبرة عند إخواننا أهل السنة من طرق كثيرة فقد رواه مثلاً أحمد بن حنبل وحده من سبعة و عشرين طريقاً^{١٢٦}.

(١) راجع ما نقله الشيخ عبد المحسن العباد في بحثه (عقيدة أهل السنة و الأثر في المهدي المنتظر) المطبوع في مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث، السنة الأولى، ذو القعدة ١٣٨٨ هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٤ / ٢ في تفسير الآية ١٢ من سورة المائدة.

(٣) راجع النسخة المصورة لفتوى رابطة العالم الإسلامي، المجمع الفقهي المنشورة في كتاب احاديث المهدي من مسند احمد بن حنبل: ١٦٢ - ١٦٦.

^{١٢٣} (١) راجع ما نقله الشيخ عبد المحسن العباد في بحثه (عقيدة أهل السنة و الأثر في المهدي المنتظر) المطبوع في مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث، السنة الأولى، ذو القعدة ١٣٨٨ هـ.

^{١٢٤} (٢) تفسير القرآن العظيم: ٣٤ / ٢ في تفسير الآية ١٢ من سورة المائدة.

^{١٢٥} (٣) راجع النسخة المصورة لفتوى رابطة العالم الإسلامي، المجمع الفقهي المنشورة في كتاب احاديث المهدي من مسند احمد بن حنبل: ١٦٢ - ١٦٦.

^{١٢٦} (٤) راجع كتاب «احاديث المهدي (عليه السلام) من مسند احمد بن حنبل»، اعداد السيد محمد جواد الجلالى: ٦٨ - ٧٦.

(٤) راجع كتاب «احاديث المهدي (عليه السلام) من مسند احمد بن حنبل»، اعداد السيد محمد جواد الجلالى: ٦٨ - ٧٦.

ص: ١٠٠

فقد رواه البخارى فى صحيحه بلفظ «لا يزال ناس من امتى ظاهرين حتى يأتىهم أمر الله و هم ظاهرون»^{١٢٧}.

و رواه البخارى فى تأريخه و مسلم و أبو داود و ابن ماجه و الترمذى و أحمد بن حنبل و الحاكم و غيرهم بلفظ: «لا تزال طائفة من أمتى على الحق حتى يأتى أمر الله عز و جل»^{١٢٨}.

و رواه البخارى فى صحيحه و مسلم و أحمد و ابن ماجه بلفظ: «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين و لن تزال [من] هذه الامه امة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله و هم ظاهرون على الناس»^{١٢٩}.

و رواه مسلم و أحمد و الحاكم و غيرهم عن جابر بن سمره: «لا يزال هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»^{١٣٠}. و فيه أنه (صلى الله عليه و آله) قال ذلك فى حجة الوداع، و جابر هو نفسه راوى حديث الائمة الإثنى عشر من قریش.

و فى رواية لمسلم: «لا تزال عصابة من امتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتئهم الساعة و هم على ذلك»^{١٣١}.

و فى رواية لأبى داود و أحمد و الحاكم و غيرهم بلفظ: «لا تنجح عصابة من امتى ظاهرين على الحق لا يبالون من خالفهم حتى يخرج المسيح الدجال فيقاتلون»^{١٣٢}.

(١) صحيح البخارى: ٢٥٢ / ٤.

(٢) تاريخ البخارى: ١٢ / ٤ حديث ١٧٩٧، صحيح مسلم: ١٥٢٣ / ٣، حديث ١٩٢٠، و سنن أبى داود: ٩٧ / ٤، حديث ٤٢٠٢ و ابن ماجه: ١ / ٥ باب ١ حديث ١٠، و الترمذى: ٥٠٤ / ٤ حديث ٢٢٢٩ و احمد بن حنبل فى مسنده: ٣٢١ / ٢.

(٣) صحيح البخارى: ١٦٧ / ٩، و صحيح مسلم: ١٥٢٤ / ٣ حديث ١٠٣٧، و مسند أحمد: ١٠١ / ٤، و ابن ماجه:

١ / ٥ باب ١ حديث ٧.

(٤) صحيح مسلم: ١٥٢٤ حديث ١٩٢٢، مسند أحمد: ٩٢ / ٥، ٩٤، و مستدرک الحاكم: ٤٤٩ / ٤.

^{١٢٧} (١) صحيح البخارى: 252 / 4.

^{١٢٨} (٢) تاريخ البخارى: 12 / 4 حديث 1797، صحيح مسلم: 1523 / 3، حديث 1920، و سنن أبى داود: 97 / 4، حديث 4202 و ابن ماجه: 1 / 5 باب 1 حديث 10، و الترمذى: 504 / 4 حديث 2229 و احمد بن حنبل فى مسنده: 321 / 2.

^{١٢٩} (٣) صحيح البخارى: 167 / 9، و صحيح مسلم: 1524 / 3 حديث 1037، و مسند أحمد: 101 / 4، و ابن ماجه: 1 / 5 باب 1 حديث 7.

^{١٣٠} (٤) صحيح مسلم: 1524 حديث 1922، مسند أحمد: 92 / 5، 94، و مستدرک الحاكم: 449 / 4.

^{١٣١} (٥) صحيح مسلم: 1524 / 3، 1525 باب 53، حديث 1924.

^{١٣٢} (٦) مسند أحمد: 434 / 4، سنن أبى داود: 4 / 3، حديث 2484، و مستدرک الحاكم: 71 / 2.

(٥) صحيح مسلم: ٣/ ١٥٢٤، ١٥٢٥ باب ٥٣، حديث ١٩٢٤.

(٦) مسند أحمد: ٤/ ٤٣٤، سنن أبي داود: ٣/ ٤، حديث ٢٤٨٤، ومستدرک الحاكم: ٢/ ٧١.

ص: ١٠١

و في رواية للبخارى في تأريخه و أحمد في مسنده و رجاله كلهم ثقات كما قال الكشميري في تصريحه بلفظ : «لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين على من ناوهم حتى يأتي أمر الله تبارك و تعالى، و ينزل عيسى بن مريم»^{١٣٣}.

و في رواية لمسلم و أحمد: «لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين الى يوم القيامة، قال : فينزل عيسى بن مريم (عليه السلام)، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير ليكرم الله هذه الامة»^{١٣٤}.

و الحديث الشريف جاء في حجة الوداع كما يصرح بذلك جابر بن سمره فيما رواه عنه مسلم و أحمد و الحاكم كما تقدم، و هذه الحجة هي نفسها التي بلغ فيها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أحاديث الثقلين و الغدير و الائمة الإثنى عشر، لذا فهو يأتي في إطار التخطيط النبوي لهداية المسلمين الى ما يحفظ مسيرتهم بعده أو ما ينقذهم من الضلالة و ميتة الجاهلية، فهو غير بعيد عن أجواء الأحاديث السابقة.

على أن من الواضح للمتدبر في هذا الحديث الشريف و حديث الائمة الإثنى عشر أن كليهما يتحدثان عن مصداق واحد لا أكثر، كما هو مشهود في اشتراكهما في ذكر صفات تتحدث و تهدي الى مصداق واحد، خاصة ما يصرح بربط قيام الدين و حفظه بوجود هذه الامة الظاهرة القائمة بأمر الله في الحديث الثاني و بوجود الائمة الاتني عشر في الحديث الأول . لأن ذلك يعرئ امتلاك هذه الجهة للقيمومة على الدين و مرجعيتها في معرفة حقائق

(١) تاريخ البخاري: ٥/ ٤٥١ حديث ١٤٦٨، مسند أحمد: ٤/ ٤٢٩.

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي : ١/ ٥١- ٦٨، و قد ذكر لكل حديث الكثير من المصادر من المجاميع الروائية المعتبرة عند أهل السنة و قد اخترنا بعضها من المتن و البعض الآخر من الهوامش.

ص: ١٠٢

الدين الحق و تعريضها بسبب ذلك للمعاداة و الخذلان و هذا ما يشترك الحديثان في ذكره و في التصريح بعدم إضراره في أصل مهمة هذه العصاة و هي الدفاع عن الدين الحق و حفظه.

و يؤكد حديث الامة الظاهرة صراحة - فيما تقدم من نصوصه - ما دل عليه حديث الائمة الإثنى عشر ضمناً من استمرار وجود هؤلاء الائمة الى يوم القيامة و كذلك من أن مهمتهم الأساسية خلافة رسول الله (صلى الله عليه و آله) في الدفاع

^{١٣٣} (١) تاريخ البخاري: ٥/ 451 حديث 1468، مسند أحمد: 4/ 429.
^{١٣٤} (٢) معجم أحاديث الإمام المهدي: 1/ 51- 68، و قد ذكر لكل حديث الكثير من المصادر من المجاميع الروائية المعتبرة عند أهل السنة و قد اخترنا بعضها من المتن و البعض الآخر من الهوامش

عن الدين الحق و حفظه دون أن يؤثر في إن جاز أصل هذه المهمة استلامهم الفعلي للحكم أو عدم استلامه و إن كانوا هم الأجدر بذلك.

كما أنه يصرح بأن خاتم أمراء هذه الأمة الظاهرة هو الإمام المهدي الموعود - كما دل على ذلك ضمناً حديث الاثمة الإثنى عشر -، فهو يصرح باستمرار وجودها الى نزول عيسى (عليه السلام) و مناصرته لأمرها و صلاته خلفه و هذه الحادثة ترتبط بالإمام المهدي - عجل الله فرجه - باتفاق المسلمين.

و يصرح حديث الأمة الظاهرة بلزوم أن يكون هؤلاء الاثمة الإثنا عشر ائمة حق قائمين بأمر الله كما تصرح بذلك النصوص المتقدمة، فهم يمثلون خطأ واحداً منسجماً في خلافة رسول الله الحقيقية و الوصاية و الوصاية على شريعته، خطأ متصلاً دون انقطاع الى يوم القيامة، و هذا ما لا ينسجم بحال من الأحوال مع تأريخ خلفاء الدولة الإسلامية الذين حكموها فعلاً. لذلك فإن جميع الذين غفلوا عن هذه الدلالات في الحديثين المتقدمين و سعوا للعثور على مصاديق الاثمة الإثنى عشر في الذين وصلوا للحكم بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) بأى طريقة كانت، تاهوا في متاهات غريبة و لم يستطيعوا تقديم مصاديق معقول ينسجم مع دلالات هذه الأحاديث الشريفة و لا مع الواقع التاريخي . فتعددت آراؤهم و عمدوا الى تأويلات باردة لما صرحت به الأحاديث الشريفة الأمر الذي

ص: ١٠٣

١٢٥

يتعارض بالكامل مع هدف الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) من إخبار المسلمين بهؤلاء القائمين بأمر الله و هو الهداية إليهم و إرجاعهم و دعوتهم للتمسك بهم.

فأى انسجام في الخط و المنهج و تمثيل الدين الحق و الصدق في التعبير عن خلافة رسول الله (صلى الله عليه و آله) بين الإمام على (عليه السلام) و معاوية، أو بين الإمام الحسين (عليه السلام) و يزيد بن معاوية لكي يعتبروهم جميعاً من هؤلاء من الخلفاء الإثنى عشر الذين يقوم بهم الدين؟ ! و كيف يمكن القول بأن أمثال يزيد بن معاوية أو الوليد بن عبد الملك يمكن أن يصدق عليهم الوصف النبوي للأمة الظاهرة و الاثمة الإثنى عشر بأنهم على الحق و قائمين بأمر الله و خلفاء رسوله و كيف ذاك و سيرتهم شاهدة بأنهم أبعد الناس عن العلم بالدين و ممثلي نهج رسول الله (صلى الله عليه و آله).

هذا بعض ما يقال بشأن المصاديق التي عرضها للاثمة الإثنى عشر العلماء الذين راعوا دلالة الأحاديث على اتصال سلسلة هؤلاء الاثمة و أغفلوا عدم انطباق الصفات الأخرى عليهم كما لاحظنا . يضاف الى ذلك إغفالهم لتصريح الأحاديث باستمرار وجود هؤلاء الاثمة الى يوم القيامة؛ إذ إن المصاديق التي عرضوها تنتهي بإنتهاء العصر الأموي^{١٣٦}!

^{١٣٥} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{١٣٦} (1) و هذا أضعف الآراء و أبعداها عن دلالات الحديث الشريف و رغم ذلك رجحه ابن باز في تعليقه على محاضرة الشيخ عبد المحسن العباد عن المهدي الموعود، راجع مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث، السنة الأولى، ذو القعد 1388 هـ.

أما الذين سعوا لمراعاة الصفات الأخرى فيمن حكموا المسلمين فقد أغفلوا دلالة الحديث على استمرار وجودهم دون انقطاع إذ تركوا الخلفاء الذين أعقبوا معاوية الى عمر بن عبد العزيز ليجعلوه خامس أو سادس الإثنى عشر و تركوا ما بعده الى هذا أو ذاك من الخلفاء العباسيين ممن رأوهم أقرب

(١) و هذا أضعف الآراء و أبعداها عن دلالات الحديث الشريف و رغم ذلك رجحه ابن باز في تعليقه على محاضرة الشيخ عبد المحسن العباد عن المهدي الموعود، راجع مجلة الجامعة الإسلامية العدد الثالث، السنة الأولى، ذو القعدة ١٣٨٨ هـ.

ص: ١٠٤

الى الصفات التي يذكرها الحديث و رغم ذلك لم يكتمل العدد حتى قال السيوطي بأن المتبقي اثنان منتظران أحدهما المهدي الموعود و الثاني لم يعرفه هو و لا غيره^{١٣٧}!!

و ما كانوا بحاجة الى كل هذه التأويلات الباردة و المتاهات المحيرة لو تدبروا بموضوعية في تلك الأحاديث الشريفة و استندوا الى مدلولاتها الواضحة التي تنطبق بالكامل على الاثمة الإثنى عشر من عترة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و على القول بعدم انقطاع سلسلتهم الى يوم القيامة في ظل القول بوجود الإمام الثاني عشر المهدي الموعود (عليه السلام) و غيبته و قيامه حتى في ظل غيبته عن الأبصار بمهام حفظ الدين و لو بأساليب خفية لكنها كاملة في إتمام حجة الله على خلقه كما دلت على ذلك الأحاديث المتقدمة و تدل عليه أيضا الأحاديث اللاحقة.

٤- أحاديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشي المنقذ من الميته الجاهلية

و هي أيضا من الأحاديث الشريفة المروية من طريق الفريقين، نختار منها المروى في الكتب المعتمدة عند أهل السنة، فقد روى البخاري و مسلم في صحيحهما و أحمد بن حنبل في مسنده و غيرهم بأسانيدهم عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان»^{١٣٨}.

و روى البخاري في تاريخه و أحمد في مسنده و ابن حبان في صحيحه

(١) و هذا من أطرف الآراء، راجع أضواء على السنة المحمدية للشيخ محمود أبو ريّة: ٢١٢، و راجع أيضا في مناقشة هذه الآراء ما ذكره الشيخ لطف الله الصافي في كتابه منتخب الأثر: في الهامش، و دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر، ٢: ٣١٥ و ما بعدها، و ما أورده الحكيم صدر الدين الشيرازي في شرح أصول الكافي: ٤٦٣ - ٤٧٠ من الطبعة الحجرية.

(٢) صحيح البخاري: ٧٨ / ٩، صحيح مسلم: ١٤٥٢ / ٣، مسند أحمد: ٢ / ٢٩، ٢ / ٩٣ بطريق آخر.

^{١٣٧} (١) و هذا من أطرف الآراء، راجع أضواء على السنة المحمدية للشيخ محمود أبو ريّة: 212، و راجع أيضا في مناقشة هذه الآراء ما ذكره الشيخ لطف الله الصافي في كتابه منتخب الأثر: في الهامش، و دلائل الصدق للشيخ محمد حسن المظفر، 2: 315 و ما بعدها، و ما أورده الحكيم صدر الدين الشيرازي في شرح أصول الكافي: 463 - 470 من الطبعة الحجرية.

^{١٣٨} (2) صحيح البخاري: 78 / 9، صحيح مسلم: 1452 / 3، مسند أحمد: 29 / 2، 93 / 2 بطريق آخر.

و ابن أبي شيبه في مسنده و الطيالسي في مسنده و أبو يعلى و الطبراني و البزار و الهيثمي و غيرهم بألفاظ متقاربة و أسانيد عديدة عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال و اللفظ للطيالسي: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، و من نزع يدا من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له»^{١٣٩}.

و علق ابن حبان على الحديث موضحا معناه بقوله: قال أبو حاتم:

قوله (صلى الله عليه و آله): «مات ميتة الجاهلية» معناه: من مات و لم يعتقد أن له إماما يدعو الناس الى طاعة الله حتى يكون قوام الإسلام به عند الحوادث و النوازل، مقتنعا في الإنقياد على من ليس نعتة ما وصفنا مات ميتة جاهلية^{١٤٠}.

معنى «الأمر» في الكتاب و السنة

إنّ الحديث الأول قد صرح ببقاء «الأمر» في قريش ما بقى البشر على الأرض فلا تخلو الأرض من قريش يكون له «الأمر»، فما هو المقصود من «الأمر» هنا؟! و هل يمكن تفسيره بالاستلام الفعلي للحكم الظاهري للمسلمين؟!

الجواب: أن الواقع التاريخي ينفي هذا التفسير، و على الأقل منذ سقوط الخلافة العباسية الى اليوم لم يكن حكم المسلمين لقريش كما هو معلوم، لذا لا يمكن تفسير «الأمر» بغير القول بمعنى الخلافة العامة لرسول الله (صلى الله عليه و آله) في الوصاية على الدين و حفظه و الدفاع عنه و هداية الخلق إليه، الأمر الذي يؤهل صاحبه لقيادة المسلمين و الحكم الظاهري، فالأمر هنا هو من نوع »

(١) تاريخ البخاري: ٤٤٥ / ٦، مسند احمد: ٤٦٦ / ٣، صحيح ابن حبان: ٤٩ / ٧، مسند الطيالسي: ١٢٥٩ الحديث رقم ١٩١٣ مسند ابن أبي شيبه: ٣٨ / ١٥، المعجم الكبير للطبراني: ٣٥٠ / ١٠، مجمع الزوائد:

٢ / ٢٥٢، عن أبي يعلى و البزار و الطبراني.

(٢) صحيح ابن حبان: ٤٩ / ٧.

الأمر» الوارد في سورة النساء في آية الطاعة، و هي قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ^{١٤١}، و هي الآية الدالة على عصمة اولى الأمر لاشتراكهم في الأمر بالطاعة مع الرسول (صلى الله عليه و آله) و

^{١٣٩} (١) تاريخ البخاري: 445 / 6، مسند احمد: 466 / 3، صحيح ابن حبان: 49 / 7، مسند الطيالسي: 1259 الحديث رقم 1913 مسند ابن أبي شيبه: 38 / 15، المعجم الكبير للطبراني: 350 / 10، مجمع الزوائد:

2 / 252، عن أبي يعلى و البزار و الطبراني

^{١٤٠} (٢) صحيح ابن حبان: 49 / 7.

^{١٤١} (١) النساء (4): 59.

لأن: «اللّٰه تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم و القطع فى هذه الآيّة، و من أمر بطاعته على سبيل الجزم و القطع لا بد و أن يكون معصوما عن الخطأ ... كما قال الفخر الرازى فى تفسيره^{١٤٢}.

فلا بد أن يكون فى زماننا الحاضر أيضا قرشى يكون له «الأمر» هذا و يقوم به الدين و يتحلى بالعصمة و يخلف رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فى مهمّة حفظ الدين و الهداية إليه إذ لا يخلو زمان من مصداق لذلك كما ينص الحديث الشريف المتقدم، و حيث إنه لا يوجد إمام ظاهر يدعى ذلك فلا بد من القول بوجوده و استتاره و غيبته و قيام ه بمهمّة حفظ الدين تصديقا للحديث الشريف و هذه هى عقيدة أهل البيت (عليهم السّلام) فى المهدي و غيبته.

يضاف الى ذلك أن أحاديث الخلفاء الإثنى عشر قد حصرت عدد خلفاء الرسول بهذا المعنى الى يوم القيامة باثنى عشر، و قد اتضحت دلالتها على وجود الإمام المهدي و غيبته، لذلك يكون حديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشى مؤكدا لهذه الدلالة.

و الدلالة نفسها يمكن التوصل إليها من أحاديث وجوب معرفة إمام الزمان و إتباعه و التى تقدم نموذج لها، حيث تنص على أن لا حجة يوم القيامة لمن عمى عن معرفته و خرج عن طاعته كما رأينا، لذا فلا مناص من

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) التفسير الكبير: ١٠ / ١٤٤، و راجع البحث المفصل الذى أورده العلامة الطباطبائي فى تفسير هذه الآية الكريمة و دلالاتها فى تفسير الميزان: ٤ / ٣٨٧ - ٤٠١.

ص: ١٠٧

القول بحتمية وجوده و إمكانية التعرف عليه و التمسك بعري طاعته و إلا لما كان للاحتجاج الإلهي على الغافلين عن معرفته و طاعته معنى، إذ كيف يكون الاحتجاج بمن لا وجود له.

و حيث إن أمر الطاعة له مطلق فهو دال على عصمته و يؤكده صدر الحديث على أن عدم معرفته و التمسك به يقود الى ميتة الجاهلية، و أن طاعته واجبة لأنه يدعو الى طاعة الله و به يكون قوام الإسلام كما صرح بذلك ابن حبان فيما نقله عن أبي حاتم من دلالة الحديث الواضحة، و لذلك صرح أبو حاتم بأن طاعة غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات تؤدى الى ميتة الجاهلية.

و هذا هو المستفاد من الحديث الأول فالدلالة مشتركة و تكون المحصلة:

حتمية وجود إمام معصوم قرشى يكون الإسلام به قائما يدعو الى طاعة الله و يكون له الأمر و يتحمل مسؤولية حفظ الدين الحق، و حيث إن مثل هذا الإمام غير ظاهر فلا بد من القول بغيبته و قيامه بهذه المهام من خلف أستار الغيبة الى حين زوال الأسباب التى أدت الى غيبته فيظهر حينئذ ليقوم الدولة العادلة على أساس قيم الدين الذى حفظه.

^{١٤٢} (2) التفسير الكبير: 10 / 144، و راجع البحث المفصل الذى أورده العلامة الطباطبائي فى تفسير هذه الآية الكريمة و دلالاتها فى تفسير الميزان: 4 / 387 - 401.

و لا يمكن القول بتعدد الغائبين لأن أحاديث الائمة الاثني عشر حصرت عدد خلفاء الرسول (صلى الله عليه وآله) بهذا العدد و ثبت أن المصداق الوحيد الذى تنطبق عليه الشروط المستفادة من دلالات هذه الأحاديث هم أئمة أهل البيت النبوى، و قد ثبتت وفاة الائمة الأحد عشر و لم يبق إلا خاتمتهم المهدي الموعود^{١٤٣} فلا بد من القول باستمرار وجوده الى يوم القيامة استنادا الى

(١) يلاحظ هنا أن كل المؤرخين من مختلف المذاهب الإسلامية الذين ترجموا للائمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) ذكروا تواريخ وفيات الائمة الأحد عشر باستثناء المهدي بن الحسن العسكري فقد ذكروا تأريخ ولادته فقط . و هذا الأمر يصدق حتى على الذين لم يقولوا بأنه هو المهدي الموعود المبشر به في

ص: ١٠٨

الأحاديث المتقدمة، و لأن الصحيح من الأقوال هو أن الأرض لا تخلو من حجة كما يقول ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخارى: و فى صلاة عيسى (عليه السلام) خلف رجل من هذه الأمة مع كونه فى آخر الزمان و قرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال: «ان الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة»، و الله أعلم^{١٤٤}.

و لا بدّ من الإشارة هنا الى أن الدلالات المستفادة من هذه الأحاديث الشريفة على وجود المهدي الإمامي و غيبته هي دلالات واضحة إلا أن مما أثار بعض الغموض عليها و أوجد الحاجة الى الاستدلال عليها و التحليل المفصل لها هو السكوت عنها و التعتيم عليها أو محاولات تأويلها و صرفها عن المصداق الحقيقي بسبب طغيان الخلافات السياسية التي شهدها العالم الإسلامي و انعكاساتها على الأمور العقائدية و هو السبب نفسه الذى أدى الى إجحام بعض المحدثين عن نقل و تدوين طائفة أخرى من الأحاديث التي صحت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) و التي صرحت بما أشارت إليه هذه الأحاديث و شخّصت مصاديقها، لأن المصالح السياسية للحكام الأمويين و العباسيين منعت من اشتهاار مثل هذه الأحاديث و منعت من انتشار الكتب التي تنقلها.

كما هو واضح لمن راجع التأريخ الإسلامى.

صاحاح الأحاديث النبوية.

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني: ٦ / ٣٨٥.

ص: ١٠٩

الباب الثانى و فيه فصول:

^{١٤٣} (١) يلاحظ هنا أن كل المؤرخين من مختلف المذاهب الإسلامية الذين ترجموا للائمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) ذكروا تواريخ وفيات الائمة الأحد عشر باستثناء المهدي بن الحسن العسكري فقد ذكروا تأريخ ولادته فقط . و هذا الأمر يصدق حتى على الذين لم يقولوا بأنه هو المهدي الموعود المبشر به في صحاح الأحاديث النبوية

^{١٤٤} (١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلاني: 6 / 385.

الفصل الأول:

نشأة الإمام محمد المهدي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام المهدي (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام المهدي في ظل أبيه (عليهما السلام)

ص: ١١١

الفصل الأول نشأة الإمام محمد بن الحسن المهدي (عليهما السلام)

تأريخ الولادة

ولد - سلام الله عليه - في دار أبيه الحسن العسكري (عليه السلام) في مدينة سامراء أواخر ليلة الجمعة الخامسة عشر من شعبان و هي من الليالي المباركة التي يستحب إحيائها بالعبادة و صوم نهارها طبقا لروايات شريفة مروية في الصحاح مثل سنن ابن ماجه و سنن الترمذي و غيرهما من كتب أهل السنة^{١٤٥} إضافة الى ما روى عن ائمة أهل البيت (عليهم السلام)^{١٤٦}.

و كانت سنة ولادته (٢٥٥ هـ) على أشهر الروايات، و ثمة روايات أخرى تذكر أن سنة الولادة هي (٢٥٦ هـ) أو (٢٥٤ هـ) مع الاتفاق على يومها و روى غير ذلك، إلا أن الأرجح هو التأريخ الأول لعدة شواهد، منها ورودها في أقدم المصادر التي سجلت خبر الولادة و هو كتاب الغيبة للشيخ الثقة الفضل بن شاذان الذي عاصر ولاد ة المهدي (عليه السلام) و توفي قبل وفاة قبل أبيه الحسن

(١) راجع مثلاً مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ١٧٦، سنن ابن ماجه: ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥، فيض القدير: ٤/ ٤٥٩، سنن الترمذي: ٣/ ١١٦، كنز العمال: ٣/ ٤٦٦ و غيرها كثير.

(٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١٠١، مصباح المتعبد للشيخ الطوسي: ٧٦٢، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٧١٨.

ص: ١١٢

^{١٤٥} (١) راجع مثلاً مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ١٧٦، سنن ابن ماجه: ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥، فيض القدير: ٤/ ٤٥٩، سنن الترمذي: ٣/ ١١٦، كنز العمال: ٣/ ٤٦٦ و غيرها كثير.

^{١٤٦} (٢) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١٠١، مصباح المتعبد للشيخ الطوسي: ٧٦٢، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٧١٨.

العسكري (عليهما السلام) بفترة وجيزة^{١٤٧}، ومنها أن معظم الروايات الأخرى تذكر أن يوم الولادة كان يوم جمعة منتصف شهر شعبان وإن اختلفت في تحديد سنة الولادة، ومن خلال مراجعتنا للتقويم التطبيقي^{١٤٨} وجدنا أن النصف من شعبان صادف يوم جمعة في سنة (٢٥٥ هـ) وحدها دون السنين الأخرى المذكورة في تلك الروايات.

و مثل هذا الاختلاف أمر طبيعي جار مع تواريخ ولادات و وفيات آبائه و حتى مع جده الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله)، دون أن يؤثر ذلك على ثبوت ولادتهم (عليهم السلام)، كما أنه طبيعي للغاية بملاحظة سرية الولادة عند وقوعها حفظا للوليد المبارك كما سنلاحظ ذلك لاحقا.

تواتر خبر ولادته (عليه السلام)

روى قصة الولادة أو خبرها الكثير من العلماء بأسانيد صحيحة أمثال أبي جعفر الطبري و الفضل بن شاذان و الحسين بن حمدان و علي بن الحسين المسعودي و الشيخ الصدوق و الشيخ الطوسي و الشيخ المفيد و غيرهم، و نقلها بصورة كاملة أو مختصرة أو نقل خبرها عدد من علماء أهل السنة من مختلف المذاهب الإسلامية أمثال نور الدين عبد الرحمن الجامي الحنفي في شواهد النبوة و العلامة محمد مبین المولوى الهندى فى وسيلة النجاة و العلامة محمد

(١) راجع هذه الروايات فى كتاب النجم الثاقب للميرزا النورى : ٢ / ١٤٦ و ما بعدها من الترجمة العربية، و راجع الكافي : ٣٢٩ / ١، كمال الدين: ٤٣٠.

(٢) نقصد بالتقويم التطبيقي التقويم الذى يطبق بين أيام تقويم السنة الشمسية مع ما يصادفها من أيام تقويم السنة القمرية، و قد أعدت عدة تقاويم من هذا النوع على شكل كتب أو برامج كومبيوترية حددت ما يصادف كل يوم من أيام السنة الهجرية القمرية مع تقويم السنة الهجرية الشمسية و السنة الميلادية الشمسية، و قد راجعنا فى البحث التقويم التطبيقي الذى أصدرته جامعة طهران و الذى يبدأ بالتطبيق من اليوم الأول من السنة الأولى لهجرة النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) الى نهاية القرن الهجرى الخامس عشر.

ص: ١١٣

خواجه بارسا البخارى فى فصل الخطاب و الحافظ سليمان القندوزى الحنفى فى ينبيع المودة، كما نقل خبر الولادة ما يناهز المائة و ثلاثين من علماء مختلف الفرق الإسلامية بينهم عشرات المؤرخين ستة منهم عاصروا فترة الغيبة الصغرى أو ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)، و البقية من مختلف القرون الى يومنا هذا فى سلسلة متصلة و هذا الاحصاء يشمل جانباً من المصادر الإسلامية و ليس كلها . و بين هؤلاء عدد كبير من العلماء و المؤرخين المشهورين أمثال ابن خلكان و ابن الأثير و أبى الفداء و الذهبى و ابن طولون الدمشقى و سبط ابن الجوزى و محى الدين بن عربى و الخوارزمى و البيهقى

^{١٤٧} (١) راجع هذه الروايات فى كتاب النجم الثاقب للميرزا النورى: ٢ / 146 و ما بعدها من الترجمة العربية، و راجع الكافي: 1 / 329، كمال الدين: 430.

^{١٤٨} (٢) نقصد بالتقويم التطبيقي التقويم الذى يطبق بين أيام تقويم السنة الشمسية مع ما يصادفها من أيام تقويم السنة القمرية، و قد أعدت عدداً من هذا النوع على شكل كتب أو برامج كومبيوترية حددت ما يصادف كل يوم من أيام السنة الهجرية القمرية مع تقويم السنة الهجرية الشمسية و السنة الميلادية الشمسية، و قد راجعنا فى البحث التقويم التطبيقي الذى أصدرته جامعة طهران و الذى يبدأ بالتطبيق من اليوم الأول من السنة الأولى لهجرة النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) الى نهاية القرن الهجرى الخامس عشر

و الصفدى و اليافعى و القرمانى و ابن حجر الهيثمى و غيرهم كثير . و مثل هذا الإثبات مما لم يتوفر لولادات الكثير من أعلام التاريخ الإسلامى^{١٤٩}.

كيفية و ظروف الولادة

يستفاد من الروايات الواردة بشأن كيفية ولادته (عليه السلام)، أن والده الإمام الحسن العسكرى - سلام الله عليه - أحاط الولادة بالكثير من السرية و الخفاء، فهي تذكر أن الإمام الحسن العسكرى قد طلب من عمته السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد أن تبقى فى داره ليلة الخامس عشر من شهر شعبان و أخبرها بأنه سيولد فيها ابنه و حجة الله فى أرضه، فسألته عن أمه فأخبرها أنها نرجس فذهبت إليها و فحصتها فلم تجد فيها أثرا للحمل، فعادت للإمام و أخبرته بذلك، فابتسم (عليه السلام) و بين لها أن مثلها مثل أم موسى (عليه السلام) التى لم يظهر حملها و لم يعلم به أحد الى وقت ولادتها لأن فرعون كان يتعقب أولاد بنى إسرائيل خشية من ظهور موسى المبشر به فيذبح أبناءهم و يستحى نساءهم، و هذا

(١) راجع تفصيلات أقوالهم فى الاحصائية التى أوردها السيد ثامر العميدى فى كتابه دفاع عن الكافى:

٥٩٢-٥٣٥/١.

ص: ١١٤

الأمر جرى مع الإمام المهدي (عليه السلام) أيضا لأن السلطات العباسية كانت ترصد ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفة من الأحاديث الشريفة كما سنشير لاحقا.

و يستفاد من نصوص الروايات أن وقت الولادة كان قبيل الفجر و واضح أن لهذا التوقيت أهمية خاصة فى إخفاء الولادة؛ لأن عيون السلطة عادة تغطى فى نوم عميق. كما يستفاد من الروايات أنه لم يحضر الولادة سوى حكيمة التى لم تكن تعرف بتوقيتها بشكل دقيق أيضا^{١٥٠}.

و توجد رواية واحدة يرويها الشيخ الطوسى فى كتاب الغيبة تصرح باستقدام عجوز قابلة من جيران الإمام لمساعدة حكيمة فى التوليد مع تشديد الوصية عليها بكتمان الأمر و تحذيرها من إفشائه^{١٥١}.

الإخبار المسبق عن خفاء الولادة

^{١٤٩} (١) راجع تفصيلات أقوالهم فى الاحصائية التى أوردها السيد ثامر العميدى فى كتابه دفاع عن الكافى

592-535/1.

^{١٥٠} (١) راجع الروايات التى جمعها السيد البحراني بشأن قصة الولادة من المصادر المعتبرة فى كتابه تبصرة الولي : 6 و ما بعدها، و كذلك التلخيص الذى أجراه الميرزا النوري فى النجم الثاقب : 2 / 153 و ما بعدها، و راجع غيبة الشيخ الطوسي الفصل الخاص بآثبات ولادة صاحب الزمان (عليه السلام): 74 و ما بعدها.

^{١٥١} (2) غيبة الشيخ الطوسي: 144.

أخبرت الكثير من الأحاديث الشريفة بأن ولادة المهدي من الحسن العسكري ستحاط بالخفاء والسرية، ونسبت الإخفاء إلى الله تبارك وتعالى وشبهت بعضها إخفاء ولادته باخفاء ولادة موسى وبعضها بولادة إبراهيم (عليهما السلام)، وبيّنت علّة ذلك الإخفاء بحفظه (عليه السلام) حتى يؤدي رسالته، نستعرض هنا نماذج قليلة منها.

فمثلا روى الشيخ الصدوق في إكمال الدين و الخراز في كفاية الأثر مسندا عن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) ضمن حديث قال فيه:

«أما علمتم أنه ما منّا إلا و تقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا القائم الذي يصلّي عيسى بن مريم خلفه؟ ! و إن الله عز و جل يخفي ولادته و يغيب شخصه لئلا يكون لأحد في

(١) راجع الروايات التي جمعها السيد البحراني بشأن قصة الولادة من المصادر المع تبرة في كتابه تبصرة الولي : ٦ و ما بعدها، و كذلك التلخيص الذي أجراه الميرزا النوري في النجم الثاقب : ٢ / ١٥٣ و ما بعدها، و راجع غيبة الشيخ الطوسي الفصل الخاص باثبات ولادة صاحب الزمان (عليه السلام): ٧٤ و ما بعدها.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ١٤٤.

ص: ١١٥

عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخى الحسين ابن سيده النساء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته ...»^{١٥٢}.

و في حديث رواه الصدوق بطريقين عن الإمام علي (عليه السلام) قال: «... إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته و يغيب شخصه»^{١٥٣}.

و روى عن الإمام السجاد (عليه السلام) أنه قال: «في القائم منا سنن من الأنبياء ...

و أما من إبراهيم فخفاء الولادة و اعتزال الناس ...»^{١٥٤}.

و روى عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «في التاسع من ولدى سنّة من يوسف و سنّة من موسى بن عمران و هو قائمنا أهل البيت يصلح الله أمره في ليلة واحدة»^{١٥٥}.

و روى الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال - في حديث - : «انظروا من خفي [عمى] على الناس ولادته فذاك صاحبكم، إنه ليس منا أحد يشار إليه بالأصابع و يمضغ بالألسن إلا مات غيضا أو رغم أنفه»^{١٥٦}.

^{١٥٢} (١) كمال الدين: 315، كفاية الأثر: 317.

^{١٥٣} (٢) كمال الدين: 303.

^{١٥٤} (٣) كمال الدين: 321 - 322.

^{١٥٥} (٤) كمال الدين: 316.

^{١٥٦} (٥) الكافي: 1 / 276.

و الأحاديث بهذا المعنى كثيرة و الكثير منها مروى بأسانيد صحيحة تخبر صراحة - و قبل وقوع ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) - بخفائها، و في ذلك دلالة وجدانية صريحة على صحتها حتى لو كان في أسانيد بعضها ضعف أو مجهولية لأنها أخبرت عن شيء قبل وقوعه ثم جاء الواقع مصدقا لما أخبرت عنه، و هذا ما لا يمكن صدوره إلا من جهة علام الغيوب تبارك و تعالى الأمر الذي يثبت صدورها عن ينابيع الوحي و بإخبار من الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله).

(١) كمال الدين: ٣١٥، كفاية الأثر: ٣١٧.

(٢) كمال الدين: ٣٠٣.

(٣) كمال الدين: ٣٢١ - ٣٢٢.

(٤) كمال الدين: ٣١٦.

(٥) الكافي: ١ / ٢٧٦.

ص: ١١٦

خفاء الولادة علامة المهدي الموعود (عليه السلام)

و يلاحظ أن هذه الأحاديث الشريفة تصرح بأنّ خفاء الولادة من العلام البارزة المشخصة لهوية المهدي الموعود و القائم من ولد فاطمة الذي بشرت به الأحاديث النبوية، و هذا أحد الأهداف المهمة للتصريح بذلك و هو تعريف المسلمين بإحدى العلام التي يكشفون بها زيف مزاعم مدّعى المهديّة كما شهد التاريخ الإسلامي الكثير منهم و لم تنطبق على أي منهم هذه العلامة، فلم تحط ولادة أي منهم بالخفاء كما هو ثابت تأريخياً^{١٥٧}.

و تشير الأحاديث الشريفة المتقدمة الى علة إخفاء ولادته (عليه السلام) و هي العلة نفسها التي أوجبت إخفاء ولادة نبي الله موسى (عليه السلام)، أي حفظ الوليد من سطوة الجبارين و مساعدتهم لقتله إتماماً لحجة الله تبارك و تعالى على عبادة و رعايته له لكي يقوم بدوره الإلهي المرتقب في إنقاذ بني اسرائيل و الصدع بالديانة التوحيدية و مواجهة الجبروت الفرعوني بالنسبة لموسى الكليم - سلام الله عليه -، و هكذا إنقاذ البشرية جمعاء و إنهاء الظلم و الجور و إقامة القسط و العدل و إظهار الإسلام على الدين كله بيد المهدي المنتظر - عجل الله فرجه -.

و هذا ما كان يعرفه أئمة الجور من خلال النصوص الواردة بهذا الشأن، ففرعون مصر كان على علم بالبشارات الواردة بظهور منقذ بني اسرائيل، و هو موسى (عليه السلام) من أنفسهم و لذلك سعى في تقتيل أبنائهم بهدف منع ظهوره، و كذلك حال بني العباس إذ كانوا على علم بأن المهدي الموعود هو من ولد فاطمة - سلام الله عليها -، و أنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و قد

^{١٥٧} (١) ذكر تراجمهم الدكتور محمد مهدي خان مؤسس صحيفة الحكمة في القاهرة في كتابه « باب الأبواب » الذي خصص جانباً منه لدراسة حركات أدعياء المهديّة.

(١) ذكر تراجمهم الدكتور محمد مهدي خان مؤسس صحيفة الحكمة في القاهرة في كتابه «باب الأبواب» الذي خصص جانباً منه لدراسة حركات أدياء المهديّة.

ص: ١١٧

انتشرت الأحاديث النبوية المصروفة بذلك بين المسلمين و دونها علماء الحديث قبل ولادة المهدي بعقود عديدة، كما كانوا يعلمون بأن الإمام الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من ائمة العترة النبوية (عليهم السلام)، لذا فمن الطبيعي أن يسعوا لقطع هواجس ظهور المهدي الموعود بالإجتهد من أجل قطع نسل والده العسكري (عليهما السلام).

و من الواضح أن مجرد احتمال صحة هذه الأحاديث كان كافياً لدفعهم نحو إبادته، فكيف الحال و هم على علم راجح بذلك خاصة و أن ليس بين المسلمي ن سلسلة تنطبق عليهم مواصفات تلك الأحاديث الشريفة مثلما تنطبق على هؤلاء الاثمة الإثني عشر (عليهم السلام) كما لاحظنا مفصلاً في البحوث السابقة؟!

و على ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نفهم سر ظاهرة قصر الأعمار التي ميزت تأريخ الاثمة الثلاثة الذين سبقوا الإمام المهدي (عليهم السلام) من آباءه، فقد استشهد أبوه العسكري و هو ابن ثمان و عشرين^{١٥٨} و استشهد جده الإمام الهادي و هو ابن أربعين سنة^{١٥٩} و استشهد الإمام الجواد و هو ابن خمس و عشرين سنة^{١٦٠}، و هذه ظاهرة جديرة بالدراسة، و تكفي وحدها للكشف عن المساعي العباسية الحثيثة لإبادة هذا النسل للحيلولة دون ظهور المهدي الموعود^{١٦١} حتى لو لم يسجل التأريخ محاولات العباسيين لاغتيال و قتل هؤلاء

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٨٨.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ١٦٩ / ٤.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٧٦.

(٤) لقد امتدت هذه المحاولات الى داخل بيت الإمام (عليه السلام) فزرعت العيون من النساء لمراقبة ما يحدث داخل بيت الإمام (عليه السلام)، للقضاء على الإمام المهدي (عليه السلام) إن ولد، بل قد امتدت هذه الجهود للحيلولة دون ولادة الإمام (عليه السلام) و من هنا لم يتزوج الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بشكل رسمي كما هو المتعارف و المتداول حينذاك.

ص: ١١٨

^{١٥٨} (١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي 288.

^{١٥٩} (٢) مروج الذهب للمسعودي: 169 / 4.

^{١٦٠} (٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي 276.

^{١٦١} (٤) لقد امتدت هذه المحاولات الى داخل بيت الإمام (عليه السلام) فزرعت العيون من النساء لمراقبة ما يحدث داخل بيت الإمام (عليه السلام)، للقضاء على الإمام المهدي (عليه السلام) إن ولد، بل قد امتدت هذه الجهود للحيلولة دون ولادة الإمام (عليه السلام) و من هنا لم يتزوج الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بشكل رسمي كما هو المتعارف و المتداول حينذاك

الائمة، فكيف الحال و قد سجل عددا من هذه المحاولات تجاههم (عليهم السلام)، حتى ذكر المؤرخون مثلاً أنهم قد سجنوا الإمام العسكري و سعوا لاغتياله عدة مرات، كما فعلوا مع آبائه (عليهم السلام)؟!^{١٦٢}

يقول الإمام الحسن العسكري معللاً هذه الحرب المحمومة ضدهم (عليهم السلام) فيما رواه عنه معاصره الشيخ الثقة الفضل بن شاذان:

قال: حدثنا عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب قال: قال ابو محمد [الإمام العسكري (عليه السلام)]: «قد وضع بنو امية و بنو العباس سيوفهم علينا لعلتين:

احدهما انهم كانوا يعلمون انه ليس لهم في الخلافة حق فيخافون من ادعائنا إيها و تستقر في مركزها، و ثانيتهما انهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على ان زوال ملك الجبابة و الظلمة على يد القائم منا، و كانوا لا ي شكون انهم من الجبابة و الظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) و إبادة نسله طمعا منهم في الوصول الى منع تولد القائم (عليه السلام) أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم **إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**»^{١٦٣}.

(١) راجع الفصل الخاص بذلك في كتاب حياة الإمام العسكري (عليه السلام) للشيخ الطبسي: ٤٢١-٤٢٤.

(٢) إثبات الهداة للحر العاملي: ٣ / ٥٧٠، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي: ٣٥٩ ب ٣٤ ح ٤ عن كشف الحق للخاتون آبادي و بذيله ما يدل عليه من سائر الأخبار غير القليلة.

ص: ١١٩

الفصل الثاني مراحل حياة الإمام المهدي (عليه السلام)

تنقسم حياة كل إمام معصوم بشكل عام الى قسمين رئيسين:

القسم الأول: حياته قبل تسلمه مهام الإمامة و الزعامة.

القسم الثاني: حياته بعد تسلمه لمهام الإمامة و الزعامة.

و بالإمكان تقسيم كل منهما الى مراحل.

و بناء على هذا تنقسم حياة الإمام المهدي (عليه السلام) الى أربع مراحل متميزة، و هي:

المرحلة الأولى: حياته في ظل أبيه أي من الولادة سنة (٢٥٥ هـ) حتى يوم استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠ هـ). و هي خمس سنوات تقريبا.

^{١٦٢} (١) راجع الفصل الخاص بذلك في كتاب حياة الإمام العسكري (عليه السلام) للشيخ الطبسي: 421-424.

^{١٦٣} (٢) إثبات الهداة للحر العاملي: 3 / 570، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي: 359 ب 34 ح 4 عن كشف الحق للخاتون آبادي و بذيله ما يدل عليه من سائر الأخبار غير القليلة.

المرحلة الثانية: حياته منذ وفاة أبيه (عليه السلام) (سنة ٢٦٠ هـ) حتى انتهاء الغيبة الصغرى سنة (٣٢٩ هـ). وهي تناهز السبعين عاما.

المرحلة الثالثة: حياته في الغيبة الكبرى والتي بدأت بعد وفاة سفيره الرابع عام (٣٢٩ هـ) وهي مستمرة حتى يوم ظهوره على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية من جديد.

ص: ١٢٠

المرحلة الرابعة: حياته في مرحلة الظهور التي تبدأ بعد انتهاء الغيبة الكبرى، وهو عهد الدولة المهدوية العالمية المرتقبة و التي أخبرت عنها نصوص الكتاب و السنة.

و تتميز كل مرحلة من هذه المراحل بمجموعة من الخصائص نشير اليها تباعا في كل باب إن شاء الله تعالى.

ص: ١٢١

الفصل الثالث الإمام المهدي في ظل أبيه (عليهما السلام)

دور الإمام العسكري (عليه السلام) في إعلان الولادة

في ظل تلك الأوضاع الإرهابية الصعبة كانت تواجه الإمام العسكري ع - سلام الله عليه - مهمة على درجة كبيرة من الخطورة والحساسية، فكان عليه أن يخفي أمر الولادة عن اعين السلطات العباسية بالكامل و الحيلولة دون اهتدائهم الى وجوده و ولادته و مكانه حتى لو عرفوا إجمالاً بوقوعها، و ذلك حفظاً للوليد من مساعي الإبادة العباسية المترتبة به و لذلك لاحظنا في خبر الولادة حرص الإمام على خفائها، كما نلاحظ أوامره المشددة لكل من أطلععه على خبر الولادة من أرحامه و خواص شيعته بكتمان الخبر بالكامل فهو يقول مثلاً لأحمد بن إسحاق : «ولد لنا مولود فليكن عندك مستورا و من جميع الناس مكتوما»^{١٦٤}.

و من جهة ثانية كان عليه الى جانب ذلك و في ظل تلك الأوضاع الارهابية و حملات التفتيش العباسية المتواصلة، أن يثبت خبر ولادته (عليه السلام) بما لا يقبل الشك إثباتاً لوجوده ثم إمامته، فكان لا بد من جهود على ذلك يطلعهم على الأمر لكي ينقلوا شهاداتهم فيما بعد و يسجلها التأريخ للأجيال

(١) كمال الدين: ٤٣٤.

ص: ١٢٢

^{١٦٤} (١) كمال الدين: 434.

اللاحقة، و لذلك قام (عليه السلام) باخبار عدد من خواص شيعته بالأمر^{١٦٥} و عرض الوليد عليهم، بعد مضي ثلاثة أيام من ولادته^{١٦٦}، كما عرضه على أربعين من وجوه و خلّص أصحابه بعد مضي بضع سنين و الإمام يومئذ غلام صغير و أخبرهم بأنه الإمام من بعده^{١٦٧}، كما كان يعرضه على بعض أصحابه فرادى بين الحين و الآخر و يظهر لهم منه من الكرامات بحيث يجعلهم على يقين من وجوده الشريف^{١٦٨}، و قام (عليه السلام) باجراءات اخرى للهدف نفسه مع الالتزام بحفظ حياة الوليد من الإبادة العباسية بما أثبت تأريخيا ولادة خليفته الإمام المهدي (عليه السلام) بأقوى ما تثبت به ولادة انسان كما يصرح بذلك الشيخ المفيد^{١٦٩}.

و من جهة ثالثة كانت تواجه الإمام العسكري - سلام الله عليه - مهمّة التمهيد لغيبة ولده المهدي و تعويد المؤمنين على التعامل غير المباشر مع الإمام الغائب، و قد قام (عليه السلام) بهذه المهمة عبر سلسلة من الاجراءات كإخبارهم بغيبته و أمرهم بالرجوع الى سفيره العام عثمان بن سعيد، فهو يقول لطائفة من أصحابه بعد أن عرض عليهم الإمام المهدي (عليه السلام) و هو غلام: «هذا إمامكم من بعدى و خلى فتى عليكم، أطيعوه و لا تتفرقوا من بعدى فتهلكوا فى أديانكم، ألا و أنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله و انتهوا الى أمره و اقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم و الأمر إليه»^{١٧٠}.

(١) كمال الدين: ٤٣١، و راجع معادن الحكمة فى مكاتيب الائمة لمحمد بن الفيض الكاشانى: ٢ / ٢٧٥.

(٢) كمال الدين: ٤٣١.

(٣) الغيبة للشيخ الطوسي: ٢١٧، اثبات الهداة للحر العاملي: ٤١٥، ينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفي: ٤٦٠.

(٤) راجع قصصهم فى كتاب تبصرة الولي للسيد البحراني و الفصول الخ اصّة بأحاديث «من رآه فى حياة أبيه» من كتب الغيبة.

(٥) الفصول العشرة فى الغيبة، المطبوع ضمن كتاب عدة رسائل للشيخ المفيد: ٣٥٣.

(٦) غيبة الطوسي: ٢١٧.

ص: ١٢٣

و من إجراءاته (عليه السلام) فى هذا المجال - تأكيده على استخدام اسلوب الاحتجاب و التعامل مع المؤمنين بصورة غير مباشرة تعويدا لهم على مرحلة الغيبة فكان: يكلم شيعته الخواص و غيرهم من وراء الستر إلا فى الأوقات التى يركب فيها الى دار السلطان و انما كان منه و من أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك و لا تنكر الغيبة و تجرى

^{١٦٥} (١) كمال الدين: 431، و راجع معادن الحكمة فى مكاتيب الائمة لمحمد بن الفيض الكاشانى: 2 / 275.

^{١٦٦} (٢) كمال الدين: 431.

^{١٦٧} (٣) الغيبة للشيخ الطوسي: 217، اثبات الهداة للحر العاملي: 415، ينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفي: 460.

^{١٦٨} (٤) راجع قصصهم فى كتاب تبصرة الولي للسيد البحراني و الفصول الخاصة بأحاديث من رآه فى حياة أبيه، من كتب الغيبة.

^{١٦٩} (٥) الفصول العشرة فى الغيبة، المطبوع ضمن كتاب عدة رسائل للشيخ المفيد: 353.

^{١٧٠} (٦) غيبة الطوسي: 217.

العادة بالاحتجاب والإستتار^{١٧١}، ومن هذه الاجراءات تثبيت نظام الوكلاء عن الإمام، و تأييد الكتب الحديثية التي جمع فيها أصحاب الائمة مروياتهم عنهم وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله)^{١٧٢}، ليرجع إليها المؤمنون في عصر الغيبة^{١٧٣}.

حضوره وفاء أبيه (عليه السلام)

طبق ما يرويه الشيخ الصدوق في إكمال الدين و الشيخ الطوسي في الغيبة فإن الإمام المهدي - عجل الله فرجه - قد حضر وفاء أبيه العسكري (عليهما السلام)، إلا أن رواية الشيخ الطوسي أكثر تفصيلاً من رواية الصدوق التي كتبت عن حضوره و لم تصرح به، فقد نقل الشيخ الصدوق عن محمد بن الحسين بن عباد أنه قال : مات أبو محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) يوم جمعة مع صلاة الغداة، و كان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة و ذلك في شهر ربيع الأول لثمان خلون منه سنة ستين و مائتين من الهجرة و لم يحضره في ذلك الوقت إلا صقيل الجارية، و عقيد الخادم و من علم الله عز و جل غيرهما ...^{١٧٤}.

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ٢٦٢.

(٢) راجع رجال الكشي: ٤٨١، ٤٥١، و رجال ابن داود: ٢٧٢ - ٢٧٣، و وسائل الشيعة: ١٨ / ٧٢، فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ١٨٣ و غيرها.

(٣) لمزيد من التفصيلات بشأن دور الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في هذا المجال راجع كتاب تأريخ الغيبة الصغرى للسيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله): ٢٦٩ و ما بعدها، و حياة الإمام العسكري (عليه السلام) للشيخ الطبسي: ٣١٣ - ٣٢٦.

(٤) كمال الدين: ٤٧٤.

ص: ١٢٤

و نقل الطوسي الرواية بتفصيل أكثر حيث قال:

«قال اسماعيل بن علي: دخلت على أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السلام) في المرضة التي مات فيها، و انا عنده إذ قال لخادمه عقيد - و كان الخادم اسود نوبى - قد خدم من قبله علي بن محمد و هو ربي الحسن (عليه السلام): يا عقيد اغل لي ماء بمصطكى . فاغلى له ثم جاءت به صقيل الجارية ام الخلف فلما صار القدح في يديه هم بشربه فجعلت يده

^{١٧١} (١) إثبات الوصية للمسعودي: 262.

^{١٧٢} (٢) راجع رجال الكشي: 481، 451، و رجال ابن داود: 272 - 273، و وسائل الشيعة: 18 / 72، فلاح السائل للسيد ابن طاووس: 183 و غيرها.

^{١٧٣} (٣) لمزيد من التفصيلات بشأن دور الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في هذا المجال راجع كتاب تأريخ الغيبة الصغرى للسيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله): 269 و ما بعدها، و حياة الإمام العسكري (عليه السلام) للشيخ الطبسي: 313 - 326.

^{١٧٤} (٤) كمال الدين: 474.

ترتعد حتى ضرب القدح ثنانيا الحسن فتركه من يده و قال لعقيد : «ادخل البيت فإنك ترى صبيا ساجدا فأتني به»، قال ابو سهل:

قال عقيد: فدخلت أتحري فاذا انا بصبي ساجد رافع سبابته نحو السماء فسلمت عليه فأوجز في صلاته فقلت : إن سيدي يأمرک بالخروج إليه، إذ جاءت أمّه صقيل فأخذت بيده و أخرجته الى أبيه الحسن (عليه السّلام).

قال ابو سهل: فلما مثل الصبي بين يديه سلم و إذا هو دري اللون و في شعر رأسه قطط، مفلج الأسنان، فلما رآه الحسن (عليه السّلام) بكى و قال: «يا سيد أهل بيته اسقني الماء فإنني ذاهب الى ربي» و أخذ الصبي القدح المغلي بالمصطكى بيده ثم حرك شفتيه ثم سقاه فلما شربه قال : «هيئوني للصلاة»، فطرح في حجره منديل فوضأه الصبي واحدة واحدة و مسح على رأسه و قدميه فقال له ابو محمد (عليه السّلام): ابشر يا بني فأنت صاحب الزمان و انت المهدي و انت حجة الله على ارضه و انت ولدي و وصيي و أنا ولدتك و انت محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولدك رسول الله و أنت خاتم الائمة الطاهرين و بشر بك رسول الله (صلّى الله عليه و آله) و سمّاك و كُنّاك بذلك عهد إلى أبي عن آبائك الطاهرين صلّى الله على أهل البيت ربّنا انه حميد مجيد، و مات الحسن بن علي من وقته صلوات الله عليهم اجمعين^{١٧٥}.

(١) غيبة الطوسي: ١٦٥.

ص: ١٢٥

الباب الثالث و فيه فصول:

الفصل الأول:

الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عليه السّلام)

الفصل الثاني:

أسباب الغيبة الصغرى و التمهيد لها

الفصل الثالث:

إنجازات الإمام المهدي (عليه السّلام) في الغيبة الصغرى

ص: ١٢٧

الفصل الأوّل الغيبة الصغرى للإمام المهدي (عليه السّلام)

^{١٧٥} (١) غيبة الطوسي: 165.

تسلّمه مهام الإمامة صغيرا

تسلّم المهدي (عليه السلام) مهام الإمامة وهو ابن خمس أو ست سنين فهو أصغر الأئمة سنا عند توليه مهام الإمامة . و قد أخبرت عن ذلك الأحاديث الشريفة سابقا^{١٧٦}.

و ليس في ذلك غرابة في تأريخ الأنبياء و الرسل و أئمة أهل البيت (عليهم السلام) فقد سبقه لذلك بعض أنبياء الله تعالى حسب نص القرآن الكريم كعيسى و يحيى كما سبقه الإمامان علي الهادي (عليه السلام) الذي تسلّم الإمامة و هو ابن ثمان سنين و الإمام محمد الجواد (عليه السلام) الذي تسلّم الإمامة و هو ابن سبع أو تسع سنين.

و قد خاض الإمام الجواد (عليه السلام) امتحانين عامين، الأول منهما كان بحضور مشائخ مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و كبار علمائهم من أصحاب أبيه، و بعد تسلّمه لمهام الإمامة مباشرة، و كان الثاني منهما في مجلس المأمون و بحضور كبار علماء المسلمين يومذاك و كبار زعماء العباسيين الذين كانوا يسعون

(١) راجع مثلاً حديث الإمام الباقر (عليه السلام): «صاحب هذا الأمر أصغرنا سنا و أخملنا شخصا ...» غيبة النعماني: ١٨٤.

و راجع بهذا الشأن إيضاحات الشيخ المفيد في كتابه الفصول المختارة من العيون و المحاسن: ٢٥٦، و في كتاب بحث حول المهدي للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) حيث تحدث مفصلاً عن هذه الظاهرة في حياة الأئمة بالتفصيل.

ص: ١٢٨

بكل وسيلة للحط من مكانة أئمة أهل البيت (عليهم السلام). و خرج من كلا الامتحانين بنجاح باهر أذعن بسببه مشائخ أصحاب أبيه و كبار علماء المسلمين لإمامته العلمية و إحاطته بعلوم شريعة جده سيد الرسل محمد (صلى الله عليه و آله)^{١٧٧}.

و كانت أهم ثمار هذه التجربة تتجلى في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر كموقع إلهي يؤتیه الله تبارك و تعالى لمن يشاء فلا يؤثر صغر السن في قابلية الإفاضة الإلهية على الشخص، و لذلك نلاحظ أن الذين ترجموا للإمام المهدي (عليه السلام) من علماء المذاهب الإسلامية قد اعتبروا تسلّمه للإمامة، و هو ابن خمس سنين أمراً طبيعياً في سيرة أئمة هذا البيت (عليهم السلام)، حتى إن عالماً كبيراً مثل ابن حجر الهيتمي المكي الشافعي يقول في ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري (عليه السلام): و لم يخلف [الإمام العسكري] غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، و عمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة...^{١٧٨}، و يقول صاحب كتاب مرآة الأسرار الشيخ عبد الرحمن الجامي الحنفي في ترجمته : «كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين و جلس على مسند الإمامة و مثله مثل يحيى بن زكريا حيث أعطاه الله في الطفولية الحكمة و

^{١٧٦} (١) راجع مثلاً حديث الإمام الباقر (عليه السلام): «صاحب هذا الأمر أصغرنا سنا و أخملنا شخصا...» غيبة النعماني: 184. و راجع بهذا الشأن إيضاحات الشيخ المفيد في كتابه الفصول المختارة من العيون و المحاسن: 256، و في كتاب بحث حول المهدي للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (رحمه الله) حيث تحدث مفصلاً عن هذه الظاهرة في حياة الأئمة بالتفصيل.

^{١٧٧} (١) راجع تفصيلات هذه الامتحانات في موسوعة بحار الأنوار 99/50 و غيرها.

^{١٧٨} (2) الصواعق المحرقة: 124.

الكرامة و مثل عيسى بن مريم حيث أعطاه النبوة في صغر سنّه كذلك المهدي جعله الله إماما في صغر سنه، و ما ظهر له من خوارق العادات كثير لا يسعه هذا المختصر»^{١٧٩}.

و نلاحظ هنا استناد الشيخ الجامي الحنفي الى تجارب الأنبياء السابقين (عليهم السّلام) التي تنفي استبعاد الإمامة عن الصغير ما دام الإمام مسددا من

(١) راجع تفصيلات هذه الامتحانات في موسوعة بحار الأنوار: ٩٩ / ٥٠ و غيرها.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٤.

(٣) مرآة الأسرار: ٣١.

ص: ١٢٩

قبل الله تبارك و تعالى في صغره أو كبره . و قد ثبت أن المهدي (عليه السّلام) قد حظى بهذا التسديد الإلهي من خلال حوادث عديدة نقلتها كتب الحديث و التاريخ و ذكرت صدور كرامات عنه (عليه السّلام) لا يمكن صدورها عن غير الإمام، و قد كان بعضها في حياة أبيه و بعضها الآخر في عهد إمامته^{١٨٠}.

صلاته على أبيه و إعلان وجوده

كان من اولى المهمات التي قام بها الإمام المهدي (عليه السّلام) بعيد تسلمه مهام الإمامة هي الصلاة على أبيه الحسن العسكري (عليهما السّلام) في داره و قبل إخراج جسده الطاهر الى الصلاة «الرسمية» التي خططتها السلطات العباسية^{١٨١} و كان قيامه بهذه الصلاة يعتبر أمرا مهما في إثبات إمامته رغم المخاطر التي كانت تتوقع بعد نقل خبر هذه الصلاة.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن أحمد بن عبد الله الهاشمي - و هو من ولد العباس - قال: «حضرت دار أبي محمد الحسن بن علي (عليهما السّلام) بسر من رأى يوم توفي و اخرجت جنازته و وضعت، و نحن تسعة و ثلاثون رجلا قعود ننتظر، حتى خرج علينا غلام عشاري حاف، عليه رداء قد تقنع به فلما أن خرج قمنا هيبه له من غير أن نعرفه، فتقدم و قام الناس فاصطفوا خلفه، فصلى عليه و مشى، فدخل بيتا غير الذي خرج منه»^{١٨٢}.

و روى الشيخ الصدوق الحادثة نفسها بتفصيلات أدق عن أبي الأديان

^{١٧٩} (٣) مرآة الأسرار: 31.

^{١٨٠} (١) مثل تكلمه عند ولادته و هو في المهد، كمال الدين: 433، 441 و غيرها، و مثل تحدّثه بجوامع العلم و الحكمة و هو صغير، غيبة الشيخ الطوسي: 148 و غيرها.

^{١٨١} (٢) يظهر أن الصلاة الأولى كانت بحضور وجوه أصحاب الإمام و أرحامه و الصلاة الرسمية كانت بحضور ممثلي السلطة العباسية و وجوه المدينة و عامة الناس، راجع تفصيلات ذلك في كتاب بحار الأنوار 328 / 50.

^{١٨٢} (٣) غيبة الشيخ الطوسي: 155.

(١) مثل تكلمه عند ولادته و هو فى المهد، كمال الدين : ٤٣٣، ٤٤١ و غيرها، و مثل تحدثه بجوامع العلم و الحكمة و هو صغير، غيبة الشيخ الطوسى: ١٤٨ و غيرها.

(٢) يظهر أن الصلاة الأولى كانت بحضور وجوه أصحاب الإمام و أرحامه و الصلاة الرسمية كانت بحضور ممثلى السلطة العباسية و وجوه المدينة و عامة الناس، راجع تفصيلات ذلك فى كتاب بحار الأنوار: ٣٢٨ / ٥٠.

(٣) غيبة الشيخ الطوسى: ١٥٥.

ص: ١٣٠

البصرى أحد ثقاة الإمام العسكرى (عليه السلام)، حيث قال:

«كنت اخدم الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب (عليهم السلام) و احمل كتبه الى الأمصار فدخلت عليه فى علة التى توفى فيها صلوات الله عليه فكتب معى كتبا و قال : «امض بها الى المدائن فإنك ستغيب اربعة عشر يوما و تدخل الى (سر من رأى) يوم الخامس عشر و تسمع الواعية فى دارى و تجدنى على المغتسل».

قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدى فاذا كان ذلك فمن؟ قال: «من طالبك بجوابات كتبى فهو القائم من بعدى»، فقلت: زدنى فقال: «من اخبر بما فى الهميان فهو القائم بعدى» ثم منعتنى هيبتة ان أسأله عما فى الهميان و خرجت بالكتب الى المدائن و اخذت جواباتها و دخلت (سر من رأى) يوم الخامس عشر كما قال لى (عليه السلام) و اذا أنا بالواعية فى داره و اذا به على المغتسل و اذا أنا بجعفر الكذاب ابن على اخيه بباب الدار و الشيعة من حوله يعزونه و يهنؤونه فقلت فى نفسى ان يكن هذا الإمام بطلت الإمامة لأنى كنت اعرفه يشرب النبيذ و يقامر فى الجوسق و يلعب بلطنبور فتقدمت فعزيت و هنت فلم يسألنى عن شىء ثم خرج عقيد فقال: يا سيدى قد كفن اخوك فقم فصل عليه.

فدخل جعفر بن على و الشيعة من حوله يقدمهم السمان و الحسن بن على قبيل المعتصم المعروف بسلمة فلما صرنا فى الدار اذا نحن بالحسن بن على صلوات الله عليه على نعشه مكفنا، فتقدم جعفر بن على ليصلى على اخيه فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمره بشعره قطط باسنانه تفليج، فجذب برداء جعفر بن على و قال : «تأخر يا عم فأنا احق بالصلاة على أبى» فتأخر جعفر و قد اربد وجهه و اصفر و تقدم الصبى فصلى عليه و دفن الى جانب قبر ابيه (عليهما السلام) ثم قال: «يا بصرى هات جوابات الكتب التى معك» فدفعتهإليه فقلت

ص: ١٣١

فى نفسى: هذه بيّتان بقى الهميان ثم خرجت الى جعفر بن على و هو يزفر فقال له حاجز الوشا : يا سيدى من الصبى لنقيم الحجة عليه؟

فقال: و الله ما رأيته و لا اعرفه فنحن جلوس اذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي (عليه السلام) فتعرفوا موته فقالوا: فمن نعزي؟ فاشاروا الى جعفر ابن علي فسلموا عليه و عزوه و هنؤوه و قالوا : معنا كتب و مال فتقول ممن الكتب و كم المال؟ فقام ينفذ اثوابه و يقول: تريدون منا أن نعلم الغيب؟! قال: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان و فلان و هميان فيه الف دينار و عشرة دنائير منها مطلية فدفعوا إليه الكتب و المال و قالوا: الذي وجه بك لأخذ ذلك هو الإمام.

فدخل جعفر بن علي على المعتمد و كشف ذلك فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبي فأنكرته، و ادعت أن بها حبلا لتغطي على حال الصبي، فسلمت الى ابن أبي الشوارب القاضي، و بغتهم موت عبيد الله بن خاقان فجاءه و خروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم و الحمد لله رب العالمين...»^{١٨٣}.

أهدافه (عليه السلام) من الصلاة على أبيه

حقق قيام الإمام بالصلاة على أبيه - سلام الله عليهما - أمرين مهمين، كان من الضروري إنجازهما بعد وفاة الإمام الحادي عشر حيث تتطلع أنظار الناس لمعرفة هوية الإمام الثاني عشر، بعد أن عرفنا أن ولادة الإمام المهدي - سلام الله عليه - كانت قد احيطت بالكتمان الشديد بسبب الت رصد العباسي للقضاء على الوليد المصلح المرتقب، لذلك فإن هذا الظرف الخاص هو

(١) كمال الدين: ٤٧٥ - ٤٧٦.

ص: ١٣٢

الظرف الذي كانت تتطلع فيه الأعين لترى من الذي يصلى على الإمام المتوفى لتتخذ ذلك قرينة كاشفة عن خليفة الإمام السابق. و هكذا كان الظرف يمثل فرصة مناسبة للغاية لتعريف الحاضرين فى الدار - و كثير منهم من عيون أصحاب الإمام العسكرى (عليه السلام) و وكلائه - بوجود الإمام المهدي و أنه هو الوصى الحقيقى لأبيه، و أن الرعاية الإلهية قد حفظته من مساعى الإبادة العباسية خاصة و أن الخليفة العباسي المعتمد قد بعث جلاوزته فور وصول خبر وفاة الإمام العسكرى لتفتيش داره (عليه السلام) بجميع حجرها بحثا عن ولده و اصطحبوا معهم نساء يعرفن الحبل لفحص جواريه (عليه السلام) و كل ذلك كان قبل تهيئة الجسد الطاهر و تكفينه^{١٨٤}، لذلك كانت صلاته على أبيه (عليه السلام) بمثابة إعلان لأولئك الحاضرين - و عددهم كان يناهز الأربعين كما فى رواية الهاشمي المتقدمة - ؛ بسلامة الإمام المهدي من الهجوم العباسي السريع الذى باغت أهل دار العسكرى المنشغلين بمصيبة فقده (عليه السلام)، الأمر الذى قد يجعل البعض يتصور بأنهم لم يَكُونُوا يتحسبون لهذا الهجوم المباغت.

و لتأكيد هذا الأمر نلاحظ أن ظهور الإمام المهدي (عليه السلام) للصلاة على أبيه اقترن بالإعلان عن هويته و أنه ابن الحسن العسكرى و أنه أحق بالصلاة عليه كما تصرح بذلك رواية أبى الأديان حيث خاطب الإمام عمه جعفر بالقول:

^{١٨٣} (١) كمال الدين: 475 - 476.

^{١٨٤} (١) راجع تفصيلات ذلك فى كمال الدين: 43، 47.

«يا عم، أُلْ أَحَقَّ بالصلاة على أبي».

أما الإنجاز الثاني، فهو منع عمه جعفر - الذي لقب بالكذاب - من استغلال هذا الموقف المهم للحصول على ورقة مؤثرة في أذهان الناس تؤيد دعاويه التضليلية بأنه هو الإمام بعد أخيه العسكري (عليه السلام)، و تتضح أهمية هذا

(١) راجع تفصيلات ذلك في كمال الدين: ٤٣، ٤٧٣.

ص: ١٣٣

الإنجاز و ضرورته من ملاحظة الجهود المستميتة التي بذلها جعفر بتشجيع من السلطة العباسية لإقناع الناس بأنه خليفة أخيه العسكري (عليه السلام) و القائم مقامه في الإمامة^{١٨٥}، و قد بلغت استماتته في ذلك حد الوشاية بآبن أخيه المهدي (عليه السلام) و مسارعته لإخبار المعتمد العباسي بحضوره للصلاة بهدف القبض عليه كما رأينا في الرواية المتقدمة، و استنجاهه بالبلاط العباسي لمناصرته في جهوده هذه.

و واضح أن لمثل هذا النشاط المحموم تأثيرا سل بيا كبيرا في إضلال الناس و إبعادهم عن الإمام الحق خاصة مع الخفاء الذي كان قد أحاط بولادة المهدي (عليه السلام) و كتمان أمره إلا عن خواص أصحابه، فكان لا بد للإمام (عليه السلام) من مواجهته و عدم السماح له باستغلال ذلك الموقف الحساس لجهوده التضليلية تلك، و إعلان وجوده (عليه السلام) إكمالا للحجة على الرغم من المخاطر التي حفت بالقيام بهذه المهمة.

غيبتا الإمام المهدي (عليه السلام)

كان للإمام المهدي - عجل الله فرجه - غيبتان: صغرى و كبرى، أخبرت عنهما معا الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) و عن الائمة المعصومين من أهل بيته (عليهم السلام) كما نشير لذلك لاحقا، بل و أشارت إليها بعض نصوص الكتب السماوية السابقة كما لاحظنا سابقا.

تبدأ الغيبة الصغرى من حين وفاة أبيه الحسن العسكري (عليه السلام) سنة (٢٦٠ هـ) و تولّى المهدي مهام الإمامة الى حين وفاة آخر السفراء الأربعة

(١) إرشاد الشيخ المفيد : ٢ / ٣٣٦، ٣٣٧ و عنه في بحار الأنوار : ٥٠ / ٣٣٤، ٢٣١، مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٤٢٢، الاحتجاج: ٢ / ٢٧٩.

ص: ١٣٤

^{١٨٥} (١) إرشاد الشيخ المفيد: ٢ / ٣٣٦، ٣٣٧ و عنه في بحار الأنوار: ٥٠ / ٣٣٤، ٢٣١، مناقب آل أبي طالب: ٤ / ٤٢٢، الاحتجاج: ٢ / ٢٧٩.

الخاصين بالإمام المهدي - عجل الله فرجه - و هو الشيخ علي بن محمد السمرى فى النصف من شعبان سنة (٣٢٩ هـ) تزامنا مع ذكرى ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)؛ فتكون مدتها قرابة السبعين عاما، و قد تميزت هذه الفترة بعدم الاستتار الكلى للإمام حيث كان يتصل بعدد من المؤمنين، كما تميزت بكثرة الرسائل الصادرة عنه (عليه السلام) فى موضوعات عديدة، و كذلك بوجود السفراء الخاصين و الوكلاء الذين كان يعينهم مباشرة . و هذه الفترة مثلت مرحلة انتقالية بين الظهور المباشر الذى كان مألوفاً فى حياة آبائه و بين الاستتار الكامل فى عهد الغيبة الكبرى.

أما الغيبة الكبرى فقد بدأت إثر وفاة الشيخ السم رى إذ أمره الإمام بعدم تعيين خليفة له، بعد أن استنفذت الغيبة الصغرى الأهداف المطلوبة منها.

و الغيبة الكبرى مستمرة الى يومنا هذا و ستستمر حتى يأذن الله تبارك و تعالى للإمام بالظهور و القيام بمهمته الإصلاحية الكبرى.

و تميزت الغيبة الكبرى بانتهاء نظام السفارة الخاصة عن الإمام، و بقلّة الرسائل الصادرة عنه (عليه السلام)، و بالاستتار الكلى إلا فى حالات معينة سنتحدث عنها و عن تفصيلات ما أجمعناه آنفا ضمن البحوث التالية.

ص: ١٣٥

الفصل الثانى أسباب الغيبة الصغرى و التمهيد لها

أسباب الغيبة الصغرى

جاءت غيبة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - كإجراء تمهيدى لظهوره اقتضته الحكمة الإلهية فى تدبير شؤون العباد بهدف تأهيل المجتمع البشرى للمهمة الإصلاحية الكبرى التى يحققها الله تبارك و تعالى على يديه (عليه السلام) و التى تتمثل فى إظهار الإسلام على الدين كله و إقامة الدولة الإسلامية العادلة فى كل الأرض و تأسيس المجتمع التوحيدى الخالص الذى يعبد الله وحده لا شريك له دونما خوف من كيد منافق أو مشرك كما نصت على ذلك النصوص الشرعية التى سنتناولها فى الفصل الخاص بسيرته (عليه السلام) بعد ظهوره.

إن الانحراف الذى ساد الكيان الإسلامى قد أبعد عن الدور الريادى المطلوب الذى أراده الله سبحانه، له أى لكى يكون كيان خير أمة أخرجت للناس، و ترسخ الانحراف الاجتماعى و الأخلاقى و الاقتصادى حتى أفقده أهلية القيام بهداية المجتمع البشرى نحو العدالة الإسلامية التى فقدوها المسلمون أنفسهم و قدوا معها الكثير من القيم الإلهية الأصيلة حتى اختفت مظاهرها من حياتهم.

ص: ١٣٦

و الانحراف السياسى - الذى سبب انحرافات اخرى - كان قد طغى على كيان المسلمين و استشرى الفساد فى حكوماتهم التى لم يكن لها هدف سوى التماهى فى الملذات المحرمة و التناحر الداخلى بدوافع سلطوية و مطامع استعلائية فى الأرض حتى غابت صورة الخليفة الخادم للرعية المدافع عن كرامتهم الإنسانية و مصالحهم الدنيوية و الآخروية و حلت محلها

صورة الحاكم المستبد الذي لا همّ له سوى الفساد و الإفساد و الاستعلاء في الأرض و الاحتفاظ بالعرش بما أمكنه و لو كان على حساب سحق أبسط القيم التي جاء بها من يرفعون شعار خلافته أي النبي الأعظم (صلى الله عليه و آله)، و لذلك اجتهدوا في محاربة أئمة الهدى من عترته كما لاحظنا في تعليل الإمام العسكري (عليه السلام) للمطاردة الأموية و العباسية لهم و خاصة للمهدي الموعود.

إذن فالكيان الإسلامي - و بالتالي المجتمع البشري - لم يكن مؤهلاً بالفعل لتلك المهمة الإصلاحية الكبرى التي تحمّلها المهديّ الموعود، و لعل من أوضح مظاهر ذلك موقفه من الثورات العلوية الكثيرة التي كانت تنفجر في أرجاء مختلفه من العالم الإسلامي، لكنها كانت تواجه بقمع و حشى أو خذلان سريع أو انحراف سريع عن أهدافها المعلنة و تحويلها الى حكومة سلطوية كسائر الحكومات الفاسدة المعاصرة لها بعيدة عن الأهداف الإصلاحية الإسلامية الكبرى^{١٨٦}.

في ظل هذه الأوضاع و في ظل الجهود المستميتة التي كانت تبذلها السلطات العباسية للقضاء على المهدي كما تقدم، كان لا بد من إحاطة الإمام (عليه السلام) بستر يمكنه من المساهمة - كحجة لله على عباده - في إعداد

(١) أجرى السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) دراسة تحليلية و ثائقية قيمة استناداً لمصادر التأريخ الإسلامي، لخصوصيات هذه الحقبة من التأريخ الإسلامي من المفيد الاطلاع عليها في كتابه تأريخ الغيبة الصغرى.

ص: ١٣٧

المقدمات اللازمة لظهوره دون أن يعرضه لخطر الإبادة و فقدان البشر لحجة الله الموكّل بحفظ الشريعة المحمدية، و هذا الستار هو الذي سمي ب «الغيبة».

و الى هذا السبب أشارت مجموعة من الأحاديث الشريفة عن أنّ أحد أسرار الغيبة هو الخشية من القتل، و هذه العلة تنطبق على الغيبة الصغرى و ثمة علل أخرى ترتبط بتأهيل المجتمع البشري للظهور . سنفصل الحديث عنها في مقدمة الفصل الخاص بالغيبة الكبرى.

تمهيد النبي (صلى الله عليه و آله) و الأئمة (عليهم السلام) لغيبة الإمام المهدي (عليه السلام)

سجلت المصادر الإسلامية الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) و أئمة أهل البيت (عليهم السلام)؛ التي أخبرت عن حتمية وقوع غيبة الإمام المهدي - عجل الله فرجه -، و قد نقلنا نماذج لها ضمن الحديث عن خفاء ولادته، و نقل هنا نماذج أخرى لها.

فمنها ما رواه الحافظ صدر الدين ابراهيم بن محمد الحموي الشافعي (٦٤٤ - ٧٢٢ هـ) في كتابه فرائد السمطين، و غيره بأسانيدهم عن ابن عباس أن يهوديا اسمه نعتل و يكنى أبا عماره جاء الى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و سأله عن أشياء ترتبط بالتوحيد و النبوة و الإمامة فأجابها فأسلم الرجل و قال:

^{١٨٦} (١) أجرى السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) دراسة تحليلية و ثائقية قيمة استناداً لمصادر التأريخ الإسلامي، لخصوصيات هذه الحقبة من التأريخ الإسلامي من المفيد الاطلاع عليها في كتابه تأريخ الغيبة الصغرى

أشهد أن لا إله إلا الله، و أنك رسول الله، و أشهد أنهم الأوصياء بعدك، و لقد وجدت هذا في الكتب المتقدمة، و فيما عهد الينا موسى (عليه السلام): اذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له «أحمد» خاتم الأنبياء لا نبي بعده، يخرج من صلبه أئمة ابرار عدد الأسباط.

فقال (صلى الله عليه و آله) «يا أبا عمارة اعرف الأسباط»؟ قال: نعم يا رسول الله انهم كانوا اثني عشر.

ص: ١٣٨

قال: «فإن فيهم لاوى بن ارحيا». قال: أعرفه يا رسول الله، و هو الذى غاب عن بنى اسرائيل سنين ثم عاد فأظهر شريعته بعد دراستها و قاتل مع فريطيا الملك حتى قتله.

و قال (عليه السلام): «كائن فى امتى ما كان من بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل و القذة بالقذة، و ان الثانى عشر من ولدى يغيب حتى لا يرى، و يأ تى على امتى زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه و لا من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله له بالخروج فيظهر الإسلام و يجدد الدين ». ثم قال (عليه السلام): طوبى لمن أحبهم و طوبى لمن تمسك بهم، و الويل لمبغضهم»^{١٨٧}.

و روى عنه (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «من أنكر القائم من ولدى فى غيبته مات ميتة جاهلية»^{١٨٨}.

و قال (صلى الله عليه و آله): «و الذى بعثنى بالحق بشيرا ليغيبن القائم من ولدى بعهد معهود إليه منى حتى يقول الناس ما لله فى آل محمد من حاجة، و يشك آخرون فى ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه و لا يجعل للشيطان إليه سبيلا بشكه فيزيله عن ملتي و يخرج من ديني...»^{١٨٩}.

و قال (صلى الله عليه و آله): «... و جعل من صلب الحسين أئمة ليوصون بأمرى و يحفظون وصيتى، التاسع منهم قائم أهل بيتى و مهدى امتى، أشبه الناس بى فى شمائله و أقواله و أفعاله، ليظهر بعد غيبة طويلة و حيرة مضلة، فيعلن أمر الله و يظهر دين الحق...»^{١٩٠}.

و قال (صلى الله عليه و آله): «لا بد للغلام من غيبة» ف قيل له: و لم يا رسول الله؟ قال:

(١) فرائد السمطين: ٢ / ١٣٢.

(٢) كمال الدين: ٤١٣، كفاية الأثر: ٦٦، و الأحاديث النبوية بهذا المعنى كثيرة راجعها فى معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) القسم الخاص بأحاديث النبي (صلى الله عليه و آله): ١ / ٢٥٦ - ٢٦٧.

^{١٨٧} (١) فرائد السمطين: 2 / 132.
^{١٨٨} (٢) كمال الدين: 413، كفاية الأثر: 66، و الأحاديث النبوية بهذا المعنى كثيرة راجعها فى معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه السلام) القسم الخاص بأحاديث النبي (صلى الله عليه و آله): 1 / 256 - 267.
^{١٨٩} (٣) كمال الدين: 51، إثبات الهداة: 3 / 459.
^{١٩٠} (٤) كفاية الأثر: 10.

(٣) كمال الدين: ٥١، إثبات الهداء: ٣ / ٤٥٩.

(٤) كفاية الأثر: ١٠.

ص: ١٣٩

يخاف القتل»^{١٩١}.

و قال (صلى الله عليه وآله): «المهدي من ولدى تكون له غيبة و حيرة تضل فيها الامم، يأتي بذخيرة الأنبياء (عليهم السلام) فيملؤها عدلا و قسطا كما ملئت جورا و ظلما»^{١٩٢}.

و عن الإمام علي (عليه السلام) قال ضمن حديث: «... و لكنى فكرت فى مولود يكون من ظهري الحادى عشر من ولدى هو المهدي الذى يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما تكون له غيبة و حيرة يضل فيها أقوام و يهتدى فيها آخرون ...»^{١٩٣}.

و قال (عليه السلام) «و إن للغائب منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا من قوى يقينه و صحت معرفته»^{١٩٤}.

و روى فى ذلك ايضا عن الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، كما تقدم فى بحث ولادته (عليه السلام).

و روى عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنه قال: «لصاحب هذا الأمر [يعنى المهدي] غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، و بعضهم: ذهب، و لا يطلع على موضعه أحد من ولى و لا غيره إلا المولى الذى يلي أمره»^{١٩٥}.

و عن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: «فى القائم سنة من نوح و هو طول العمر»^{١٩٦}، و قال (عليه السلام): «إن للقائم منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى»^{١٩٧}.

و عن الإمام الباقر (عليه السلام): «لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى»^{١٩٨}.

(١) علل الشرائع: ١ / ٢٤٣ و عنه فى بحار الأنوار: ٥٢ / ٩٠.

(٢) فرائد السمطين: ٢ / ٣٣٥، و ينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفى: ٤٨٨.

^{١٩١} (١) علل الشرائع: ١ / ٢٤٣ و عنه فى بحار الأنوار: ٥٢ / ٩٠.

^{١٩٢} (٢) فرائد السمطين: ٢ / ٣٣٥، و ينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفى: ٤٨٨.

^{١٩٣} (٣) الكافي للكليني: ١ / ٢٧٣.

^{١٩٤} (٤) ينابيع المودة للحافظ الحنفى: ٤٢٧.

^{١٩٥} (٥) الإشاعة فى اشراط الساعة: ١٣.

^{١٩٦} (٦) كمال الدين: ٣٢١.

^{١٩٧} (٧) كمال الدين: ٣٢٣.

^{١٩٨} (٨) غيبة النعماني: ١٧٢.

(٣) الكافي للكليني: ٢٧٣ / ١.

(٤) ينابيع المودة للحافظ الحنفى: ٤٢٧.

(٥) الاشاعة في اشراط الساعة: ١٣.

(٦) كمال الدين: ٣٢١.

(٧) كمال الدين: ٣٢٣.

(٨) غيبة النعماني: ١٧٢.

ص: ١٤٠

و عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها»^{١٩٩}، «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها ... لأن الله عز و جل أبى إلا أن يجرى فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) و أنه لا بد يا سدير من استيفاء مدد غيبتهم»^{٢٠٠}.

و عن الإمام الكاظم (عليه السلام): «أنا القائم بالحق و لكن القائم الذى يظهر الأرض من أعداء الله و يملأها عدلا كما ملئت جورا هو الخامس من ولدى له غيبة يطول أمدها ...»^{٢٠١}.

و عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال ضمن حديث عن القائم : «... ذاك الرابع من ولدى يغيبه الله فى ستره ما شاء ثم يظهره فيملاً [به] الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما»^{٢٠٢}.

و عن الإمام الجواد (عليه السلام) قال ضمن حديث: «... ما منّا إلّا قائم بأمر الله و هاد الى دين الله و لكن القائم الذى يظهر الله عز و جل به الأرض من أهل الكفر و الجحود و يملأها عدلا و قسطا هو الذى يخفى على الناس ولادته و يغيب عنهم شخصه ...»^{٢٠٣}.

و عن الإمام الهادى (عليه السلام) قال: «... إنكم لا ترون شخصه ...»^{٢٠٤}، و قال: «إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج»^{٢٠٥}.

و عن الإمام العسكري (عليه السلام) قال: «و الله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم، و يرونه و لا يعرفونه ...»^{٢٠٦}، و قال: «إبنى محمد هو الإمام و الحجة بعدى، من مات و لم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إنه له غيبة يحار فيها

^{١٩٩} (١) غيبة الشيخ الطوسي: 102.

^{٢٠٠} (٢) كمال الدين: 480.

^{٢٠١} (٣) كفاية الأثر: 265.

^{٢٠٢} (٤) كمال الدين: 376 و عنه في إعلام الورى: 241 / 2 و كشف الغمة: 314 / 3.

^{٢٠٣} (٥) كفاية الأثر: 277، بحار الأنوار: 283 / 52، احتجاج الطبرسي: 449 / 2.

^{٢٠٤} (٦) الكافي: 268 / 1.

^{٢٠٥} (٧) كمال الدين: 380.

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ١٠٢.

(٢) كمال الدين: ٤٨٠.

(٣) كفاية الأثر: ٢٤٥.

(٤) كمال الدين: ٣٧٦ و عنه في إعلام الوري: ٢ / ٢٤١ و كشف الغمة: ٣ / ٣١٤.

(٥) كفاية الأثر: ٢٧٧، بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٨٣، احتجاج الطبرسي: ٢ / ٤٤٩.

(٦) الكافي: ١ / ٢٤٨.

(٧) كمال الدين: ٣٨٠.

(٨) كمال الدين: ٤٤٠.

ص: ١٤١

٢٠٧

الجاهلون...»^{٢٠٨}، وقال: «... إبنى هذا، إنه سمي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكنيه، الذى يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً ... مثله فى هذه الامّة مثل الخضر و مثل ذى القرنين، و الله ليغيبن غيبه...»^{٢٠٩}.

و الأحاديث الشريفة بهذه المعانى كثيرة جداً متواترة من طرق أهل البيت (عليهم السلام) و نقلها العديد من حفاظ أهل السنة من مختلف مذاهبهم كما رأينا، و الكثير منها مروي بأسانيد صحيحة، و هى من أوضح الأدلة على صحة غيبة الإمام المهدي و كونها بأمر الله عز و جل، حيث ثبت صدورها بل و تدوينها قبل وقوع الغيبة بزمن طويل، فجاءت الغيبة مصدقة لها مثبتة لصحة مضامينها و صدورها من ينابيع الوحي من علام الغيوب تبارك و تعالى حتى لو كانت مرسله أو كان ثمة نقاش فى بعض أسانيدها.

قال الشيخ الصدوق - رضوان الله عليه -: «إن الأئمة (عليهم السلام) قد أخبروا بغيبته و وصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم و استحفظ فى الصحف و دوّن فى الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتى سنة أو أقل أو أكثر، و ليس أحد من أتباع الأئمة (عليهم السلام) إلا و قد ذكر ذلك فى كثير من كتبه و رواياته و دوّنه فى مصنفاته و هى الكتب التى تعرف بالأصول مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمد من قبل الغيبة بما ذكرناه من السنين ...

^{٢٠٦} (8) كمال الدين: 440.

^{٢٠٧} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{٢٠٨} (1) كفاية الأثر: 292 و عن كمال الدين فى اعلام الوري 2 / 253، وسائل الشيعة: 16 / 246 ب 33 ح 23.

^{٢٠٩} (2) كمال الدين: 384، الخرائج للقطب الراوندي: 3 / 1174، و عن كمال الدين فى اعلام الوري 2 / 249.

فلا يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا قد علموا بما وقع الآن من الغيبة فألفوا ذلك في كتبهم و دونوه في مصنفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللب و التحصيل، أو أن يكونوا أسسوا في كتبهم الكذب فاتفق لهم الأمر كما ذكروا و تحقق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم

(١) كفاية الأثر: ٢٩٢ و عن كمال الدين في اعلام الوري: ٢/ ٢٥٣، وسائل الشيعة: ١٦/ ٢٤٦ ب ٣٣ ح ٢٣.

(٢) كمال الدين: ٣٨٤، الخرائج للقطب الراوندي: ٣/ ١١٧٤، و عن كمال الدين في إعلام الوري: ٢/ ٢٤٩.

ص: ١٤٢

و اختلاف آرائهم و تباين أقطارهم و محالهم و هذا أيضا محال كسبيل الوجه الأول، فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) من ذكر الغيبة و صفه كونها في مقام بعد مقام الى آخر المقامات ما دونوه في كتبهم و ألفوه في أصولهم. و بذلك و شبهه فلج الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا^{٢١٠}.

و مما يزيد هذا الدليل الوجداني وضوحا أن هذه الأحاديث الشريفة أخبرت عن تفصيلات دقيقة في شكل هذه الغيبة و هوية الإمام الغائب و انه الثاني عشر من الأئمة و التاسع من ذرية الحسين (عليهم السلام) و غير ذلك من التفصيلات التي لم تنطبق تاريخيا إلا على غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) و هذا من الدلائل الاعجازية الواضحة على صحة إمامته و غيبته - عجل الله فرجه -.

و يقول الشيخ المفيد أيضا: «فقد كانت الأخبار عن تقدم من أئمة آل محمد (عليهم السلام) متناصرة بأنه لا بد للقائم المنتظر من غيبتين إحداها أطول من الأخرى يعرف خبره الخاص في القصرى و لا يعرف العام له مستقرا في الطولى إلّا من تولى خدمته من ثقاء أوليائه ... و الأخبار بذلك موجودة في مصنفات الشيعة الإمامية قبل مولد أبي محمد [الإمام العسكري] و أبيه و جده (عليهم السلام)، و ظهر حقها عند مضى الوكلاء و السفراء الذين سميناهم (رحمهم الله) و بان صدق روايتها بالغيبة الطولى و كان ذلك من الآيات الباهرات في صحة ما ذهبت إليه الإمامية و دانت به في معناه ...»^{٢١١}.

و هذا الاستدلال يصدق في إثبات صحة كلا الغيبتين الصغرى و الكبرى لأن الأحاديث الشريفة تحدثت عنهما و عن تفصيلاتهما.

(١) كمال الدين: ١٩ من مقدمة المؤلف.

(٢) عدة رسائل للشيخ المفيد: ٣٦٢، الفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة.

ص: ١٤٣

^{٢١٠} (١) كمال الدين: 19 من مقدمة المؤلف.

^{٢١١} (٢) عدة رسائل للشيخ المفيد: 362، الفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة.

فلسفة مرحليّة الغيبة

أشرنا الى أن الغيبة - عموماً - إجراء تمهيدى كان لا بدّ منه ليتمكن الإمام المهدي - عجل الله فرجه - من الظهور وإنجازه لمهمته الإصلاحية العالمية الكبرى.

و قد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون هذه الغيبة على مرحلتين.

و العلة واضحة؛ إذ إنّ وقوع الغيبة الكاملة بصورة مفاجئة سوف يفقدها مجموعة من العوامل اللازمة لتأهيل المجتمع الإسلامي و البشرى لظهوره (عليه السلام) و إقامة الدولة الإسلامية العالمية.

إذ المحور العام لعملية التأهيل هذا هو التمهيد الإعدادى - كما تشير لذلك الأحاديث الشريفة على ما سيأتى تفصيله خلال الحديث عن الغيبة الكبرى بإذن الله - ، و مثل هذا التمهيد يحتاج الى جملة عوامل و قنوات عقائدية متينة تمثل قاعدة الاستناد للإنسان المسلم للنجاح فى عملية التمهيد و تراكم الخبرات و الليات النفسية و المعرفية عبر أجيال المجتمع الإسلامى استعداداً للظهور.

إنّ النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) و الأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) قد مهّدوا لهذه الغيبة بخطوات عديدة ازدادت عمقا و شمولية كلّما اقترب، أو أنها كالإخبار عن حتمية وقوعها، و خفاء ولادة صاحبها، و توسيع العمل بنظام الوكلاء، و توفير ما تحتاجه الأمة من المعارف الإسلامية و القواعد الشرعية التى يتم على أساسها استنباط الأحكام الشرعية و غير ذلك، إلا أن التمهيد للغيبة الكاملة بقى بحاجة الى خطوات تكميلية و نماذج تطبيقية تؤكدّها و تبينّها، و هذا ما قام

ص: ١٤٤

به الإمام المهدي (عليه السلام) فى الغيبة الصغرى و هو الإطار العام لسيرته و تحركه فى هذه الفترة التى جاءت بمثابة مرحلة انتقال بين حالة الظهور الكامل للأئمة السابقين (عليهم السلام) و بين الغيبة الكاملة للمهدي الموعود، فهى فى الواقع خطوة تمهيدية أخيرة للغيبة الكبرى.

و الحقيقة المتقدمة نجدّها متجلية بوضوح فى سيرته (عليه السلام) فى الغيبة الصغرى و من خلال دراسة أهداف تحركاته فيها و مقارنة هذه الأهداف بالخصوصيات المميزة لفترة الغيبة الكبرى . لذلك ندخل الى الحديث عن سيرته (عليه السلام) من باب دراسة أهدافها بالتحديد لكى يتضح الترابط بينها و بين سيرته فى الغيبة الكبرى.

تعقيب السلطة العباسية لخبر الإمام

يظهر من روايات مرحلة الغيبة الصغرى أنّ السلطة العباسية أخذت تتعقب خبر الإمام المهدي (عليه السلام)، و كأنها كانت على اطمئنان بوجوده استنادا الى ما تواتر نقله عن النبى الأكرم (صلى الله عليه و آله) من أخبار الأئمة الإثني عشر من عترته، و كانت تعلم أنّ الحسن العسكرى (عليه السلام) هو الحادى عشر منهم فلا بد من ولادة الثانى عشر أيضا و هو خاتمهم الموعود بإنهاء الظلم و الجور على يديه حسبما ورد فى البشارات النبوية المتواترة.

و قد لاحظنا في رواية الكليني - ضمن حديثنا عن رعاية الإمام لوكلائه - أن هدف السلطة من التجسس على الوكلاء هو الوصول الى الإمام (عليه السلام)، و لذلك كانت التأكيدات المشددة من قبل الأئمة السابقين (عليهم السلام) و من الإمام المهدي (عليه السلام) نفسه تركّز على النهي عن ذكر اسم الإمام في الغيبة الصغرى؛

ص: ١٤٥

لأنه اذا عرف الاسم اشتد الطلب^{٢١٢}. و يستفاد من رواية نقلها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: أن السلطات العباسية حصلت بالفعل على معلومات عن وجود الإمام (عليه السلام) وسعت لاغتياله، فتحدّاه الإمام (عليه السلام) ليثبت أنه محفوظ بالرعاية الإلهية.

تقول الرواية: «و حدّث عن رشيق صاحب المادراى قال: بعث الينا المعتضد و نحن ثلاثة نفر فأمرنا أن يركب كل واحد منّا فرسا و نجنب آخر و نخرج مخفين لا يكون معنا قليل و لا كثير إلا على السرج مصلى و قال لنا:

الحقوا بسامرة، و وصف لنا محلة و دارا و قال: اذا أتيتموها تجدون على الباب خادما اسود فاكبسوا الدار و من رأيتم فيها فأتوني برأسه. فوافينا سامرة فوجدنا الأمر كما وصفه، و فى الدهليز خادم أسود و فى يده تكة ينسجها فسألناه عن الدار و من فيها فقال: صاحبها، فو الله ما التفت اليها و أقل ا كتراته بنا، فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدنا دارا سرية و مقابل الدار سترما نظرت قط الى أنبل منه كأن الأيدي رفعت عنه فى ذلك الوقت.

و لم يكن فى الدار أحد فرفعنا الستر فاذا بيت كبير كأن بحرا فيه ماء و فى أقصى البيت حصير قد علمنا انه على الماء، و فوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلى . فلم يلتفت إلينا و لا الى شىء من أسبابنا، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطى البيت ففرق فى الماء و ما زال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخلصته و أخرجته و غشى عليه و بقى ساعة، و عاد صاحبي الثانى الى فعل ذلك الفعل فناله مثل ذلك، و بقيت مبهوتا فقلت لصاحب البيت: المعذرة الى الله و اليك فو الله ما علمت كيف الخبر و لا الى من أجيء و أنا تائب الى الله، فما

(١) كمال الدين: ٤٤١.

ص: ١٤٦

التفت الى شىء مما قلنا و ما انفتل عما كان فيه، فهالنا ذلك و انصرفنا عنه.

و قد كان المعتضد ينتظرنا، و قد تقدم الى الحجاب اذا وافيناه أن ندخل عليه فى أى وقت كان، فوافيناه فى بعض الليل فأدخلنا عليه فسألنا عن الخبر فحكينا له ما رأينا، فقال: و يحكم! لقيكم أحد قبلى؟ و جرى منكم الى أحد سبب أو قول؟ قلنا: لا، فقال: أنا نفى من جدى - و حلف بأشد إيمان له - أنه رجل إن بلغه هذا الخبر يضربن اعناقنا . فما جسرنا أن نحدّث به إلا بعد موته^{٢١٣}.

^{٢١٢} (١) كمال الدين: 441.

^{٢١٣} (١) غيبة الطوسي: 164.

الفصل الثالث إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى

إثبات وجوده وإمامته

و هو الهدف الذى توخاه من حضوره للصلاة على ابيه - سلام الله عليهما - كما تحدثنا عن ذلك سابقا، و هو من أهم خطواته و تحركاته فى غيبته الصغرى، و تبرز أهمية هذا الهدف من كونه يوفر القاعدة الأساس التى يستند اليها تحرّك المهدي فى عصر الغيبة، إذ أنّ من الواضح من النصوص الشرعية أنّ النجاة من الضلالة و ميتة الجاهلية تكمن فى معرفة إمام العصر و التمسك بطاعته، و هذا الإمام مستور غير ظاهر فى عصر الغيبة الكبرى لذا فإن الإيمان به - و هو مقدمة طاعته و التمسك بولايته - فرع الاطمئنان و الثقة بوجوده الى درجة تمكّن المؤمن من مواجهة الـ تشكيكات الناتجة من عدم مشاهدته بصورة حسية ظاهرة . و هذا الاطمئنان هو الذى أكملت أسبابه تحركات الإمام المهدي - عجل الله فرجه - فى فترة الغيبة الصغرى بما أتم من الحجة فى تقائه بالثقات و إظهار الكرامات التى لا يمكن تصور صدورها عن غير الامام و غير ذلك مما سجلته الروايات المتحدثة عن هذه الفترة و التى دوّنها العلماء الإثبات فى كتبهم^{٢١٤}.

(١) راجع روايات الالتقاء به فى عصر الغيبة الصغرى الموجودة فى كتب الغيبة و التى جمع الكثير منها السيد البحرانى فى كتاب تبصرة الولي.

إكمال ما تحتاجه الأمة من معارف الاسلام

طوال ما يزيد على القرنين قام أئمة أهل البيت النبوى - صلوات الله عليهم - بتبليغ معظم ما تحتاجه الأمة خلال عصر الغيبة الكبرى من معارف القرآن الكريم و سنّة جدهم سيد المرسلين (صلّى الله عليه و آله) و التى تمثل بمجموعها الإسلام النقي و الدين القيم الذى أمر الله تبارك و تعالى باتباعه و العمل على وفقه، و العروة الوثقى المعبرة عن التمسك بالتقليين اللذين تكون بهما النجاة من الضلالة و ميتة الجاهلية، و تضمن هذا التراث تحديد و توضيح قواعد و أصول استنباط الأحكام الشرعية و المعارف الإسلامية من هذا التراث الروائى الثرى لسنّة الرسول (صلّى الله عليه و آله) و أئمة عترته (عليهم السلام) الذين أمروا أصحابهم بحفظه و تدوينه ليكون مصدرا - الى جانب القرآن الكريم - لجميع المعارف و الأحكام الإسلامية التى تحتاجها الأمة الإسلامية الى ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، و كانت ثمرة هذا الأمر تلك الروايات

^{٢١٤} (١) راجع روايات الالتقاء به فى عصر الغيبة الصغرى الموجودة فى كتب الغيبة و التى جمع الكثير منها السيد البحرانى فى كتاب تبصرة الولي.

الشریفة من قبل أصحاب الأئمة حيث عرفت بالأصول الأربعمئة التي تم تدوينها في عصر الأئمة السابقين للإمام المهدي (عليه السلام)، و حفظت فيها جل نصوص السنة النبوية الشريفة^{٢١٥}.

و خلال الغيبة الصغرى أكمل الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر (عليه السلام) ما تبقى مما تحتاجه الأمة خلال الغيبة الكبرى من تلك المعارف و ما يعين المؤمنين على التحرك و الاستقامة على الصراط المستقيم و يحفظ للامة استمرار مسيرتها التكاملية؛ و هذا هو الهدف العام الثاني لسيرته (عليه السلام) في فترة الغيبة الكبرى كما يتجلى في الكثير من الرسائل الصادرة عنه فيها.

(١) راجع في هذا الباب كتاب «منع تدوين الحديث - اسباب و نتائج» للسيد علي الشهرستاني : ٣٩٧- ٤٦٥ الفصل الخاص بتأريخ تدوين السنة النبوية عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

ص: ١٤٩

تنبيه نظام النيابة

قام الإمام المهدي (عليه السلام) في هذه الفترة بتعيين عدد من الثقات المخلصين في إيمانهم من شيعته وكلاء عنه يتحركون بإذنه و بأمره و يشكلون جهازا للارتباط بالمؤمنين، و قد مهد له في ذلك جده الإمام الهادي و من قبله الإمام الجواد (عليه السلام) ثم تابعه الإمام العسكري (عليه السلام) الذي رَسَخَ نظام الوكلاء تمهيدا لغيبة ولده . فكان يعلن توثيق بعض وجوه أصحابه و أنه وكيل عنه، فمثلا قال (عليه السلام) بشأن عثمان بن سعيد العمري وكيله الذي أصبح فيما بعد وكلا لولده الإمام المهدي (عليه السلام)، و كان وكلا للإمام الهادي (عليه السلام) أيضا: «هذا أبو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي و ثقتي في المحيا و الممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، و ما أدى إليكم فعنّي يؤديه»^{٢١٦}.

و قد ذكر الشيخ الصدوق أسماء إثني عشر شخصا من وكلاء و نواب الإمام المهدي (عليه السلام) في الغيبة الصغرى و أضاف إليهم السيد محمد الصدر أسماء ستة آخرين استنادا الى ما ورد في المصادر التأريخية و كتب الرجال^{٢١٧}، و كان الإمام يتولّى تنصيبهم مباشرة و يصدر بيانات «توقعات» في ذلك و في نفى الوكالة عن يدعيها و لم يكن منهم^{٢١٨}.

و ثمة تغيير مهم حدث في نظام الوكلاء في هذه الفترة عما كان عليه في زمن الإمام العسكري (عليه السلام)، و هو استحداث الإمام المهدي (عليه السلام) منصب الوكيل الخاص أو السفير العام بينه و بين المؤمنين و هو منصب لم تكن الحاجة إليه

(١) غيبة الطوسي: ٢١٥.

^{٢١٥} (١) راجع في هذا الباب كتاب «منع تدوين الحديث - اسباب و نتائج» للسيد علي الشهرستاني: 397- 465 الفصل الخاص بتأريخ تدوين السنة النبوية عند مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

^{٢١٦} (١) غيبة الطوسي: 215.

^{٢١٧} (٢) تأريخ الغيبة الصغرى: 609- 628.

^{٢١٨} (٣) غيبة الطوسي: 172- 257.

(٢) تأريخ الغيبة الصغرى: ٦٠٩ - ٦٢٨.

(٣) غيبة الطوسي: ١٧٢ - ٢٥٧.

ص: ١٥٠

قائمة في السابق حيث كان بإمكان الوكلاء أو غيرهم الاتصال بالإمام بصورة أو بأخرى، و كان الإمام ظاهرا فلا حاجة لوكيل أو نائب خاص ينوب عنه، أما في عهد الغيبة الصغرى فقد اقتضى عدم ظهور الإمام ايجاد هذا المنصب ليكون محورا لرجوع المؤمنين خاصة و أنهم كانوا قد اعتادوا في السابق أن يكون الإمام واحدا في كل عصر.

و كان تعيين الوكيل الخاص أو السفير من قبل الإمام المهدي (عليه السلام) مباشرة و عادة ما يكون عبر توقيع يصدره و يبلغه مباشرة كما هو الحال في الوكيل الأول أو عبر الوكيل السابق فيما بعد.

إن الزعماء الشيعة، و الأصحاب الأربعة الذين تعاقبوا على هذا المنصب هم : عثمان بن سعيد العمري الذي كان كما عرفنا وكيلا للإمامين الهادي و العسكري (عليهما السلام)، ثم خلفه ابنه عمرو بن عثمان ثم الحسين بن روح، و خاتمهم كان على بن محمد السمرى - رضى الله عنهم أجمعين -.

و كان توجيه الإمام لعمل هؤلاء السفراء مباشرا و مستمرا في كل ما كانوا ينوبون عنه من مهام الإمامة حتى فيما يرتبط بأجوبتهم على الأسئلة العقائدية للمؤمنين التي قد يكون من الممكن أن يجيبوا عنها بما يعرفون، إلّا أنهم ما كانوا يفعلون شيئا من ذلك إلّا بتعليم مباشر منه (عليه السلام) الأمر الذى يضيف صبغة الحجة الشرعية على ما صدر عنهم، و هذا ما تدل عليه عدة روايات منها مثلا ما رواه الشيخ الطوسي في الغيبة ضمن حديث طويل بشأن اجابة السفير الثالث الحسين بن روح على سؤال عقائدى لأحد المؤمنين بشأن استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، إذ ينقل عن راوى الحديث محمد بن ابراهيم الذى كان قد حضر المجلس الذى اجاب فيه الحسين بن روح على السؤال : قال محمد بن ابراهيم ابن اسحاق (رضى الله عنه) فعدت إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح (قدّس سرّه) من الغد

ص: ١٥١

و أنا أقول فى نفسى أتراه ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأنى فقال : يا محمد بن إبراهيم لئن آخر من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح من مكان سحيق أحب إلىّ من أن أقول فى دين الله برأى و من عند نفسى، بل ذلك من الأصل و مسموع من الحجة صلوات الله و سلامه عليه^{٢١٩}.

و واضح أن الأوضاع السياسية القائمة التى أوجبت غيبة الإمام المهدي (عليه السلام) لم تكن تسمح بأن يكون عمل الوكلاء علنيا، لذلك كان الشرط الأول فى الوكلاء و خاصة السفراء أن يكونوا على مرتبة عالية من الالتزام بالكتمان و عدم الكشف عن مكان بل عن وجود الإمام و لذلك كان اختيار الحسين بن روح مثلا للسفارة رغم وجود من هم أعلم منه و أكثر وجاهة بين الأصحاب^{٢٢٠}.

^{٢١٩} (١) غيبة الطوسي: 198 - 199.

^{٢٢٠} (٢) غيبة الطوسي: 240.

لقد قام الإمام (عليه السلام) بتثبيت نظام الوكالة و النيابة الخاصة في الغيبة الصغرى كمقدمة لإرجاع المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى الى النائب العام الذي حددت النصوص الشرعية الصفات العامة له و أمر الإمام بالرجوع إليه في عصر الغيبة الكبرى و مهّد له في الغيبة بتعيين أشخاص تتوفر فيهم هذه الصفات لتتعرف الأمة على مصاديق من له الأهلية للنباية العامة عن الإمام و تستعين بها لمعرفة من تتوفر فيه نظائرها في الغيبة الكبرى، و بعبارة أخرى كانت تجربة السفراء الأربعة نموذجاً معيناً من قبل الإمام المعصوم (عليه السلام) يبين للامة، شرعية الرجوع الى نائب الإمام في غيبته من جهة و من جهة ثانية تقدم لها نموذجاً تقوم به من يدعى النيابة عن الإمام في الغيبة الكبرى استناداً الى الصفات التي ذكرتها النصوص الشرعية كشروط للنباية عن الإمام.

(١) غيبة الطوسي: ١٩٨ - ١٩٩.

(٢) غيبة الطوسي: ٢٤٠.

ص: ١٥٢

حفظ الكيان الايماني

و لكن مهمة إثبات وجود الامام (عليه السلام) و التعريف بوكلائه كانت تؤدي أحيانا الى تسرب بعض الأخبار للسلطة فيتدخل الإمام لحفظ نظام الوكلاء حتى ينجز دوره المطلوب في الغيبة الصغرى . فمثلا يروى ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن الحسين بن الحسن العلوي قال: «كان رجل من ندماء روز حسنى و آخر معه فقال له: هوذا يجبى الاموال و له وكلاء و سمّوا جميع الوكلاء في النواحي و أنهى ذلك إلى عبيد الله بن سليمان الوزير، فهمّ الوزير بالقبض عليهم، فقال السلطان: اطلبوا أين هذا الرجل؟ فانّ هذا أمر غليظ، فقال عبيد الله ابن سليمان : نقبض على الوكلاء، فقال السلطان : لا، و لكن دسوا لهم قوما لا يعرفون بالأموال، فمن قبض منهم شيئاً قبض عليه قال : فخرج بأن يتقدم إلى جميع الوكلاء أن لا يأخذوا من أحد شيئاً و ان يمتنعوا من ذلك و يتجاهلوا الأمر، فاندس لمحمد بن أحمد رجل لا يعرفه و خلا به فقال : معى مال اريد أن اوصله، فقال له محمد : غلطت أنا لا أعرف من هذا شيئاً، فلم يزل يتلطفه و محمد يتجاهل عليه و بثوا الجواسيس و امتنع الوكلاء كلهم لما كان تقدّم اليهم»^{٢٢١}.

يستفاد من الروايات الواردة بشأن سيرة الإمام (عليه السلام) في غيبته الصغرى أن جهوده لدفع أذى ارباب السلطات العباسية لم يقتصر على الوكلاء كما رأينا في الفقرة السابقة، بل شملت أيضا حفظ سائر المؤمنين من البطش العباسي، و هذه سنة ثابتة في سيرة آباءه (عليهم السلام) جميعا، فقد جدوا في رعاية

(١) الكافي: ١ / ٥٢٥.

ص: ١٥٣

^{٢٢١} (١) الكافي: ١ / 525.

المؤمنين و دفع الأذى عنهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلا.

و من نماذج رعايته للمؤمنين فى هذا الجانب ما رواه الكلينى فى الكافى:

عن على بن محمد قال: «خرج نهى عن زيارة مقابر قريش و الحيرة، فلما كان بعد أشهر دعا الوزير الباقرانى فقال له : الق بنى الفرات و البرسيين و قل لهم: لا يزوروا مقابر قريش فقد أمر الخليفة أن يتفقد كل من زار فيقبض عليه»^{٢٢٢}.

كما شملت هذه الرعاية قضاء حوائج المؤمنين الشخصية و الاجتماعية و الإصلاح بينهم و الدعاء لهم و تزويدهم بالوصايا التربوية و الإجابة على أسئلتهم الدينية و تعليمهم الأدعية و غير ذلك مما سجلته المصادر التاريخية المختصة به ^{٢٢٣} هذه الفترة.

و ثمة أهداف أخرى سعى الإمام لتحقيقها فى فترة الغيبة الصغرى مثل كشف التيارات المنحرفة داخل الكيان الشيعى منها : خط عمه جعفر و منها تيار الوكلاء المنحرفين . و قد أثبت التأريخ نجاح الإمام (عليه السلام) فى القضاء عليها إذ انقرض أتباعها سريعا قبل انقضاء فترة الغيبة الصغرى.

و فى الفقرة اللاحقة نلتقى بنموذجين من تحرك الإمام فى هذه الفترة لتحقيق الأهداف المذكورة و هما : إصدار التوقيعات و الالتقاء بالمؤمنين.

إصدار الرسائل «التوقيعات»

حفلت المصادر المؤرخة لسيرة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - بنصوص العديد من الرسائل و البيانات التى كان يصدرها (عليه السلام) فى فترة الغيبة الصغرى و التى عرفت بالتوقيعات. و هى تشكل أحد الأدلة الوجدانية

(١) الكافى: ١ / ٥٢٥.

(٢) راجع تأريخ الغيبة الصغرى: ٣٦٧، و ٥٩٧ و ما بعدهما.

ص: ١٥٤

المحسوسة الدالة على وجوده و قيامه بمهام الإمامة فى غيبته^{٢٢٤}.

و تمثل التوقيعات إحدى وسائل اتصال الإمام بالمؤمنين و إيصال توجيهاته إليهم بحكم أوضاع عصر الغيبة التى حددت الاتصالات المباشرة، و مما ساعد على إتباع هذه الوسيلة و قوة تأثيرها فى المؤمنين تمهيد آباءه (عليهم السلام) لذلك باتباع هذا الأسلوب فى وقت مبكر خاصة فى عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) الذى قضى شطرا كبيرا من مدة إمامته

^{٢٢٢} (١) الكافى: ١ / 525.

^{٢٢٣} (٢) راجع تأريخ الغيبة الصغرى 367، و 597 و ما بعدهما.

^{٢٢٤} (١) راجع نماذجها فى المجلد الثانى من كتاب معادن الحكمة. لمحمد بن الفيض الكاشانى و كتاب الصحيفة المهدية لوالده و غيرها من كتب الغيبة.

التي ناهزت خمسة و ثلاثين عاما في سجون العباسيين أو تحت مراقبتهم الشديدة و تعرضهم للأذى الشديد لأصحابه، فكان يتصل بالمؤمنين و يجيب على أسئلتهم الدينية و يتوددهم و يوصل إليهم توجيهاته عبر الرسائل التي لم تنقطع حتى عند ما كان في السجن عبر وسائل مبتكرة و اشخاص فشلت السلطات العباسية في التعرف على ولائهم للإمام الحق (عليه السلام).

و قد اشتدّ العمل بهذا الاسلوب في عهد الامامين الهادي و العسكري (عليهما السلام)، و ذلك بسبب ازدياد المراقبة التي فرضتها السلطات العباسية عليهما إذ جمعت بهما الى (سرّ من رأى) عاصمة الامبراطورية العباسية يومذاك و التي كانت أشبه ما تكون بالقلعة العسكرية، و لذلك كانت تسمى أيضا «العسكر»، و جعلتهما أشبه ما يكونان بالسجينين في هذه القلعة.

و إضافة لذلك فإن تأكيدهما على استخدام هذا الاسلوب جاء كتمهيد مباشر لغيبه ولدهما المهدي - عجل الله فرجه - من خلال تعويد المؤمنين على هذا الاسلوب دفعا للشبهات و إتاما للحجة و لكي يتقبلوا العمل بما يرد في الرسائل بتسليم إيمانهم راسخ، خاصة و أن الإمام (عليه السلام) كان يستخدم الخط نفسه

(١) راجع نماذجها في المجلد الثاني من كتاب معادن الحكمة . لمحمد بن الفيض الكاشاني و كتاب الصحيفة المهدية لوالده و غيرها من كتب الغيبة.

ص: ١٥٥

الذي كان يستخدمه أبوه في رسائله و ذلك تنبيها للايمان في قلوب المؤمنين به؛ و قطعاً للطريق على المستغلين^{٢٢٥}.

و قد جاء قسم من هذه التوقيعات جواباً على أسئلة من المؤمنين عبر السفراء الأربعة، و القسم الآخر كان بمبادرة من الإمام نفسه فيما يرتبط ببعض القضايا المهمة كحمايته للمؤمنين و الوكلاء كما رأينا ، أو فيما يرتبط بالكشف عن انحراف بعض الوكلاء أو زيف ادعاء منتحلي الوكالة، أو فيما يرتبط بالنص على تعيين السفراء و غير ذلك.

كما اشتملت على ما يحتاجه المؤمنون من معارف الإسلام الحق و أحكامه في مختلف شؤونهم الحياتية عقائدية و فقهية و تربوية و أخلاقية و أدعية و غير ذلك، و ما تحتاجه الأمة في عصر الغيبة كالإرجاع الى الفقهاء العدول، و التأكيد على استمرار رعايته في غيبته و تحديد علائم ظهوره و غير ذلك مما سنتعرف على بعض نماذجها في فصل لاحق . كما أن في بعضها نماذج تطبيقية لاستنباط الحكم الشرعي من الأحاديث المروية تعويداً للأمة على العمل بالإجتهادي في عصر الغيبة الكبرى^{٢٢٦}، و بعبارة جامعة يمكن القول إن هذه التوقيعات كانت من جهة وسيلة لقيادة المؤمنين و حفظ كيانهم؛ و من جهة أخرى وسيلة لإكمال ما يحتاجونه في عصر الغيبة الكبرى من حقائق الإسلام و أحكامه.

لقاء الإمام المهدي (عليه السلام) بأتباعه المؤمنين

روت المصادر الروائية المعتبرة الكثير من الروايات التي تتحدث عن

^{٢٢٥} (١) الغيبة للطوسي: 220.

^{٢٢٦} (٢) راجع مثلاً توقيعاته (عليه السلام) لمحمد بن عبد الله الحميري المروية في كتاب الاحتجاج 2/ 483 و ما بعدها.

(١) الغيبة للطوسي: ٢٢٠.

(٢) راجع مثلاً توقيعاته (عليه السلام) لمحمد بن عبد الله الحميري المروية في كتاب الاحتجاج: ٢ / ٤٨٣ و ما بعدها.

ص: ١٥٦

التقاء المؤمنين بالإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الصغرى، فلا يكاد يخلو كتاب من الكتب المصنفة في تواريخ الأئمة أو الإمام المهدي - عجل الله فرجه - خاصة، من ذكر مجموعة من هذه الروايات. وقد روى الشيخ الصدوق عن محمد بن أبي عبد الله احصائية لعدد لقاءاته من مختلف أرجاء العالم الإسلامي، فذكر ثمانية وستين شخصاً^{٢٢٧} وأوصل الميرزا النوري العدد إلى (٣٠٤) اشخاص استناداً إلى الروايات الواردة في المصادر المعتبرة^{٢٢٨} وفيها المروية بأسانيد صحيحة، و معظمهم التقوه في الغيبة الصغرى وبعضهم في حياة أبيه (عليهما السلام) وهذه الروايات تخص الذين رأوه وعرفوه وليس الذين لم يعرفوه.

و يستفاد من هذه الروايات أنه (عليه السلام) كان يبادر إلى الالتقاء بالمؤمنين في الكثير من الحالات و يظهر على يديه المعجزات و الدلائل بحيث يجعلهم يؤمنون بأنه هو الإمام و يثبت لهم وجوده (عليه السلام) و إمامته، وهذا ما يصرح به لعيسى الجوهري الذي التقاه في سنة (٢٦٨ هـ) في صابر قرب المدينة المنورة حيث قال له في نهاية اللقاء و بعد ما أراه من الدلائل ما جعله على يقين من هويته (عليه السلام):

«يا عيسى ما كان لك أن تراني لو لا المكذّبون القائلون بأين هو؟ و متى كان؟ و أين ولد؟ و من رآه؟ و ما الذي خرج إليكم منه؟ و بأي شيء نبأكم؟ و أي معجز أتاكم؟ أما و الله لقد دفعوا أمير المؤمنين مع ما رووه و قدّموا عليه، و كادوه و قتلوه، و كذلك آبائي عليهم السلام و لم يصدّقوهم و نسبوهم إلى السحر و خدمة الجن إلى ما تبين.

يا عيسى فخبر أوليائنا ما رأيت، و إياك أن تخبر عدونا فتسلبه. فقلت: يا مولاي ادع لي بالثبات فقال: لو لم يثبتك الله ما رأيتني، و امض بنجحك راشداً. فخرجت أكثر

(١) كمال الدين: ٢٤٢.

(٢) النجم الثاقب: ٢ / ٤٤ - ٤٨ من الترجمة العربية.

ص: ١٥٧

حمداً لله و شكراً»^{٢٢٩}.

^{٢٢٧} (١) كمال الدين: 242.

^{٢٢٨} (٢) النجم الثاقب: 2 / 44 - 48 من الترجمة العربية.

^{٢٢٩} (١) تبصرة الولي: 197.

و يتضح من روايات التشرف ببقاءه في الغيبة الصغرى أنه كان يقوم خلالها أيضا بقضاء حوائج المؤمنين إقتفاء لسنة آبائه الطاهرين (عليهم السلام)، كما كان يقوم خلالها بتوضيح بعض القضايا العقائدية المرتبطة بغيبته الكبرى (عليه السلام) و يقدم لهم الإرشادات التربوية و الأدعية المسنونة المرتبطة بغيبته و توثيق الارتباط به (عليه السلام) فيها و التي تشتمل أيضا على توضيح ما سيحققه الله على يديه عند ظهوره.

كما يستفاد منها أن الكثير من المؤمنين كان يجتهدون في طلب لقيه و يسعون إليه خاصة في موسم الحج لما روى أنه يحضره كل سنة^{٢٣٠}. و قد دلت بعض الروايات على وقوع الالتقاء به بالفعل في الموسم. كما كان البعض يلجأون الى السفراء الأربعة للفوز بذلك، فكان يسمح للمخلصين منهم بذلك.

فمثلا روى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة فقال:

روى محمد بن يعقوب - رفعه عن الزهري - قال: طلبت هذا الأمر طلبا شاقا حتى ذهب لي فيه مال صالح فوقعت إلى العمري و خدمته و لزمته و سألته بعد ذلك عن صاحب الزمان فقال لي: ليس إلى ذلك وصول فخضعت فقال لي:

بكر بالغداة، فوافيت و استقبلني و معه شاب من أحسن الناس وجها، و أطيبهم رائحة بهيئة التجار، و في كمه شئ ع كهيئة التجار.

فلما نظرت إليه دنوت من العمري فأومأ إلى فعدلت إليه و سألته فأجابني عن كل ما أردت ثم مر لي دخل الدار و كانت من الدور التي لا نكثرت لها فقال العمري: إذ أردت أن تسأل سل فإنك لا تراه بعد ذا، فذهبت لأسأل فلم

(١) تبصرة الولي: ١٩٧.

(٢) الكافي: ١ / ٣٣٧ - ٣٣٩، الغيبة للنعماني: ١٧٥.

ص: ١٥٨

يسمع و دخل الدار، و ما كلمني بأكثر من أن قال : ملعون ملعون من آخر العشاء الى أن تشبك النجوم، ملعون ملعون من آخر الغداة إلى أن تنقضي النجوم و دخل الدار»^{٢٣١}.

إعلان انتهاء الغيبة الصغرى

قبل ستة أيام من وفاة السفير الرابع أخرج للمؤمنين توقيعا من الإمام المهدي - عجل الله فرجه - يعلن فيه انتهاء الغيبة الصغرى و عهد السفراء المعينين من قبل الإمام مباشرة إيدانا ببدء الغيبة الكبرى و نص التوقيع هو:

^{٢٣٠} (٢) الكافي: ١ / 337 - 339، الغيبة للنعماني: 175.

^{٢٣١} (١) الغيبة للطوسي: 164، الاحتجاج للطبرسي: 2 / 298، وسائل الشيعة: 3 / 147.

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين سنة أيام، فأجمع أمرك ولا توص الى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك . فقد وقعت الغيبة التامة . فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره و ذلك بعد طول الأمد و قسوة القلب و إم تلاء الارض جوراً . و سيأتى لشيعتى من يدعى المشاهدة ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفينانى و الصيحة فهو كذاب مفتر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم»^{٢٣٢}.

و كان هذا آخر توقيع صدر عن الإمام فى الغيبة الصغرى و هو بمثابة إعلان عن تحقيق تحركه فيها للأهداف المرجوة منها كمرحلة تمهيدية للغيبة الكبرى، فقد ظهر للناس خلالها منه (عليه السلام) مباشرة أو عبر سفرائه من البيئات ما يثبت وجوده و إمامته و صحة غيبته الكبرى . و قد تم تدوينها فى هذه الفترة من قبل عدد من وجوه العلماء^{٢٣٣}، و اتضح للامة انتفاع الناس من وجوده

(١) الغيبة للطوسى: ١٦٤، الاحتجاج للطبرسى: ٢ / ٢٩٨، وسائل الشيعه: ٣ / ١٤٧.

(٢) كمال الدين: ٥١٦، غيبة الطوسى: ٢٤٢.

(٣) يلاحظ هنا مثلاً أن كتاب الكافى للشيخ الكلينى (رحمه الله) و هو من أهم مصادر تراث أهل البيت (عليهم السلام) فى المجالات العقائدية و الفقهية تم تدوينه خلال فترة الغيبة الصغرى، فقد توفى الشيخ الكلينى (رحمه الله) سنة ٣٢٩ هـ و هى نفس سنة وفاة الشيخ السمرى آخر السفراء أى فى نفس سنة انتهاء الغيبة الصغرى.

ص: ١٥٩

خلالها و رعايته لمسيرتهم من خلف أستارها، و أمر فيه بالرجوع الى الفقهاء فى الحوادث الواقعة و صرح بأن وجوده أمان لأهل الأرض^{٢٣٤}، كما أن الجيل الذى كان قد عاصر زمان الأئمة كان قد انتهى و ظهرت أجيال اعتادت عصر الغيبة و فكرة القيادة النائية، لذلك فقد تأهلت الأمة للدخول فى عصر الغيبة الكبرى^{٢٣٥}.

(١) كما صرح بذلك (عليه السلام) فى توقيع الذى أجاب فيه على أسئلة إسحاق بن يعقوب، راجع كمال الدين : ٤٨٣، غيبة الطوسى: ١٧٦.

(٢) تأريخ الغيبة الصغرى: ٦٣٠-٦٥٤ و فيه توضيحات مهمة بشأن نص التوقيع المهدوى الشريف للسمرى.

ص: ١٦١

^{٢٣٢} (٢) كمال الدين: 516، غيبة الطوسى: 242.
^{٢٣٣} (٣) يلاحظ هنا مثلاً أن كتاب الكافى للشيخ الكلينى (رحمه الله) و هو من أهم مصادر تراث أهل البيت (عليهم السلام) فى المجالات العقائدية و الفقهية تم تدوينه خلال فترة الغيبة الصغرى، فقد توفى الشيخ الكلينى (رحمه الله) سنة 329 هـ و هى نفس سنة وفاة الشيخ السمرى آخر السفراء أى فى نفس سنة انتهاء الغيبة الصغرى
^{٢٣٤} (١) كما صرح بذلك (عليه السلام) فى توقيع الذى أجاب فيه على أسئلة إسحاق بن يعقوب، راجع كمال الدين 483، غيبة الطوسى: 176.
^{٢٣٥} (٢) تأريخ الغيبة الصغرى 630-654 و فيه توضيحات مهمة بشأن نص التوقيع المهدوي الشريف للسمرى

الباب الرابع و فيه فصول:

الفصل الأول:

الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عليه السلام) و أسبابها

الفصل الثاني:

إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الكبرى

الفصل الثالث:

تكاليف عصر الغيبة الكبرى

ص: ١٦٣

الفصل الأول الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عليه السلام) و أسبابها

الاطار العام لتحرك الامام (عليه السلام)

إنَّ الهدف العام لتحرك الإمام المهدي (عليه السلام) في فترة الغيبة الكبرى، هو رعاية مسيرة الأمة الإسلامية و تأهيلها لظهوره و القيام بالمهمة الكبرى المتمثلة بإنهاء الظلم و الجور و إقامة الدولة الإلهية العادلة في كل أرجاء الأرض و تأسيس المجتمع التوحيدي الخالص كما سنفصل الحديث عن ذلك في الفصل الخاص بسيرته بعد ظهوره (عليه السلام).

و بعبارة أخرى فإن الإطار العام لسيرته - عجل الله فرجه - في هذه الفترة هو التمهيد لظهوره بما يشتمل عليه ذلك من رعاية الوجود الإيماني و حفظه و تسديد نشاطاته و تطويره عبر الأجيال المتعاقبة التي يعاصرها، و حفظ الرسالة الخاتمة من التحريف إضافة الى القيام بالميسور من مهام الإمامة الأخرى و إن كان ذلك بأساليب أكثر خفاء مما كان عليه الحال في الغيبة الصغرى، و بذلك يتحقق الانتفاع من وجوده (عليه السلام) كما ينتفع بالشمس إذا غيّبها السحاب.

و هذا الهدف العام لسيرته في هذه الغيبة الكبرى نلاحظه بوضوح فيما ورد بشأن تحركه في هذه الغيبة.

ص: ١٦٤

و قبل التطرق لنماذج من هذا التحرك، نلقى نظرة عامة على بعض ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة بشأن علّة الغيبة و أسرارها، إذ إن من الواضح أن التمهيد للظهور يكون بإزالة الأسباب التي أدت للغيبة، لذا فإن التعرف على أسباب الغيبة يلقي الأضواء على طبيعة تحرك الإمام المهدي (عليه السلام) خلالها.

علل الغيبة في الأحاديث الشريفة

لقد تناولت مجموعة من الأحاديث الشريفة علل وقوع الغيبة. نذكر أولاً نماذج منها استناداً الى العلل التي تذكرها: مشيرين الى أن لكل نموذج نظائر عديدة رواها المحدثون بأسانيد متعددة:

١- روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن للقائم مناً غيبية يطول أمدّها فقلت له: يابن رسول الله و لم ذاك قال: لأن الله عز و جل أبى إلّا أن يجعل فيه سنن الأنبياء (عليهم السلام) في غيباتهم، و انه لا بدّ له يا سدير من استيفاء مدة غيباتهم، قال الله تعالى: **لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**، أى سنن من كان قبلكم»^{٢٣٦}.

و روى عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدّ منها، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له: و لم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدم من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر (عليه السلام) إلّا بعد افتراقهما، يابن الفضل ان هذا الأمر من أمر الله و سرّ من سرّ الله، و غيب من غيب الله، و متى علمنا ان الله عز و جل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها

(١) اثبات الهداة: ٣/ ٤٨٦ - ٤٨٧.

ص: ١٤٥

حكمة، و ان كان وجهها غير منكشف»^{٢٣٧}.

٢- و منها ما رواه زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: و لم؟ قال: يخاف - و أومى بيده الى بطنه، قال زرارة يعنى:

القتل»^{٢٣٨}.

و منها ما روى عن عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «قلت له إن شيعتك بالعراق كثيرة و الله ما في أهل بيتك مثلك؛ فكيف لا تخرج؟ قال: فقال:

يا عبد الله بن عطاء! قد اخذت تفرش اذنيك للنوكى، إى و الله ما أنا بصاحبكم، قال: قلت له: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من عمى على الناس ولادته؛ فذاك صاحبكم؛ إنّه ليس منا احد يشار إليه بالاصبع و يمضغ باللسن إلّا مات غيظاً أو رغم أنفه»^{٢٣٩}.

٣- و منها ما روى عن الحسن بن محبوب بن ابراهيم الكرخي قال:

^{٢٣٦} (١) اثبات الهداة: 3/ 486 - 487.

^{٢٣٧} (١) كمال الدين: 481، علل الشرائع: 1/ 245.

^{٢٣٨} (٢) علل الشرائع: 1/ 246، غيبة النعماني: 176، غيبة الطوسي: 201.

^{٢٣٩} (٣) الكافي: 1/ 342، غيبة النعماني: 167 - 168.

«قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) أو قال له رجل : أصلحك الله ألم يكن على قويا في دين الله؟ قال : بلى قال: فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهما وما منعه من ذلك؟ قال : آية في كتاب الله عز وجل منعه، قال : قلت؟ و أي آية هي؟ قال:

قول الله عز وجل : **لَوْ تَرَىٰ يُؤْمِنُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** .^{٢٤٠} انه كان لله عز وجل ودائع مؤمنون في اصلااب قوم كافرين و منافقين، فلم يكن على ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر على من ظهر فقاتله، و كذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبدا حتى تظهر ودائع الله عز وجل فاذا ظهرت ظهر على من ظهر فقاتله»^{٢٤٠}.

٤- و منها ما روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «و الله لا يكون الذي تمدون

(١) كمال الدين: ٤٨١، علل الشرائع: ١/ ٢٤٥.

(٢) علل الشرائع: ١/ ٢٤٦، غيبة النعماني: ١٧٦، غيبة الطوسي: ٢٠١.

(٣) الكافي: ١/ ٣٤٢، غيبة النعماني: ١٦٧ - ١٦٨.

(٤) علل الشرائع: ١٤٧، كمال الدين: ٦٤١.

ص: ١٦٦

إليه أعناقكم حتى تميزوا و تمحصوا، ثم يذهب من كل عشرة شيء و لا يبقى منكم إلّا الأندر، ثم تلا هذه الآية : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين»^{٢٤١}.

٥- و مرها ما روى عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال:

«دولتنا آخر الدول، و لم يبق أهل بيت لهم دولة إلّا ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، و هو قول الله عز وجل: **وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**»^{٢٤٢}.

٦- و منها ما روى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال - في جواب من سأله عن علّة الغيبة -: «لئلا يكون في عنقه بيعه اذا قام بالسيف»^{٢٤٣}.

و هذا المعنى مروي عن كثير من الأئمة بألفاظ متقاربة، منها ما روى عن المهدي (عليه السلام) نفسه أنه قال في توقيعه الى اسحق بن يعقوب في جواب أسئلته: «... و أما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله عز وجل يقول: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا**

^{٢٤٠} (4) علل الشرائع: 147، كمال الدين: 641.

^{٢٤١} (1) قرب الأسناد للحميري: 162 و عنه في بحار الانوار: 113 / 52.

^{٢٤٢} (2) الآية في سورة الاعراف: 128، و الحديث في غيبة الطوسي: 282.

^{٢٤٣} (3) علل الشرائع: 1/ 245، عيون الأخبار الرضا: 1/ 273.

عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدِّلَكُمْ تَسْوُكُمْ. إنه لم يكن أحد من آبائي (عليهم السلام) إلّا وقد وقعت في عنقه بيعه لطاغية زمانه، و إنى أخرج حين أخرج و لا بيعه لأحد من الطواغيت في عنقي»^{٢٤٤}.

٧- و يقول - عجل الله فرجه - في رسالته الأولى للشيخ المفيد: «نحن، و إن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذى أرانا الله تعالى لنا من الصلاح و لشييعتنا المؤمنين فى ذلك، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين»^{٢٤٥}.

٨- و يقول (عليه السلام) فى رسالته الثانية للشيخ المفيد: «و لو أن أشياعنا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب فى الوفاء بالحمد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا،

(١) قرب الأسناد للحميرى: ١٦٢ و عنه فى بحار الانوار: ١١٣ / ٥٢.

(٢) الآية فى سورة الاعراف: ١٢٨، و الحديث فى غيبة الطوسى: ٢٨٢.

(٣) علل الشرائع: ١ / ٢٤٥، عيون الأخبار الرضا: ١ / ٢٧٣.

(٤) كمال الدين: ٤٨٣، غيبة الطوسى: ١٧٦.

(٥) معادن الحكمة: ٣٠٣ / ٢، بحار الانوار: ١٧٤ / ٥٣.

ص: ١٦٧

و لتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة و صدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلّا ما يتصل بنا مما نكرهه و لا تؤثره منهم...»^{٢٤٦}.

هذه نماذج لا برز الأحاديث الشريفة المروية بشأن علل الغيبة، و الأسباب التى تذكرها فيها بعض التداخل، نشير إليها ضمن النقاط الثمانية التالية:

١- اجتماع تجارب الأمم السابقة

إن الحكمة الإلهية فى تدبير شؤون خلقه تبارك و تعالى اقتضت غيبة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - للحكمة نفسها التى اقتضت غيبات الأنبياء فى الامم السابقة، لأن ما جرى فى هذه الامم مجتمعة يجرى على الامم الاسلامية صاحبة الشريعة الخاتمة. فمثلما اقتضى تحقيق أهداف الرسالات السماوية غيبة بعض أنبيائها بدليل عدم استعداد الامم السابقة لتحقيق هذه الأهداف، كذلك الحال مع الأمة الإسلامية فإن تحقق أهداف شريعتها الخاتمة اقتضى غيبة خاتم أوصيائها الإمام المهدي (عليه السلام) حتى تتأهل بشكل كامل لتحقيق هذه الأهداف، و واضح أن هذا السبب مجمل بل إنه يشكل الإطار العام لعلل الغيبة التى تذكرها الطوائف الأخرى من الأحاديث الشريفة.

^{٢٤٤} (٤) كمال الدين: 483، غيبة الطوسى: 176.

^{٢٤٥} (٥) معادن الحكمة: 303 / 2، بحار الانوار: 174 / 53.

^{٢٤٦} (١) الاحتجاج: 325 / 2 و عنه فى معادن الحكمة: 306 / 2 و بحار الأنوار: 176 / 35.

و الملاحظ فى هذه الطائفة من الأحاديث أنها تعتبر أمر الغيبة من الأسرار الإلهية التى لا تتضح إلّا بعد انتهاء الغيبة و ظهور الإمام و التى لم يؤذن بكشفها قبل ذلك، الأمر الذى يشير الى أن ما تذكره الأحاديث الشريفة لا يمثل كل العلل الموجبة للغيبة بل بعضها و ثمة علل أخرى ليس من الصالح كشفها قبل الظهور - للجميع على الأقل - ، و لكن الإيمان بها فرع الإيمان بحكمة الله تبارك و تعالى و أنه الحكيم الذى لا يفعل إلّا ما فيه صلاح عباده.

(١) الاحتجاج: ٢ / ٣٢٥ و عنه فى معادن الحكمة: ٢ / ٣٠٦ و بحار الأنوار: ٣٥ / ١٧٦.

ص: ١٦٨

٢- العامل الأمنى

مخافة القتل كما جرى مع غيبات أنبياء الله موسى و عيسى و غيرهم (عليهم السلام)، و الأمر فى غاية الوضوح مع الإمام المهدي (عليه السلام) الذى كانت السلطات العباسية تسعى سعيا حثيثا لقتله كما رأينا سابقا . و هذا السبب يصدق بشكل كامل على أصل وقوع الغيبة و فى الغيبة الصغرى على الأقل.

و معلوم أن المقصود هو حفظ وجود الإمام لكونه حجة الله على خلقه و لكى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته و هاد بأمره إليه تبارك و تعالى.

أما ما هو سبب اختصاص الغيبة بالإمام الثانى عشر لحفظ وجوده مع أن أباءه الطاهرين (عليهم السلام) كانوا أيضا حجج الله على خلقه و قد تعرضوا أيضا للمطاردة و الاغتيال فلم يمت أى منهم إلّا بالسيف أو السم^{٢٤٧}؟

فالجواب واضح، فهو - عجل الله فرجه - آخر الأئمة المعصومين (عليهم السلام) و هو المكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية و على يديه يحقق الله عز و جل وعده بإظهار الإسلام على الدين كله و توريث الأرض للصالحين، فلا بد من حفظ وجوده حتى ينجز هذه المهمة . يضاف الى ذلك أن السلطات العباسية كانت عازمة على قتله و هو فى المهد لعلمها بطبيعة مهمته الإصلاحية العامة.

أما فى الغيبة الكبرى فهذه العلة تبقى مؤثرة ما لم تتوفر جميع العوامل اللازمة لإنجاز مهمته مثل توفر الأنصار و غير ذلك، لأنه سيبقى غرضا لسهام مساعى حكام الجور لإبادته قبل أن ينجز هذه ال مهمة الإصلاحية الكبرى كما جرى على آباءه (عليهم السلام). و هذا الأمر واضح للغاية و يفهم من توضيحات الإمام الباقر (عليه السلام) لعبد الله بن عطاء فى الحديث الثانى من هذه الطائفة.

(١) اعتقادات الصدوق: ٩٩ و عنه فى اعلام الورى للطبرسى: ٢ / ٢٩٧ ب ٥ المسألة الاولى من المسائل السبع فى الغيبة، الفصول المهمة: ٢٧٢.

^{٢٤٧} (١) اعتقادات الصدوق: ٩٩ و عنه فى اعلام الورى للطبرسى: ٢ / ٢٩٧ ب ٥ المسألة الاولى من المسائل السبع فى الغيبة، الفصول المهمة: ٢٧٢.

٣- السماح بوصول الحق للجميع لخروج ودائع الله

إن إخراج ودائع الله، المؤمنين من أصلاب قوم كافرين يشكّل عاملاً آخر، و لعل المقصود منه إعطاء الفرصة لوصول الدين الحق للجميع كي تتضح لهم أحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها الإمام المهدي - عجل الله فرجه - و بالتالي تبنى أشخاص ينتمون الى المدارس الضالة و الأخلاف المنحرفين، للأهداف المهدوية و الانتقال بهم الى صفوف أنصار المهدي المنتظر - عجل الله فرجه -.

و واضح أن هذه الع لة تفسر تأخير ظهوره (عليه السلام)، بصورة واضحة، مباشرة، و بالتالي تفسّر بصورة غير مباشرة - غيبته الى حين توفر هذا العامل من العوامل اللازمة لظهوره - عجل الله فرجه -، باعتبار أن ظهوره مقترن بالبده الفوري في تنفيذ مهمته الإصلاحية الكبرى، التي تتضمن نزول العذاب الأليم على المنحرفين.

٤- التمهيد الاعدادي لجيل الظهور

إن التمييز و التمهيد الاعدادي للمؤمنين به (عليه السلام) يتحقق من خلال الأوضاع الصعبة الملازمة لغيبته (عليه السلام)، و معلوم أن الإيمان به و بغيبته هو بحد ذاته عامل مهم في تمهيد الإيمان و تقوية الثابته عليه لأنه يمثل مرتبة سامية من مراتب التحرر من أسر التصديق بالمحسوسات المادية فقط. و لذلك كان الإيمان بالغيب أولى صفات المتقين كما تذكره الآيات الأولى من سورة البقرة، و قد طبقت الأحاديث الشريفة هذه الصفة على الإيمان بالإمام المهدي - عجل الله فرجه - في غيبته باعتباره من أوضح مصاديقها لا سيما إذا

لاحظنا طول أمدها^{٢٤٨}.

و لذلك نلاحظ في الأحاديث الشريفة مدحا بالغاً لمؤمنى عصر الغيبة الثابته على الالتزام بالشريعة السمحاء و النهج المهدوي رغم التشكيكات العقائدية الناتجة عن عدم ظهوره المشهود^{٢٤٩}.

و استنادا الى هذه العلة نفهم أن الغيبة عامل إعداد لأنصار المهدي - عجل الله فرجه - من خلال ترسيخ هذا الإيمان بالغيب الذي يتضمن التحرر من أسر الماديات و الذى يؤهلهم لنصرة المهدي في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

٥- اتضاح عجز المدارس الأخرى

إن إثبات عجز المدارس الأخرى عن تحقيق السعادة و الكمال المنشود للمجتمع البشرى، فيه تأهيل واضح للمجتمع البشرى عموماً للتفاعل الإيجابي مع المهمة الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي - عجل الله فرجه -، فهو يزيل العقبات الصادة

^{٢٤٨} (١) كفاية الأثر 56، بنابيع المودة: 442.

^{٢٤٩} (٢) راجع مثلاً ما روي عن الكاظم (عليه السلام) في وصف المؤمنين الثابته في عصر الغيبة: «اولئك منا و نحن منهم، قد رضوا بنا أئمة و رضينا بهم شيعة، فطوبى لهم ثم طوبى لهم و هم و الله معنا في درجتنا يوم القيامة». كمال الدين: 361، كفاية الأثر: 265.

عن هذا التفاعل المطلوب لتحقيق الأهداف الإلهية خاصة فيما يرتبط بالا نخداع بشعارات المدارس الأخرى المادية أو ذات الأصول السماوية و المنحرفة عنها بمرور الزمن.

(١) كفاية الأثر ٥٦، ينايب المودة: ٤٤٢.

(٢) راجع مثل ما روى عن الكاظم (عليه السلام) في وصف المؤمنين الثابتين في عصر الغيبة: «اولئك ملّ و نحن منهم، قد رضوا بنا أئمة و رضينا بهم شيعة، فطوبى لهم ثم طوبى لهم و هم و الله معنا في درجتنا يوم القيامة». كمال الدين: ٣٦١، كفاية الأثر: ٢٦٥.

ص: ١٧١

٦- حفظ روح الرفض للظلم

إنّ الامام المهدي - عجل الله فرجه - هو الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً، فيزيل حكام الجور و حاكمية الفساد بالسيف بعد إتمام الحجة كاملة على المنحرفين خلال الغيبة الكبرى و ما قبلها كما أشرنا الى ذلك في النقطة السابقة. فظهوره (عليه السلام) مقترن بالتحرك الجهادي الحاسم، فلا هدنة مع المنحرفين، و من هنا يلزم توفره - ذه الصفة في أتباعه أيضاً، و لعل هذا هو المقصود من تعبير الأحاديث الشريفة «لئلا يكون في عنقه بيعه لطاغية».

و واضح أن هذا الدور الحاسم يجعل تكالب الظالمين عليه أشد إذا كان وجوده ظاهراً قبل تحركه الإصلاحى الشامل و قبل توفر الظروف المناسبة لتحركه و العدد اللازم من الأنصار، فهو في هذه الحالة إما أن يهادن الظلمة و يجمّد أى نشاط له و لو كان غير حاسم كما كان حال آبائه (عليهم السلام)، و في ذلك أخطار كثيرة مثل إضعاف روح الرفض للظلم لدى المؤمنين و هم يرون أن إمامهم المكلف بإزالة الظلم بصورة كاملة صامت تجاهه، فضلاً عن أن هذا الموقف السلبي لن يوقف كيد الظالمين و مساعيهم المستمرة لقتله تخلصاً من هاجس دوره المرتقب؛ و إما أن يتحرك لإنجاز مهمته قبل توفر العوامل اللازمة لنجاحها و هذا الأمر يعنى مقتله قبل أن يحقق شيئاً من مهمته الكبرى.

لذا فلا بد من تجنب الظهور قبل اكتمال الأوضاع اللازمة لتحركه الإصلاحى الأكبر و الاستتار في اسلوب الغيبة بما يمكنه من الاستمرار في نشاطه على صعيد توفير العوامل اللازمة لنجاح مهمته الكبرى عند الظهور.

ص: ١٧٢

٧- صلاح أمره و أمر المؤمنين به

إن في الغيبة صلاح أمره (عليه السلام) و أمر المؤمنين به، و هذه علة مجملّة تحدد أحد أوجه الحكمة الإلهية في الأمر بالغيبة بأن في ذلك صلاح أمر الإمامة؛ و لعله بمعنى أن الغيبة هي أفضل اسلوب ممكن لقيام المهدي - عجل الله فرجه - بمهام الإمامة في ظل الأوضاع المضادة لأهداف الثورة المهدوية كما تقدم في الفقرة السادسة، و بأن في ها صلاح شيعته و المؤمنين به؛ و لعله بمعنى فتح آفاق التكامل و التمحيص في صفوفهم و أجيالهم المتلاحقة كما تقدم في الفقرة الرابعة حتى

يعد الجيل القادر - كما و كيفا - على الاستجابة لمقتضيات الثورة المهدوية الكبرى، أو أن يكون المقصود صلاحهم في حفظ وجودهم من الإبادة قبل تحقق المهمة الإصلاحية المطلوبة أو عجزهم عن نصرته الإمام بالصورة المطلوبة عند قيامه - دونما غيبة - كما جرى في موقف المسلمين من ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) و قبله من خلافة أخيه الإمام الحسن و أبيه أمير المؤمنين - سلام الله عليهم -.

٨- عدم توفر العدد المطلوب من الأنصار

و العامل الأخير هو عدم توفر العدد اللازم كما و المناسب كيفا من الأنصار له (عليه السلام) في مهمته الإصلاحية الكبرى التي تحتاج الى عدد كاف من الأنصار و على مستويات عالية من الإخلاص للشريعة المحمدية و أهدافها و العلم بها و بمكائد أعدائها بحيث يمتلكون التجربة الجهادية اللازمة لخوض حركة الصراع الحاسمة مع الكفر و الشرك و الفسق و النفاق. و هذه العلة مكملة للعلّة المذكورة في الفقرة الرابعة.

ص: ١٧٣

الفصل الثاني إنجازات الإمام المهدي (عليه السلام) في غيبته الكبرى

كما أشرنا في مقدمة الحديث فإن سيرة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - و تحركاته في غيبته الكبرى تتمحور حول هدف التمهيد لظهوره و المساهمة في إزالة العلل الموجبة لغيبته، و عليه يمكننا القول بأنه يعمل في سبيل ترشيد الأمة و استجماعها لخبرات أجيالها المتعاقبة؛ و في سبيل إيصال الحق الى الج ميع و دعم و تأييد العاملين من أجل نشر الإسلام النقي و حفظه، و هو يرفع عملية التمييز و التمحيص الإعدادي لجيل الظهور، و يكشف فشل المدارس الأخرى و عجزها عن تحقيق السعادة المنشودة للبشرية، و يساهم في حفظ روح الرضا للظلم و يحبط المساعي لقتلها . إنه (عليه السلام) يقوم بكل ذلك و لكن بأساليب خفية غير ظاهرة قد يتضح الكثير منها عند ظهوره كما يتضح دوره (عليه السلام) في الكثير من الحوادث الواقعة التي تصب في صالح تحقق الأهداف المتقدمة و التي لم تعرف أسباب وقوعها أو أن ما عرض من الأسباب لم يكن كافيا في تفسيرها.

رعايته للكيان الإسلامي

يقول الإمام المهدي (عليه السلام) في رسالته الاولى للشيخ المفيد: «... فإننا نحيط

ص: ١٧٤

علما بأنبائكم و لا يعزب عنا شيء من أخباركم، و معرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا و نبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إننا غير مهملين لمراعاتكم، و لا ناسين لذكركم و لو لا ذلك لنزل بكم اللاواء و أصطلمكم الأعداء»^{٢٥٠}.

^{٢٥٠} (١) الاحتجاج: 1/ 323 و عنه في معادن الحكمة 2/ 303.

إن الإمام يتابع أوضاع المؤمنين و يحيط علما بالتطورات التي تحصل لهم و محاولات الاستئصال و الإبادة التي يتعرضون لها و يتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها، و هذه الرعاية هي أحد العوامل الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام) و استمرار وجودهم و تناميهم على مدى الأجيال على الرغم من شدة الحملات التصفية التي عرضوا لها و الإرهاب الفكري الحاد الذي مورس ضدهم لقرون طويلة. فهذه التصفيات الجسدية و المحاربة الفكرية الواسعة التي شهدتها التاريخ الإسلامي كانت قادرة و لا شك على إنهاء وجودهم جسديا و فكريا لو لا الرعاية المهدوية.

حفظ الاسلام الصحيح و تسديد العمل الاجتهادي

إن الإمام المهدي (عليه السلام) يقوم أيضا في غيبته الكبرى بحفظ الإسلام النقي الذي يحمله مذهب أهل البيت (عليهم السلام). و هذه المهمة من المهام الرئيسة للإمامة، و من مظاهر قيامه (عليه السلام) بها في غيبته تسديد العمل الاجتهادي للعلماء و الفقهاء و منع إجماعهم على باطل بطريقة أو بأخرى: «لأن هذه الآثار و النصوص في الأحكام موجودة مع من لا يستحيل منه الغلط و النسيان،

(١) الاحتجاج: ٣٢٣ / ١ و عنه في معادن الحكمة: ٣٠٣ / ٢.

ص: ١٧٥

و مسموعة بنقل من يجوز عليه الترك و الكتمان . و إذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلّا بوجود معصوم يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم، إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكرهم أو كتموا، علم الحق من دونهم.

و إمام الزمان (عليه السلام) و إن كان مستترا عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم و يعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل، أو ضلّوا عن الحق لما وسعته التقيّة و لأظهره الله سبحانه و منع منه الى أن يبين الحق و تثبت الحجة على الخلق»^{٢٥١}.

و المقصود من الظهور هنا ليس الظهور العام بل المحدود لبعض العلماء و بالمقدار اللازم لتبيان الحق، و هذه من القضايا التي بحثها العلماء في باب الإجماع، فمثلا يقول العلامة السيد محمد المجاهد في كتابه مفاتيح الأصول:

«... البناء على قاعدة اللطف التي لأجلها وجب على الله نصب الإمام فإنها تقضى ردهم لو اتفقوا على الباطل فإنه من أعظم الألفاف، فإن امتنع حصوله بالطرق الظاهرة فبالأسباب [الخفية] ... إن وجود الإمام (عليه السلام) في زمن الغيبة لطف قطعاً؛ فيثبت فيه كل ما أمكن؛ لوجود مقتضى و انتفاء المانع . و إن هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبة فيبقى بعده بمقتضى الأصل [إضافة الى] أن النقل المتواتر قد دل على بقاءه.

و قد ورد ذلك عن النبي (صلى الله عليه و آله) و الأئمة (عليهم السلام) بألفاظ و معان متقاربة، فعن النبي (صلى الله عليه و آله): «إن لكل بدعة يكاذب بها الإيمان وليا من أهل بيتي موكلا يذب عنه و يعلن الحق و يرد كيد الكائدين»، و عنه

^{٢٥١} (١) كنز الفوائد للعلامة الكراچكي: 219 / 2.

(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ «أَنْ فِيهِمْ فِي كُلِّ خَلْفٍ عَدُوٌّ لَا يَنْفُونَ عَنْ الدِّينِ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ».

(١) كنز الفوائد للعلامة الكراچكي: ٢/ ٢١٩.

ص: ١٧٦

و فِي الْمُسْتَفِيز عَنْهُمْ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) «إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو إِلَّا وَ فِيهَا عَالَمٌ إِذَا زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئًا رُدُّهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَ إِنْ نَقَصُوا شَيْئًا تَمَّ ذَلِكَ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَا لَتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ وَ لَمْ يَفْرُقُوا بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ».

و عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَام) فِي عِدَّةٍ طَرَقَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا تَخْلِي الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ بِحُجَّةٍ إِلَّا ظَاهِرٌ مَشْهُورٌ أَوْ خَائِفٌ مَغْمُورٌ لَثَلَا تَبْطُلَ حُجَّتُكَ وَ بَيِّنَاتُكَ ..»، وَ فِي بَعْضِهَا:

«لَا بَدَ لَأَرْضِكَ مِنْ حُجَّةٍ لَكَ عَلَى خَلْقِكَ يَهْدِيهِمْ إِلَى دِينِكَ وَ يَعْلَمُهُمْ عِلْمُكَ لَثَلَا تَبْطُلَ حُجَّتُكَ وَ لَثَلَا يَضِلُّ تَبَعٌ أَوْلِيَاؤُكَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ بِهِ، إِلَّا ظَاهِرٌ لَيْسَ بِالْمَطَاعِ أَوْ مَكْتُمٌ أَوْ مَتَرَقِبٌ إِنْ غَابَ عَنِ النَّاسِ شَخْصُهُ فِي حَالِ هِدَايَتِهِمْ فَإِنَّ عِلْمَهُ وَ آدَابَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مُثَبَّتَةٌ فِيهِمْ، بِهَا عَامِلُونَ».

و فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» [وَرَدَ] فِي عِدَّةٍ رَوَايَاتٍ: «أَنَّ الْمُنْذِرَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، وَ فِي كُلِّ زَمَانٍ إِمَامٌ مَنَا يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)، وَ فِي بَعْضِهَا [عَنْ أئِمَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَام) فِي الْآيَةِ]: «وَ اللَّهُ مَا ذَهَبَتْ مَنَا وَ مَا زَالَتْ فِينَا إِلَى السَّاعَةِ».

و عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ [الْإِمَامَ الصَّادِقَ (عَلَيْهِ السَّلَام)] قَالَ: «وَ لَمْ تَخْلُ الْأَرْضُ مِنْذُ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ حُجَّةٍ لَهُ فِيهَا ظَاهِرٌ مَشْهُورٌ أَوْ غَائِبٌ مُسْتَوْرٍ وَ لَنْ تَخْلُو إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْبُدِ اللَّهُ، قِيلَ: كَيْفَ يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِالْغَائِبِ الْمُسْتَوْرِ؟ قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَام): كَمَا يَنْتَفِعُونَ بِالشَّمْسِ إِذَا سَتَرَهَا سَحَابٌ».

و عَنْ الْحُجَّةِ الْقَائِمِ (عَلَيْهِ السَّلَام) قَالَ: «وَ أَمَّا وَجْهُ الِاتِّفَاعِ بِي فِي غَيْبِي فَكَالِاتِّفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَهَا عَنِ الْأَنْظَارِ السَّحَابُ، وَ إِنِّي لِأَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانُ أَهْلِ السَّمَاءِ».

وَ الْإِخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصِيَ، وَ مُقْتَضَاهَا تَحَقُّقُ الرَّدِّ عَنِ الْبَاطِلِ وَ الْهَدَايَةُ إِلَى الْحَقِّ؛ مِنَ الْإِمَامِ فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ وَ الْمُرَادُ حَصُولُهَا بِالْأَسْبَابِ

ص: ١٧٧

الْخَفِيَّةُ كَمَا يَشْعُرُ بِهِ حَدِيثُ السَّحَابِ [الِاتِّفَاعِ بِالْإِمَامِ كَالِاتِّفَاعِ بِالشَّمْسِ إِذَا غَيَّبَهَا السَّحَابُ] دُونَ الظَّاهِرَةِ فَانْهَاجَتْ مُنْتَفِيَةً بِالضَّرُورَةِ، وَ لَا يَنَافِي ذَلِكَ تَضَمُّنَ بَعْضِهَا الْإِعْلَانُ بِالْحَقِّ فَانْهَاجَتْ مِنَ بَابِ الْإِسْنَادِ إِلَى السَّبَبِ ...»^{٢٥٢}.

وكما أشرنا عند الحديث عن نظام «السفارة و النيابة الخاصة» في الغيبة الصغرى، فإن هذا النظام كان تمهيدا لإرجاع الأمة في الغيبة الكبرى الى الفقهاء العدول كممثلين له (عليه السلام) ينبون عنهم كقيادة ظاهرة أمر بالرجوع إليها في توقيعه الصادر الى إسحاق بن يعقوب: «و أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فإنهم حجتى عليكم و أنا حجة الله عليهم».

وقد أشار الأئمة (عليهم السلام) من قبل الى هذا الدور المهم للعلماء في عصر الغيبة الكبرى، فمثلا روى عن الامام على الهادى (عليه السلام) أنه قال: «لو لا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة و السلام من العلماء الداعين إليه و الدالين عليه و الذابين عن دينه بحجج الله، و المنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس و مردته، و من فخاخ النواصب؛ لما بقى أحد إلّا ارتدّ عن دينه . و لكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله»^{٢٥٣}.

و المستفاد من قوله (عليه السلام) «فإنهم حجتى عليكم و أنا حجة الله عليهم» أن الفقهاء العدول يمثلون في الواقع واسطة بين الأمة و الإمام - عجل الله فرجه - الأمر الذى يعنى أن يحظى بعضهم - و خاصة الذين يحظون بمكانة خاصة فى توجيه الأمة و دور خاص فكرى أو سياسى فى قيادتها - بتسديد من قبل

(١) مفاتيح الأصول: ٤٩٦ - ٤٩٧، باب الاجماع.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ٢٦٠.

ص: ١٧٨

الإمام - عجل الله فرجه - بصورة مباشرة أو غير مباشرة و بالخصوص فى التحركات ذات التأثير على مسيرة الأمة و حركة الإسلام، فهو يتدخل بما يجعل هذه التحركات فى صالح الأمة أو بما يدفع عنها الاخطار الشديدة الماحقة ، و قد نقلت الكثير من الروايات الكاشفة عن بعض هذه التدخلات و التى لم تنقل أو لم تدون أكثر بكثير . و قسم منها يكون التدخل من قبل الإمام بصورة مباشرة و قسم آخر يكون بصورة غير مباشرة عبر أحد أوليائه^{٢٥٤}.

أصحاب الإمام (عليه السلام) فى غيبته الكبرى

يستفاد من عدد من الأحاديث الشريفة أن للإمام المهدي - عجل الله فرجه - جماعة من الأولياء المخلصين يلتقون به باستمرار فى غيبته الكبرى و من أهل كل عصر، و تصرح بعض الأحاديث الشريفة بأن عددهم ثلاثين شخصا، فقد روى الشيخ الكليني فى الكافي و الشيخ الطوسى فى الغيبة بأسانيدهما عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «لا بد لصاحب هذا

^{٢٥٣} (٢) الاحتجاج: 2 / 260.

^{٢٥٤} (١) جمع الشيخ كريمي الجهرمي مجموعة من هذه الروايات في كتاب ترجمه للعربية تحت عنوان «رعاية الامام المهدي للمراجع و العلماء الاعلام» منشورات دار ياسين البيروتية و الكتاب مطبوع بالفارسية في قم

الأمر من غيبته ولا بد له في غيبته من عزلة و نعم المنزل طيبة و ما بثلاثين من وحشة^{٢٥٥}، و روى الكليني بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «للقائم غيبتان إحداها قصيرة و الاخرى طويلة، الغيبة الأولى لا يع لم مكانه إلا خاصة شيعته و الاخرى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة مواليه»^{٢٥٦}، و تصرح بعض الأحاديث الشريفة بأن الخضر (عليه السلام) من مرافقيه في غيبته^{٢٥٧}.

و لعله (عليه السلام) يستعين بهؤلاء الأولياء - ذوى المراتب العالية في الاخلاص - في

(١) جمع الشيخ كريمي الجهرمي مجموعة من هذه الروايات في كتاب ترجمه للعربية تحت عنوان : «رعاية الامام المهدي للمراجع و العلماء الاعلام» منشورات دار ياسين البيروتية و الكتاب مطبوع بالفارسية في قم.

(٢) الكافي: ١ / ٣٤٠، غيبة النعماني: ١٨٨، تقريب المعارف للحلي: ١٩٠.

(٣) الكافي: ١ / ٣٤٠، غيبة النعماني: ١٧٠، تقريب المعارف: ١٩٠.

(٤) كمال الدين: ٣٩٠ و عنه في اثبات الهداة: ٣ / ٤٨٠.

ص: ١٧٩

القيام بما تقدم من مهام حفظ المؤمنين و رعايتهم و تسديد العلماء و دفع الأخطار عن الوجود الإيماني و تسيير حركة الأحداث - حتى خارج الكيان الإسلامي بما يخدم مهمة التمهيد لظهوره و إعداد العوامل اللازمة له.

الالتقاء بالمؤمنين في غيبته الكبرى

إن سيرة الإمام في غيبته الكبرى تفصح بأن لقاءاته فيها لا تنحصر في هذا العدد المحدود من الأولياء المخلصين في كل عصر بل تشمل غيرهم - و لو بصورة غير مستمرة - فالأخبار الخاصة الدالة على مشاهدته في الغيبة الكبرى كثيرة و عددها يفوق حد التواتر، بحيث نعلم لدى مراجعتها و استقراءها، عدم الكذب و الخطأ فيها في الجملة^{٢٥٨}، فقد نقل الميرزا النوري مائة منها في النجم الثاقب و في المصادر الأخرى ما يزيد على ذلك بكثير، إضافة الى أن من المؤكد أن هناك مقابلات غير مروية و لا مسجلة في المصادر و إن كانت متناقلة عبر الثقافات و أن المهدي - عجل الله فرجه - يتصل بعدد من المؤمنين في أنحاء العالم في كل جيل مع حرصهم على عدم التفوه بذلك و كتبه الى الأبد، بل يمكن القول بأن المقابلات غير المروية أكثر بكثير من المقابلات المروية.

^{٢٥٥} (٢) الكافي: ١ / 340، غيبة النعماني: 188، تقريب المعارف للحلي: 190.

^{٢٥٦} (٣) الكافي: ١ / 340، غيبة النعماني: 170، تقريب المعارف: 190.

^{٢٥٧} (٤) كمال الدين: 390 و عنه في اثبات الهداة: 3 / 480.

^{٢٥٨} (١) راجع تاريخ الغيبة الصغرى: 640 و ما بعدها و تاريخ الغيبة الكبرى: 107 و قد ناقش السيد الصدر في هذين الكتابين قضية الالتقاء بالامام في الغيبة الكبرى و عدم تعارضها مع امر الامام المهدي - عجل الله فرجه - في توقيعه للشيوخ السمرى بتكذيب من ادعى المشاهدة في الغيبة الكبرى، كما ناقشها الميرزا النوري في الباب السابع من كتاب النجم الثاقب و العلامة المجلسي في بحار الأنوار و غيرهم كثير و اثبتوا جواز الالتقاء بالامام في الغيبة الكبرى

و تشمل هذه المقابلات قضاء حوائج المؤمنين - كما كانت سيرة آبائه الأئمة (عليهم السلام) بمختلف أقسامها المادية و المعنوية، كما تشتمل على توجيهه،

(١) راجع تاريخ الغيبة الصغرى: ٦٤٠ و ما بعدها و تاريخ الغيبة الكبرى: ١٠٧ و قد ناقش السيد الصدر في هذين الكتابين قضية الالتقاء بالامام في الغيبة الكبرى و عدم تعارضها مع امر الامام المهدي - عجل الله فرجه - في توقيعه للشيخ السمرى بتكذيب من ادعى المشاهدة في الغيبة الكبرى، كما ناقشها الميرزا النورى في الباب السابع من كتاب النجم الثاقب و العلامة المجلسى في بحار الأنوار و غيرهم كثير و اثبتوا جواز الالتقاء بالامام في الغيبة الكبرى.

ص: ١٨٠

الوصايا التربوية و توضيح غوامض المعارف الإلهية أو التنبيه الى الأحكام الشرعية الصحيحة و غير ذلك من مهام الإمام في كل عصر.

ترسيخ الايمان بوجوده

و تحققت من هذه اللقاءات إضافة لذلك ثمار مهمة تتمحور حول ترسيخ الإيمان بوجوده (عليه السلام) و إزالة التشكيكات المثارة تجاه ذلك في كل عصر بما يعزز مسيرة المؤمنين في التمهيد لظهوره (عليه السلام)، خاصة و أن معظم هذه المقابلات تقتصر عادةً بصدور ما لا يمكن صدوره عن غير الإمام (عليه السلام) من ايضاحات علمية دقيقة أو كرامات إعجازية تقطع أى مجال للشك في هويته - عجل الله فرجه - و هى فى معظم الأحوال تكون بمبادرة من الإمام نفسه و بصورة لا يتوقعها الفائز ببقائه (عليه السلام)، و بعد مدة - قد تطول أحياناً - من صدق المؤمن فى طلب مقابله و الإخلاص لله فى القيام بالأعمال الصالحة بهدف الفوز بذلك، كما أنها عادةً ما تكون بالمقدار اللازم لقضاء حاجة المؤمن الطالب لها أو تحقيق الإمام للغاية المرجوة منها و غالباً ما ينتبه المؤمن الى أن من التقاه هو الإمام المهدي (عليه السلام) بعد انتهاء المقابلة، و كل ذلك حفظاً لمبدأ الاستتار فى هذه الفترة.

حضور موسم الحج

و تصرح الأحاديث الشريفة بأن من سيرته (عليه السلام) فى غيبته حضور موسم الحج فى كل عام، و واضح ما فى حضور هذا الموسم السنوى المهم من فرصة مناسبة للالتقاء بالمؤمنين من أنحاء أقطار العالم و إيصال التوجيهات إليهم و لو من دون التعريف بنفسه بصراحة و التعرف على أحوالهم عن قرب دون الحاجة الى أساليب إعجازية.

ص: ١٨١

إن الأحاديث الشريفة التى تذكر حضوره (عليه السلام) هذا الاجتماع الإسلامى السنوى العام، ذكرت أنه (عليه السلام): «يشهد الموسم فيراهم و لا يرونه»^{٢٥٩}، و يبدو أن المقصود هو الرؤية مع تحديد هويته (عليه السلام)، بمعنى أن يعرفوه أنه

^{٢٥٩} (١) الكافي: ١/ 337، 239، غيبة النعماني: 175.

هو المهدي، إذ توجد عدة روايات أخرى تصرح برؤيته في هذا الموسم و بعضها يصرح بعدم معرفة المشاهدين لهوىته على نحو التحديد و اقتصار معرفتهم بأنه من ذرية رسول الله (صلى الله عليه و آله) ٢٦٠.

(١) الكافي: ١/ ٣٣٧، ٢٣٩، غيبة النعماني: ١٧٥.

(٢) راجع مثلاً الرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين: ٤٢٤.

ص: ١٨٣

الفصل الثالث تكاليف عصر الغيبة الكبرى

اهتمت الأحاديث الشريفة بقضية تكاليف عصر الغيبة بحكم الأبعاد العملية التي تشتمل عليها فيما يرتبط بتحريك الإنسان في هذه الفترة المتميزة بفتن كثيرة و صعوبات في مواجهتها ناتجة عن عدم الحضور الظاهر لإمام العصر و عدم تيسر الرجوع إليه بسهولة.

في هذا الفصل نذكر على نحو الإيجاز أبرز هذه التكاليف طبق ما حددته الأحاديث الشريفة مع تفصيل الحديث عن أهمها و الذي ينطوي على تجسيد التكاليف الأخرى ألا و هو واجب انتظار ظهور الإمام - عجل الله فرجه - لأنه عرض للكثير من أشكال سوء الفهم.

و أبرز التكاليف الأخرى فكما يلي :

١- ترسيخ المعرفة بإمام العصر - عجل الله فرجه - و غيبته و حتمية ظهوره و أنه حي يراقب الأمور و يطلع على أعمال الناس و أوضاعهم و ينتظر توفر الشروط اللازمة لظهوره، و إقامة هذه المعرفة على أساس الأدلة العقلية الصحيحة و البراهين العقلية السليمة.

و أهمية هذا الواجب واضحة في ظل عدم الحضور الظاهر للإمام في عصر الغيبة و التشكيكات الناتجة عن ذلك، كما أن لهذه المعرفة تأثيراً

ص: ١٨٤

مشهوداً في دفع الإنسان المسلم نحو العمل الإصلاحي البناء على الصعيدين الفردي و الاجتماعي، فهي تجعل لعمله حافزاً إضافياً يتمثل بالشعور الوجداني بأن تحركه يحظى برعاية و مراقبة إمام زمانه الذي يسره ما يرى من المؤمنين من تقدم و يؤذيه أى تراجع أو تخلف عن العمل الإصلاحي البناء و التمسك بالأحكام و الأخلاق و القيم الإسلامية التي ينتظر توفر شروط ظهوره لإقامة حاكميتها في كل الأرض و إنقاذ البشرية بها.

^{٢٦٠} (٢) راجع مثلاً الرواية التي ينقلها الشيخ الصدوق في كمال الدين 444.

و قد التقينا في الأحاديث الشريفة التي أخبرت عن غيبة المهدي قبل وقوعها بإشارات صريحة الى هذا الواجب و سنلتقي ضمن الحديث عن واجب الانتظار بنماذج أخرى . يضاف الى ذلك معظم الأدعية المندوب تلاوتها في عصر الغيبة تحفز على القيام بهذا الواجب و ترسيخ المعرفة بالإمام، فمثلا الكليني في «الكافي» عن زرارة أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إن للقائم غيبة ... و هو المنتظر و هو الذي يشك الناس في ولادته ... [فقال زرارة]: جعلت فداك إن أدركت ذلك الزمان أى شيء أعمل؟ قال: يا زرارة متى أدركت ذلك الزمان فلتدع بهذا الدعاء: اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني ...»^{٢٦١} و في الحديث إشارة الى الأسس العقائدية للإيمان بإمام ال عصر و ثمار معرفته.

٢- و من التكاليف المهمة الأخرى التي أكدتها الأحاديث الشريفة لمؤمنى عصر الغيبة هو تمتين الارتباط الوجداني بالمهدي المنتظر و التفاعل العملي مع أهدافه السامية و الدفاع عنها و الشعور الوجداني العميق بقيادته و هذا

(١) الكافي: ٣٣٧ / ١، غيبة النعماني: ١٦٦ - ١٦٧، كمال الدين: ٢ / ٣٤٢، غيبة الطوسي: ٢٠٢.

ص: ١٨٥

هو ما تؤكده أيضا معظم التكاليف التي تذكرها الأحاديث الشريفة كواجبات للمؤمنين تجاه الإمام مثل الدعاء له بالحفظ و النصر و تعجيل فرجه و ظهوره و كيح أعدائه و التصديق عنه و المواظبة على زيارته و غير ذلك مما ذكرته الأحاديث الشريفة و قد جمعها آية الله السيد الإصفهاني في كتابه «مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم» و كتابه «وظائف الأنام في غيبة الإمام».

٣- إحياء أمر منهج أهل البيت (عليهم السلام)^{٢٦٢} الذي يمثله - عجل الله فرجه - بما يعنيه ذلك من العمل بالإسلام النقي الذي دافعوا عنه و نشر أفكارهم و التعريف بمظلوميتهم و موالاتهم و البراءة من أعدائهم و العمل بوصاياهم و تراثهم و ما تقدم من تعاليمهم و نبذ الرجوع الى الطاغوت و حكوماته و الرجوع الى الفقهاء العدول الذين جعلوهم حجة على الناس فى زمن الغيبة و الاستعانة بالله فى كل ذلك كما ورد فى النص:

«و إن أصبحت لا ترون منهم [الأئمة (عليهم السلام)] أحدا فاستغيثوا بالله عز و جل و انظروا السنة التى كنتم عليها و اتبعوها و أحبوا ما كنتم تحبون و ابغضوا من كنتم تبغضون فما أسرع ما يأتىكم الفرج»^{٢٦٣}.

٤- تقوية الكيان الإيماني و التواصل بالحق الإسلامى النقي و التواصل بالصبر، و هو من التكاليف التى تتأكد فى عصر الغيبة بحكم الصعوبات التى يشتمل عليها؛ و الثبات على منهج أهل البيت (عليهم السلام): «يأتى على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيطوبى للثابتين على أمرنا فى ذلك الزمان ...»^{٢٦٤}.

^{٢٦١} (١) الكافي: 337 / 1، غيبة النعماني: 166 - 167، كمال الدين: 2 / 342، غيبة الطوسي: 202.
^{٢٦٢} (١) المحاسن للبرقي: 173، الكافي: 8 / 80، كمال الدين: 664 و في الحديث الشريف ثناء جليل من الإمام الباقر (عليه السلام) على من يجند نفسه لأحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام).
^{٢٦٣} (2) كمال الدين: 328 و عنه في بحار الأنوار: 136 / 51.

(١) المحاسن للبرقي: ١٧٣، الكافي: ٨ / ٨٠، كمال الدين: ٦٦٤ و في الحديث الشريف ثناء جليل من الإمام الباقر (عليه السلام) على من يجند نفسه لأحياء أمر أهل البيت (عليهم السلام).

(٢) كمال الدين: ٣٢٨ و عنه في بحار الأنوار: ١٣٦ / ٥١.

(٣) كمال الدين: ٣٣٠، بحار الأنوار: ١٤٥ / ٥٢.

ص: ١٨٦

هذه عناوين أبرز التكاليف الخاصة بعصر الغيبة و ثمة تكاليف خاصة ببعض الحوادث التي تقع فيه أو بعض علائم الظهور مثل مناصرة حركة الموطئة - الذين يوطئون للمهدي سلطانه - أو اجتناب فتنة السفيناني أو تشديد الحذر عند ظهور بعض العلائم القريبة من أوان الظهور و غير ذلك.

و بعد هذا العرض السريع تنتقل للحديث عن واجب الانتظار الذي يمثل أهم هذه التكاليف و يشتمل العمل به على معظم التكاليف السابقة، و تناوله ضمن الفقرات التالية.

أهمية الانتظار

تؤكد الأحاديث الشريفة و باهتمام بالغ على عظمة آثار انتظار الفرج؛ بعنوانه العام الذي ينطبق على الظهور المهدوي كأحد مصاديقه البارزة؛ و كذلك على انتظار ظهور الإمام بالخصوص . فبعضها تصفه بأنه أفضل عبادة المؤمن كما هو المروى عن الإمام على (عليه السلام): «أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله»^{٢٦٥}، و عبادة المؤمن أفضل بلا شك من عبادة مطلق المسلم، فيكون الانتظار أفضل العبادات الفضلى إذا كان القيام به بنية التعبد لله و ليس رغبة في شيء من الدنيا؛ و يكون بذلك من أفضل وسائل التقرب الى الله تبارك و تعالى كما يشير الى ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) في خصوص انتظار الفرج المهدوي حيث يقول:

«طوبى لشيعتنا، المنتظرين لظهوره في غيبته و المطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون»^{٢٦٦}. و لذلك فإن انتظار الفرج هو «أعظم الفرج»^{٢٦٧} كما يقول الإمام السجاد (عليه السلام)، فهو يدخل المنتظر في زمرة أولياء الله.

(١) المحاسن للبرقي و عنه في بحار الأنوار: ١٣١ / ٥٢.

(٢) كمال الدين: ٣٥٧.

^{٢٦٤} (٣) كمال الدين: 330، بحار الأنوار: 145 / 52.

^{٢٦٥} (١) المحاسن للبرقي و عنه في بحار الأنوار: 131 / 52.

^{٢٦٦} (٢) كمال الدين: 357.

^{٢٦٧} (٣) كمال الدين: 320.

و تعتبر الأحاديث الشريفة أن صدق انتظار المؤمن لظهور إمام زمانه الغائب يعزز إخلاصه و نقاء إيمانه من الشك، يقول الإمام الجواد (عليه السلام): «... له غيبة أكثر أيامها و يطول أمدّها فينتظر خروجه المخلصون و ينكره المرتابون ..»^{٢٦٨} و حيث إن الانتظار يعزز الإيمان و الإخلاص لله عز و جل و الثقة بحكمته و رعايته لعباده، فهو علامة حسن الظن بالله، لذا فلا غرابة أن تصفه الأحاديث الشريفة بأنه : «أحب الأعمال الى الله»^{٢٦٩}، و بالتالي فهو «أفضل أعمال أمتي»^{٢٧٠} كما يقول رسول الله (صلى الله عليه و آله).

الانتظار يرسخ تعلق الإنسان و ارتباطه بربه الكريم و إيمانه العملي بأن الله عز و جل غالب على أمره و بأنه القادر على كل شيء و المدير لأمر خلّقه بحكمته الرحيم بهم، و هذا من الثمار المهمة التي يكمن فيها صلاح الإنسان و طيّه لمعارج الكمال، و هو الهدف من معظم أحكام الشريعة و جميع عباداتها و هو أيضا شرط قبولها فلا قيمة لها إذا لم تستند الى هذا الايمان التوحيدي الخالص الذي يرسخه الانتظار، و هذا أثر مهم من آثاره الذي تذكره الأحاديث الشريفة نظير قول الإمام الصادق (عليه السلام): «ألا أخبركم بما لا يقبل الله عز و جل من العبادة عملا إلّا به ... شهادة أن لا إله إلّا الله و أن محمدا عبده و رسوله و الاقرار بما أمر الله و الولاية لنا و البراءة من أعدائنا - يعني الأئمة خاصة - و التسليم لهم، و الورع و الاجتهاد و الطمأنينة و الانتظار للقائم (عليه السلام) ...»^{٢٧١}.

و تصريح الأحاديث الشريفة بأن التحلى بالانتظار الحقيقي يؤهل

(١) كفاية الأثر: ٢٧٩، كمال الدين: ٣٧٨.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ٢ / ٦١٠، كمال الدين: ٦٤٥، تحف العقول: ١٠٦.

(٣) كمال الدين: ٦٤٤.

(٤) غيبة النعماني: ٢٠٠، إثبات الهداة: ٣ / ٥٣٦.

المنتظر - و بالآثار المترتبة عليه المشار اليها آنفا - للفوز بمقام صحبة الإمام المهدي كما يشير الى ذلك الإمام الصادق في تتمّة الحديث المتقدم حيث يقول: «من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر»، و كذلك يجعله يفوز بأجر هذه الصحبة الجهادية و هذا ما يصرح به الصادق (عليه السلام) حيث يقول: «من مات منكم على هذا الأمر منتظرا له كان كمن كان في

^{٢٦٨} (١) كفاية الأثر: ٢٧٩، كمال الدين: ٣٧٨.

^{٢٦٩} (٢) الخصال للشيخ الصدوق: ٢ / ٦١٠، كمال الدين: ٦٤٥، تحف العقول: ١٠٦.

^{٢٧٠} (٣) كمال الدين: ٦٤٤.

^{٢٧١} (٤) غيبة النعماني: ٢٠٠، إثبات الهداة: ٣ / ٥٣٦.

فسطاط القائم (عليه السلام) ...»^{٢٧٢}، و يفوز أيضا بأجر الشهيد كما يقول الإمام على (عليه السلام): «الآخذ بأمرنا معنا غدا في حظيرة القدس و المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله»^{٢٧٣}، بل و يفوز بأعلى مراتب الشهداء المجاهدين، يقول الصادق (عليه السلام): «من مات منكم و هو منتظر لهذا الأمر كمن كان مع القائم في فسطاطه؛ قال الراوى: ثم مكث هنيهة، ثم قال: لا بل كمن قارع معه بسيفه، ثم قال: لا و الله إلا كمن استشهد مع رسول الله (صلى الله عليه و آله)»^{٢٧٤}.

و الأحاديث المتحدثة عن آثار الانتظار كثيرة و يفهم منها أن تباين هذه الآثار في مراتبها يكشف عن تباين عمل المؤمنين بمقتضيات الانتظار الحقيقي، فكلما سمت مرتبة الانتظار تزايدت آثارها المباركة و بالطبع فإن الأمر يرتبط بتجسيد حقيقة و مقتضيات الانتظار، و لذلك يجب معرفة معناه الحقيقي، و هذا ما نتناوله في الفقرة اللاحقة.

حقيقة الانتظار

الانتظار عبارة عن: «كيفية نفسانية ينبعث منها التهيؤ لما تنتظره؛ و ضده اليأس؛ فكلما كان الانتظار أشد كان التهيؤ أكد؛ ألا ترى أنه إذا كان لك مسافر تتوقع قدومه ازداد تهيؤك لقدومه كلما قرب حينه، بل ربما تبدل رقادك

(١) كمال الدين: ٦٤٥.

(٢) في الخصال: ٦٢٥ و عنه في بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٣.

(٣) المحاسن للبرقي: ١ / ٢٧٨، ٢٧٩ ح ١٥٣ و عنه في بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٦ ح ١٨.

ص: ١٨٩

بالسهاد لشدة الانتظار. و كما تتفاوت مراتب الانتظار من هذه الجهة، كذلك تتفاوت مراتبه من حيث حبه لمن تنتظره، فكلما اشتد الحب ازداد التهيؤ للحبيب و أوجع فراقه بحيث يغفل المنتظر عن جميع ما يتعلق بحفظ نفسه و لا يشعر بما يصيبه من الآلام الموجهة و الشدائد المقطعة.

فالمؤمن المنتظر مولاه كلما اشتد انتظاره ازداد جهده في التهيؤ لذلك بالورع و الاجتهاد و تهذيب نفسه و تجنب الأخلاق الرذيلة و التحلى بالأخلاق الحميدة حتى يفوز بزيارة مولاه و مشاهدة جماله في زمان غيبته كما اتفق ذلك لجمع كثير من الصالحين، و لذلك أمر الأئمة الطاهرون (عليهم السلام) فيما سمعت من الروايات و غيرها بتهذيب الصفات و ملازمة الطاعات. بل رواية أبي بصير مشعرة أو دالة على توقف الفوز بذلك الأجر حيث قال [الإمام الصادق] (عليه السلام):

«من سره أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر و ليعمل بالورع و محاسن الأخلاق و هو منتظر، فإن مات و قام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه ... و لا ريب أنه كلما اشتد الانتظار ازداد صاحبه مقاما و ثوابا عند الله عز و جل ...»^{٢٧٥}.

^{٢٧٢} (١) كمال الدين: 645.

^{٢٧٣} (٢) في الخصال: 625 و عنه في بحار الأنوار: 52 / 123.

^{٢٧٤} (٣) المحاسن للبرقي: 1 / 278، 279 ح 153 و عنه في بحار الأنوار: 52 / 126 ح 18.

^{٢٧٥} (١) مكيال المكارم: 2 / 152-153.

و الانتظار يعنى: «تقرب ظهور و قيام الدولة القاهرة و السلطنة الظاهرة لمهدى آل محمد (عليهم السلام). و إمتلائها قسطا و عدلا و انتصار الدين القويم على جميع الأديان كما أخبر به الله تعالى نبيه الأكرم و وعده بذلك، بل بشر به جميع الأنبياء و الأمم؛ أنه يأتى مثل هذا اليوم الذى لا يعبد فيه غير الله تعالى و لا يبقى من الدين شىء مخفى وراء ستر و حجاب مخافة أحد...»^{٢٧٤}.

اذن الانتظار يتضمن حالة قلبية توجد لها الأصول العقائدية الثابتة بشأن حتمية ظهور المهدى الموعود و تحقق أهداف الأنبياء و رسالاتهم و آمال

(١) مكيال المكارم: ٢ / ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) النجم الثاقب: ٢ / ٤٤٣ من الترجمة العربية.

ص: ١٩٠

البشرية و طموحاتها على يديه (عليه السلام)؛ و هذه الحالة القلبية تؤدي الى انبعاث حركة عملية تتمحور حول التهيؤ و الاستعداد للظهور المنتظر، و لذلك أكدت الأحاديث الشريفة على لزوم ترسيخ المعرفة الصحيحة المستندة للدلالة العقائدية بالإمام المهدى و غيبته و حتمية ظهوره كما أشرنا فى الواجب الأول.

و عليه يتضح أن الانتظار لا يكون صادقا إلّا اذا توفرت فيه: «عناصر ثلاثة مقترنة: عقائدية و نفسية و سلوكية و لولاها لا يبقى للانتظار أى معنى إيماني صحيح سوى التعسف المبني على المنطق القائل : فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ...»^{٢٧٧} المنتج لتمنى الخير للبشرية من دون أى عمل إيجابى فى سبيل ذلك»^{٢٧٨}.

و لذلك نلاحظ فى الأحاديث الشريفة المتحدثة عن قضية الانتظار تأكيدها على معرفة الإمام المهدى و دوره و ترسيخ الارتباط المستمر به (عليه السلام) فى غيبته كمظهر للانتظار و الالتزام العملى بموالاته و التمسك بالشريعة الكاملة كما اشرنا لذلك فى التكاليف السابقة و إعداد المؤمن نفسه كنصير للإمام المهدى - عجل الله فرجه - يتحلى بجميع الصفات الجهادية و العقائدية و الأخلاقية اللازمة للمساهمة فى إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى، و إلّا لن يكون انتظارا حقيقيا.

«إن انتظار الفرج نوعان: انتظار بناء باعث للتحرك و الالتزام الرسالى، فهو عبادة و أفضل العبادات، و انتظار مخرب يشل الإنسان عن العمل البناء فهو يعتبر نمطا من أنماط «الإباحية» ... إن نوعى الانتظار هذين هما نتيجة لنوعين من الفهم لماهية الظهور التاريخى العظيم للمهدى الموعود (عليه السلام) ... و البعض

(١) المائدة (٥): ٢٤.

^{٢٧٦} (٢) النجم الثاقب: ٢ / 443 من الترجمة العربية.

^{٢٧٧} (١) المائدة (٥): 24.

^{٢٧٨} (٢) تاريخ الغيبة الكبرى: 342.

يفسر القضية المهدوية و ثورتها الموعودة بأنها ذات صبغة انفجارية لا غير؛ و أنها نتيجة لانتشار الظلم و التمييز و القمع و غصب الحقوق و الفساد ... فعندها يقع الانفجار و تظهر يد الغيب لإنقاذ الحق ... و عليه فإن أفضل عون يمكن أن يقدمه الإنسان لتعجيل الظهور المهدوي و أفضل أشكال الانتظار هو [السماح ب] ترويح الفساد ...

لكن المستفاد من الآيات أن ظهور المهدي الموعود حلقة من حلقات مجاهدة أنصار الحق لأشياء الباطل التي تكون عاقبتها الانتصار الكامل لأنصار الحق و مشاركة الإنسان في الحصول على هذه السعادة مرهون بأن يدخل عمليا في صفوف أنصار الحق ...

و يستفاد من الروايات الإسلامية أن ظهور المهدي (عليه السلام) يقترب ببلوغ جبهتي السعداء و الأشقياء ذروة عملهم كل حسب أهدافه لا أن ينعقد السعداء و يبلغ الأشقياء ذروة إجرامهم و ظلمهم، و تتحدث الأحاديث الشريفة عن صفوة من أنصار الحق تلتحق بالإمام فور ظهوره ... فحتى لو فرضنا أنهم قلة من الناحية الكمية إلا أنهم من الناحية الكيفية خير أهل الإيمان و بمستوى انصار سيد الشهداء (عليه السلام)؛ كما تتحدث عن التمهيد لثورة الإمام المهدي بسلسلة من الانتفاضات التي يقوم بها أنصار الحق ... كما تتحدث بعضها عن حكومة يقيمها أنصار الحق و تستمر حتى تفجر ثورة الإمام المهدي»^{٢٧٩}.

إذن يتضح مما تقدم أن للانتظار الشرعي المطلوب جملة من الشروط لا يتحقق بدونها العمل به كأهم تكاليف المؤمنين في عصر الغيبة و قد تحدثت عنها الأحاديث الشريفة و جمعها الإمام السجاد (عليه السلام) حيث قال ضمن حديث

(١) النهضة و الثورة المهدوية للشهيد المطهر (رحمه الله): ٦١ - ٨١ من الطبعة الفارسية (بتلخيص).

له عن القضية المهدوية: «إن أهل زمان غيبته القائلين بإمامته و المنتظرين لظهوره أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك و تعالى أعطاهم من العقول و الأفهام ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة العيان و جعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله (صلى الله عليه و آله) بالسيف، أولئك المخلصون حقا و شيعتنا صدقا و الدعاء الى دين الله عز و جل سرا و جهرا»^{٢٨٠}.

شروط الانتظار

على ضوء هذا النص و التوضيحات الذي تقدمته يمكن إجمال شروط الانتظار في النقاط التالية التي تتضمن أيضا توضيح السبيل العملي الذي ينبغي للمؤمن انتهاجه لكي يكون منتظرا حقيقيا:

^{٢٧٩} (١) النهضة و الثورة المهدوية للشهيد المطهر (رحمه الله): 61 - 81 من الطبعة الفارسية (بتلخيص).
^{٢٨٠} (١) كمال الدين: 319.

١- ترسيخ معرفة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - والإيمان بإمامته والقيام بمهامها في غيبته و معرفة طبيعته دوره التاريخي وأبعاده والواجبات التي يتضمنها و دور المؤمنين تجاهه، و ترسيخ الارتباط به (عليه السلام) و بدوره التاريخي. وكذلك الإيمان بأن ظهوره محتمل في أى وقت، الأمر الذي يوجب أن يكون المؤمن مستعداً له في كل وقت . بما يؤهله للمشاركة في ثورته.

و لتحقيق هذا الاستعداد اللازم لكي يكون الانتظار صادقا يجب التحلى بالصفات الأخرى التي يذكرها الإمام ام السجاد (عليه السلام) و التي تمثل في واقعها الشروط الأخرى لتحقيق مفهوم الانتظار على الصعيد العملي، كما نلاحظ في الفقرات اللاحقة.

٢- ترسيخ الاخلاص في القيام بمختلف مقتضيات الانتظار و تنقيته من

(١) كمال الدين: ٣١٩.

ص: ١٩٣

جميع الشوائب و الأغراض المادية و النفسية، و جعله خالصاً لله تبارك و تعالى و بنية التعبد له و السعى لرضاه، و بذلك يكون الانتظار «أفضل العبادة»، و قد صرح آية الله السيد محمد تقى الإصفهاني بأن توفر هذه النية الخالصة شرط في القيام بواجب الانتظار . و على أى حال فإن توفر هذا الشرط يرتبط بصورة مباشرة بالإعداد النفسى لنصرة الإمام عند ظهوره؛ لأن فقدانها يسلب المنتظر الأهلية اللازمة لتحمل صعبات نصرة الإمام - عجل الله فرجه - فى مهمته الإصلاحية الجهادية الكبرى.

٣- تربية النفس و إعدادها بصورة كاملة لنصرة الإمام من خلال صدق التمسك بالتقليد و التخلق بأخلاقهما ليكون المؤمن بذلك من أتباع الإمام المهدي (عليه السلام) حقاً: «و شيعتنا صدقا» و تتوفر فيه شروط الشخصية الإلهية و الجهادية القادرة على نصرة الإمام فى طريق تحقيق أهدافه الإلهية، و فى ذلك تمهيد لظهوره (عليه السلام) على الصعيد الشخصى.

٤- التحرك للتمهيد للظهور المهدوى على الصعيد الاجتماعى بدعوة الناس الى دين الله الحق و تربية أنصار الإمام و التبشير بثورته الكبرى، و نلاحظ فى حديث الامام السجاد (عليه السلام) وصفه للمنتظرين بأنهم «الدعاة الى دين الله عز و جل سرّاً و جهرًا»، و فى ذلك إشارة بليغة الى ضرورة استمرار تحرك المنتظرين فى التمهيد للظهور و رغم كل الصعاب، فإذا كانت الأوضاع موائمة دعوا لدين الله جهراً و إلّا كان تحركهم سرياً دون أن يسوّغوا لانفسهم التقاعس عن هذا الواجب التمهيدى تدرّجاً بصعوبة الظروف.

و على ضوء ما تقدم يتضح أن الانتظار الحقيقى يتضمن حركة بناء مستمرة و استعداد لظهور المنقذ المنتظر على الصعيدين الفردى و الاجتماعى مهما كانت الصعاب و التضحيات، يقول الإمام الخمينى (قدّس سرّه) فى آخر بيان

ص: ١٩٤

أصدره بمناسبة النصف من شعبان قبل وفاته : «سلام عليه (المهدي الموعود) و سلام على منتظريه الحقيقيين، سلام على غيبته و ظهوره، و سلام على الذين يدركون ظهوره على نحو الحقيقة و يرتون من كأس هدايته و معرفته سلام على الشعب الإيراني العظيم الذي يمهّد لظهوره بالتضحيات و الفداء و الشهادة...»^{٢٨١}.

الانتظار و توقّع الظهور الفوري

إضافة الى تصريحهم بوجوب إنتظار الامام المهدي - عجل الله فرجه - في غيبته استنادا الى كثرة النصوص الشرعية الآمرة بذلك على نحو الفرج الإلهي العام أو الفرج المهدي على نحو الخصوص، فقد صرحوا بوجوب توقع ظهور الإمام في كل حين استنادا الى النصوص الشرعية أيضا ، يقول السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله): «من الأخبار الدالة على التكليف في عصر الغيبة ما دل على وجوب الانتظار الفوري و توقع الظهور الفوري في كل وقت بالمعنى الذي سبق أن حققناه»^{٢٨٢}، و يقول السيد محمد تقى الإصفهاني بعد نقله لمجموعة من الأحاديث الدالة على وجوب الانتظار الفوري : «المقصود من توقع الفرج صباحا و مساء هو الانتظار للفرج الموعود في كل وقت يمكن وقوع هذا الأمر المسعود و لا ريب في إمكان وقوع ذلك في جميع الشهور و الأعوام بمقتضى أمر المدبرّ العالم، فيجب الانتظار له على الخاص و العام»^{٢٨٣}.

و شمولية وجوب الانتظار لجميع المسلمين التي يصرّح بها السيد

(١) صحيفة نور: ٢١.

(٢) تاريخ الغيبة الكبرى: ٤٢٧.

(٣) مكّال المكارم: ١٥٨ / ٢ - ١٥٩.

ص: ١٩٥

الإصفهاني في ذيل ما نقلناه عنه أنفا يؤكداه السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) استنادا الى الاتفاق بين المسلمين على حتمية ظهور المهدي (عليه السلام) بعد تواتر أحاديثه: «بنحو يحصل اليقين بمدلولها و ينقطع العذر عن إنكاره أمام الله عز و جل؛ و بعد العلم بإننا طهّ تنفيذ ذلك الغرض بإرادة الله تعالى وحده من دون أن يكون لغيره رأى في ذلك، إذن فمن المحتمل في كل يوم أن يقوم المهدي (عليه السلام) بحركته الكبرى لتطبيق ذلك الغرض لوضوح احتمال تعلق إرادة الله تعالى به في أي وقت . و لا ينبغي أن تختلف في ذلك الأطروحة الإمامية لفهم المهدي (عليه السلام) عن غيرها؛ إذ على تلك الأطروحة يأذن الله تعالى بالظهور بعد الاختفاء، و أما على الأطروحة القائلة بأن المهدي (عليه السلام) يولد في مستقبل الدهر و يقوم بالسيف، فمن المحتمل أيضا أن يكون الآن مولودا و يوشك أن يأمره الله تعالى بالظهور، و هذا

^{٢٨١} (١) صحيفة نور: 21.

^{٢٨٢} (٢) تاريخ الغيبة الكبرى: 427.

^{٢٨٣} (٣) مكّال المكارم: 158 / 2 - 159.

الاحتمال قائم في كل وقت «^{٢٨٤}، ويستند الى الطريقة نفسها في تنمّة حديثه للقول بوجوب الانتظار الفوري على كل من يؤمن بالمنقذ الموعود من أتباع الديانات الأخرى.

تبقى قضية علائم الظهور التي ذكرت الأحاديث الشريفة أنها تسبق الظهور المهدوي، و تعارضها مع القول بوجوب الانتظار الفوري، و هو تعارض مرفوع بأن انتظار الحتمي منها هو انتظار للظهور في الواقع لأنها جزء كما أنّ زمن وقوع العلائم الحتمية للظهور قريب من موعد الظهور و أما شرائط الظهور و توفير الأوضاع اللازمة له فإنّ من المحتمل اكتمالها في كل حال. يقول السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله): «إنّ العلامات يحتمل وقوعها في أى وقت و يحتمل أن يتبعها ظهور المهدي (عليه السلام) بوقت قصير، و أما شرائط الظهور فيحتمل

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٤١-٣٤٢.

ص: ١٩٦

اكتمالها و انجازها في أى وقت أيضا، و قلنا بأن وجود هذا الاحتمال في نفس الفرد كاف في إيجاد الجو النفسي للانتظار الفوري»^{٢٨٥}.

و هذا الجو النفسي المطلوب في الانتظار الفوري هو الذي يشكل الدوافع المحرّضة للمؤمن لكي يسارع في توفير الشروط اللازمة لنصرة إمامه المهدي - عجل الله فرجه - من خلال إعداد نفسه و غيره بالتهذيب و التربية اللازمة للتخلي بخصال أنصار المهدي.

و من الضروري استكمالاً للبحث في موضوع وجوب الانتظار كأحد أهم واجبات المسلمين في عصر الغيبة، الإشارة الى حرمة اليأس من الظهور و هو الأصل الذي يستند الى أدلة قرآنية عامة تشكل أحد أدلة وجوب الانتظار، و قد بحث آية الله السيد محمد تقى الإصفهاني (رحمه الله) هذا الموضوع مفصلاً و استعرض النصوص الشرعية و بيّن دلالاتها و الأحكام المستنبطة منها بشأن أقسام اليأس المتصورة بالنسبة الى ظهور المهدي الموعود، و خلص في بحثه الى إثبات حرمة اليأس من ظهوره أصلاً؛ لاتفاق المسلمين على حتمية تحقق ذلك، و كذلك حرمة اليأس من وقوع الظهور في مدة معينة، و كذلك اليأس من قرب ظهوره^{٢٨٦}.

(١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٦٢-٣٦٣.

(٢) مكيال المكارم: ١٥٧/٢ - ١٦٢.

ص: ١٩٧

^{٢٨٤} (١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٤١-٣٤٢.

^{٢٨٥} (١) تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٦٢-٣٦٣.

^{٢٨٦} (٢) مكيال المكارم: ١٥٧/٢ - ١٦٢.

الباب الخامس و فيه فصول:

الفصل الأول:

علائم ظهور المهدي (عليه السلام)

الفصل الثاني:

سيرة الإمام المهدي (عليه السلام) عند الظهور

الفصل الثالث:

قبسات من تراث الإمام المهدي (عليه السلام)

ص: ١٩٩

الفصل الأول علائم ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)

ملاحظات بشأن علائم الظهور

عرفنا من الحديث عن تكاليف المؤمنين في عصر غيبة الإمام - عجل الله فرجه - أن الأحاديث الشريفة تأمر بانتظار ظهوره و توقعه في كل آن، و هذا تكليف تربوي يهدف الى جعلهم ساعين باتجاه تحقيق الاستعداد الكامل و باستمرار لنصرته عند ما يظهر.

و لكن الى جانب هذا الأمر المؤكد تذكر الأحاديث الشريفة مجموعة من الحوادث و الامور كعلائم لظهوره (عليه السلام) يهتدى بها المؤمنون لترسيخ و تسريع استعدادهم لنصرته و المساهمة في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

و الجمع بين هاتين الطائفتين من الأحاديث الشريفة، هو أن الأمر بتوقع الظهور في كل ح ين يستند الى إمكان وقوع ذلك متى ما شاءت الإرادة الإلهية، فتعجل في تحقيق العلائم المذكورة في الطائفة الثانية أو تلغى بعضها لحكمة ربانية في تدبير شؤون العباد إذا علم منهم صدقهم في الاستعداد لنصرته مثلاً، أو أن يكون المقصود من توقع الظهور الفوري توقع تحقق العلائم المذكورة في الأحاديث الشريفة و الحتمية الوقوع؛ لأن وقوعها إعلان ظهور

ص: ٢٠٠

الإمام (عليه السلام)^{٢٨٧}. و قد تقدمت اشارة أخرى الى هذه القضية ضمن الحديث عن واجب الانتظار.

^{٢٨٧} (١) راجع تفصيل السيد الإصفهاني لهذه النقطة في كتابه مكيال المكارم ٢/ 160 و ما بعدها.

و بهذا تتحصل للمؤمنين الثمار المرجوة من الأمر بوجوب توقع ظهوره - عجل الله فرجه - فى كل حين، و كذلك تتحصل لهم الثمار المرجوة من تعريفهم بعلائم ظهوره لتسريع استعدادهم و القيام بالتكاليف الخاصة ببعض العلامات التى تقرر الأحاديث الشريفة ذكرها بذكر واجبات خاصة بها.

العلامات الحتمية و غير الحتمية

و تذكر الأحاديث الشريفة قسمين رئيسيين من علائم ظهور الإمام - عجل الله فرجه - . القسم الأول ما هو حتمى الوقوع، و القسم الثانى ما هو غير حتمى بل قد لا يقع إذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك . كما أن بعض هذه العلامات قريبة من زمن الظهور و بعضها سابق له بفترة طويلة.

اللغة الرمزية فى أحاديث العلامات

كما تنبغى الإشارة هنا الى أن الأحاديث الشريفة تحدثت عن كثير من علائم الظهور بلغة الرمز و الإشارة، لذا من الضرورى لمعرفة معناها على نحو الدقة دراسة هذه اللغة و معرفتها، كما ينبغى استجماع كل ما ورد بشأن كل علامة من تفصيلات فى الأحاديث الشريفة و دراستها بعيدا عن التأثير بالقناعات السابقة و بتأتى و بدقة للتوصل الى مصداقها الحقيقى و عدم الوقوع فى التطبيقات العجولة التى تبعد عن الهدف المراد من ذكر هذه العلامات، خاصة و أن اللغة

(١) راجع تفصيل السيد الإصفهاني لهذه النقطة فى كتابه مكياال المكارم: ٢ / ١٦٠ و ما بعدها.

ص: ٢٠١

الرمزية بطبيعتها تجعل من الممكن تطبيق كل علامة على أكثر من مصداق و هذا خلاف الهدف المراد من ذكرها أيضا.

كما أن من الضرورى الإشارة الى أن بعض الأحاديث الشريفة التى ذكرت علامات الظهور، حددت تكاليف محددة للمؤمنين - على نحو التصريح أو الإشارة تجاهها - فينبغى عند دراستها السعى للتعرف على هذه التكاليف للحصول على الثمار المرجوة من ذكرها.

و حيث إن علائم الظهور ترتبط بقضايا غيبية، لذلك فإنها تعرضت للكثير من التحريف و داخلها الوضع، لذا ينبغى التدقيق فى هذا الجانب لتمييز الصحيح منها من الموضوع . على أن ثمة قضية مهمة أخرى فى هذا المجال هى وجود مجموعة من العلامات التى ذكرتها بعض الأحاديث الشريفة المرسله أو غير المسنده ثم جاء الواقع التاريخى مصدقا لها فهذا دليل صحتها، لأنه أثبت أنه تحدثت عن قضايا قبل وقوعها و هذا ما لا يمكن صدوره إلّا من جهة ينابيع الوحي الإلهى.

أبرز علائم الظهور

و البحث فى علائم الظهور طويل لا يسعه هذا المختصر، فنكتفى بعد هذه الملاحظات بنقل ما لخصه الشيخ المفيد (رضى الله عنه) من الأحاديث الشريفة مع الإشارة الى أن ثمة علامات أخرى لم يذكرها.

يقول (رحمه الله):- «قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام المهدي (عليه السلام) و حوادث تكون أمام قيامه، و آيات و دلالات: فمنها: خروج السفيناني، و قتل الحسنی، و اختلاف بنی العباس فی الملك الدنياوی، و كسوف الشمس فی النصف من شهر رمضان، و خسوف القمر فی آخره علی خلاف العادات،

ص: ٢٠٢

و خسف بالبيداء، و خسف بالمغرب، و خسف بالمشرق، و ركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، و طلوعها من المغرب، و قتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، و ذبح رجل هاشمي بين الركن و المقام، و هدم سور الكوفة، و إقبال رايات سود من قبل خراسان، و خروج اليماني، و ظهور المغربي بمصر و تملكه للشامات، و نزول الترك الجزيرة، و نزول الروم الرمل، و طلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر ثم ينطفئ حتى يكاد يلتقي طرفاه، و حمرة تظهر في السماء و تنتشر في آفاقها، و نار تظهر بالمشرق طولاً و تبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبع ة أيام، و خلع العرب أعنتها و تملكها البلاد و خروجها عن سلطان العجم، و قتل أهل مصر أميرهم، و خراب الشام، و اختلاف ثلاثة رايات فيه، و دخول رايات قيس و العرب إلى مصر و رايات كندة إلى خراسان، و ورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة، و إقبال رايات سود من المشرق نحوها، و بتق في الفرات حتى يدخل الماء أزقة الكوفة، و خروج ستين كذاباً كلهم يدعى النبوة، و خروج اثني عشر من آل أبي طالب كلهم يدعى الإمامة لنفسه، و إحراق رجل عظيم القدر من شيعة بنی العباس بين جلولاء و خانقين، و عقد الجسر ممّا يلي الكرخ بمدينة السلام، و ارتفاع ریح سوداء بها في أول النهار؛ و زلزلة حتى ينخسف كثير منها، و خوف يشمل أهل العراق، و موت ذريع فيه، و نقص من الأنفس و الأموال الثمرات، و جراد يظهر في أوانه و في غير أوانه حتى يأتي على الزرع و الغلات، و قلة ريع لما يزرعه الناس، و اختلاف صن فین من العجم، و سفك دماء كثيرة فيما بينهم، و خروج العبيد عن طاعة ساداتهم و قتلهم مواليتهم، و مسخ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قرده و خنازير، و غلبة العبيد على بلاد

ص: ٢٠٣

السادات، و نداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كل أهل لغة بلغتهم، و وجه و صدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس، و أموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها و يتزاوون.

ثم يختم ذلك بأربع و عشرين مطرة تتصل فتحمي بها الأرض من بعد موتها و تعرف بركاتها، و تزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي (عليه السلام)، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة فيتوجهون نحوه لنصرتة . كما جاءت بذلك الأخبار.

و من جملة هذه الأحداث محتومة و منها مشترطة، و الله أعلم بما يكون، و إنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الاصول و تضمنها الأثر المنقول، و بالله نستعين و إياه نسأل التوفيق»^{٢٨٨}.

زوال علل الغيبة

اضافة الى هذه العلامات التي نصت عليها الأحاديث الشريفة؛ فإنَّ الاستفادة من الأحاديث الشريفة أن من العلائم المهمة لظهور الإمام المهدي - عجل الله فرجه -؛ زوال العلل و العوامل التي أدت الى غيبته و توفر الأوضاع المناسبة لقيامه - سلام الله عليه - بمهمته الإصلاحية الكبرى^{٢٨٩}، و التي منها:

١ - اكتمال عملية التمحيص و الغربة للمؤمنين و توفر العدد اللازم من الأنصار الأوفياء بمختلف مراتبهم التي أشرنا إليها ضمن الحديث عن علل

(١) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٣٦٨ - ٣٧٠.

(٢) تراجع نصوص الأحاديث الشريفة التي أوردناها في الحديث عن علل الغيبة الكبرى.

ص: ٢٠٤

الغيبة؛ أي المرتبة العليا من الأنصار الذين يتحلون بالكفاءات القيادية اللازمة لمعاونته في إقامة الحكومة الإسلامية العالمية العادلة و إدارة شؤونها و قبل ذلك إدارة حركة الصراع ضد الكفر و الشرك و العبوديات الطاغوتية و دحرها و إزالتها بالكامل.

و لعل أفراد هذه المرتبة هم الذين ذكرت الأحاديث الشريفة بأنَّ عددهم (٣١٣) كعدة أهل بدر و ذكرت لهم صفات عالية من الإيمان و معرفة الله حق معرفته، و من شدة التعبد لله و الإخلاص له فهم «رهبان الليل»، و من الشجاعة و الكفاءة الجهادية العالية فهم «أسد النهار» الذين لا يخافون في الله لومة لائم، و من الكفاءة العلمية العالية و الإحاطة بعلوم الشريعة فهم «الفقهاء و القضاة»، و من الكفاءة الإدارية الفائقة فهم «الولاة العدول»^{٢٩٠} و غير ذلك من الصفات السامية الأخرى التي يستفاد منها أنهم يمثلون جهاز الإمام القيادي و الإداري عند ظهوره قبل إقامة دولته العالمية العادلة و بعدها.

٢ - منها توفر القواعد الإسلامية العريضة المستعدة للتفاعل الإيجابي مع أهداف الثورة المهدوية الكبرى و إن تباينت درجاتها في تقديم النصر العملية^{٢٩١}.

و الذي يوجد هذه الحالة هو اتضاح حقيقة و أحقية منهج أهل البيت النبوي الذي يمثل المهدى الموعود - عجل الله فرجه -، و اتضاح زيف

(١) عقد الدرر: ١٢٣ إثبات الهداة: ٤٩٤، ٥١٨، الملاحم و الفتن لابن حماد: ٩٥، دلائل الإمامة للطبري الإمامي :

^{٢٨٩} (٢) تراجع نصوص الأحاديث الشريفة التي أوردناها في الحديث عن علل الغيبة الكبرى
^{٢٩٠} (١) عقد الدرر: ١٢٣ إثبات الهداة: ٤٩٤، ٥١٨، الملاحم و الفتن لابن حماد: ٩٥، دلائل الإمامة للطبري الإمامي
٢٤٨ - ٢٤٩، حلية الأولياء: ٦ / ١٢٣، مستدرك الحاكم: ٤ / ٥٥٤ بنابيع المودة: ٥١٢، كمال الدين: ٦٧٣، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٦، و الأحاديث في مدح أصحاب المهدى و أنصاره كثيرة
^{٢٩١} (٢) راجع توضيحات السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) لهذه المراتب من القواعد المؤيدة في تأريخ الغيبة المفقودة: ٢٤٧ و ما بعدها.

٢٤٨ - ٢٤٩، حلية الأولياء: ١٢٣ / ٤، مستدرک الحاكم: ٥٥٤ / ٤، ينابيع المودة: ٥١٢، كمال الدين: ٦٧٣، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٦، والأحاديث في مدح أصحاب المهدي وأنصاره كثيرة.

(٢) راجع توضيحات السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) لهذه المراتب من القواعد المؤيدة في تأريخ الغيبة الكبرى: ٢٤٧ و ما بعدها.

ص: ٢٠٥

الشبهات المثارة على مدى التأريخ الإسلامي ضد هذا المنهج، و اتضح أنه هو المنهج الذي يمثل الإسلام المحمدي الأصيل.

و قد أشارت الأحاديث الشريفة الى ذلك ضمن حديثها عن الحركة الموطئة للثورة المهدوية و دورها في عرض الصورة النقية لمذهب أهل البيت و علومه الإسلامية النقية على الصعيد الإسلامي و العالمي، و بالتالي عرض الصورة الأصيلة للإسلام^{٢٩٢}.

و دور هذه الحركة التمهيدية التي نصّت الأحاديث الشريفة على انطلاقها قبيل الظهور المهدوي في عرض الصورة النقية للإسلام يوجد حالة التطلع للإسلام كبديل حضاري لإنقاذ البشرية و الإقبال عليه خارج دائرة العالم الإسلامي - كما هو المشهود حاليا في بواده على الأقل - الأمر الذي يفتح أبواب التفاعل الإيجابي مع الثورة المهدوية الكبرى بين الشعوب غير الإسلامية أيضا خاصة و أنها جربت المدارس و التيارات الفكرية و السياسية الاخرى و عايشت عمليا فشلها في تحقيق السعادة المنشودة للبشرية بل و جلبها للبشرية الكثير من الأزمات المادية و المعنوية التي تعتصرها حاليا، الأمر الذي جعلها تتطلع الى بديل منقذ خارج المدارس و التيارات التي عرفتها، و الى هذه الحالة أشارت الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن أن الدولة المهدوية هي آخر الدول كما لاحظنا في الأحاديث الشريفة التي أوردناها في الفصل الخاص بعزل الغيبة و أسبابها.

٣- منها أيضا توفر وسائل الاتصال المتطورة التي تتيح للجميع التعرف

(١) بحار الأنوار: ٢١٣ / ٤٠، عن تاريخ قم للحسن بن محمد القمي (ق ٣) ح ٢٢ و ٢٣ و عنه في منتخب الأثر:

٢٤٣ و ٤٤٣.

ص: ٢٠٦

على الحقائق، و بالتالي السماح بوصول الحق الى الجميع و اتضح بطلان و زيف المدارس الاخرى، و أحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها المهدي (عليه السلام) و بالتالي تبني أشخاص للتيار الإسلامي و أهدافه التي يبشر بها المهدي

^{٢٩٢} (١) بحار الأنوار: 213 / 60، عن تاريخ قم للحسن بن محمد القمي (ق 3) ح 22 و 23 و عنه في منتخب الأثر: 263 و 443.

الموعد بعد أن كانوا ينتمون تأريخيا الى المدارس الاخرى، أى الانتقال عمليا الى صفوف أنصاره (عليه السلام)، كما تشير الى ذلك الأحاديث الشريفة المعللة للغيبه بإخراج «ودائع الله» المؤمنين من أصلاب الكافرين.

ص: ٢٠٧

الفصل الثانى سيرة الإمام المهدي (عليه السلام) عند الظهور

وردت مجموعة من الأحاديث الشريفة فى ذكر عصر الظهور و ما يجرى فيه، و سيرة الإمام المهدي - عجل الله فرجه - عند ظهوره و ما يحققه الله تبارك و تعالى على يديه يومذاك.

و هذه الأحاديث مروية فى الكتب المعتمدة عند مختلف الفرق الإسلامية، و فيها الأحاديث ذات الأسانيد الصحيحة، و حيث إن هذا الكتاب لا يتسع لإيرادها و تحليلها و دراستها و تمحيصها، لذلك نكتفى بتلخيص أبرز مدلولاتها فى عناوين موجزة دون ذكر نصوصها فى أغلب الموارد محيلين القارئ الكريم الى مراجعة مصادرها إذا أراد التفصيل، مقدمين لذلك بذكر الآيات الكريمة المتحدثة عن خصوصيات عصر الظهور و ما سيحققه الله تبارك و تعالى على يدى وليه المهدي (عليه السلام) المنتظر عجل الله فرجه.

إنّ ما نستفيدة من هذه النصوص التى تكلمت عن عصر الظهور ر يعبر عن خصائص الدولة المهدوية - كما يرسمه القرآن الكريم - و هى الدولة التى تمثل المصداق الجلى لأحد أهم الأهداف الإلهية من بعثة جميع الأنبياء (عليهم السلام).

ص: ٢٠٨

خصائص الدولة المهدوية فى القرآن الكريم

١- اتمام النور الالهى و إظهار الإسلام على الدين كله:

و هذا ما صرح به القرآن المجيد فى ثلاث من سورة المباركة.

أ- قال تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^{٢٩٣}.

ب- و قال تعالى يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^{٢٩٤}.

ج- و قال عز و جل: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً^{٢٩٥}.

^{٢٩٣} (١) التوبة (9): 32 و 33.

^{٢٩٤} (٢) الصف (61): 8 و 9.

^{٢٩٥} (٣) الفتح (48): 28.

وقد صرّح المفسرون من مختلف المذاهب الإسلامية بأنّ هذا الوعد الحتمى الوقوع إنما يتحقق فى عصر المهدي الموعود حيث يظهر الإسلام على جميع الأديان فيعم المشارق والمغارب^{٢٩٦}. وتقام الدولة الإسلامية العالمية؛ لأن المقصود من الإظهار هو الغلبة والاستيلاء وليس مجرد قوّة الحجة؛ لأن غلبة الحجة أمر حاصل ابتداء ولا يبشر الله عز وجل إلّا بأمر مستقبل غير حاصل كما استدل على ذلك الفخر الرازى فى تفسيره^{٢٩٧}.

(١) التوبة (٩): ٣٢ و ٣٣.

(٢) الصف (٦١): ٨ و ٩.

(٣) الفتح (٤٨): ٢٨.

(٤) تفسير القرطبي: ٨ / ١٢، التفسير الكبير: ١٦ / ٤٠، و الروايات من طرق أهل البيت (عليهم السلام) كثيرة مصرّحة باختصاص تحقق هذا الوعد بعهد المهدي الموعود.

(٥) التفسير الكبير: ١٦ / ٤٠.

ص: ٢٠٩

٢- استخلاف صالحى المؤمنين

أ- قال تعالى: وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ^{٢٩٨}.

ب- و قال تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ آلَ ذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^{٢٩٩}.

ج- و قال تعالى: ... الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ^{٣٠٠}.

تخير الآية الكريمة الاولى بأن من القضاء المحتوم تكريم خط الإيمان والصلاح بجزاء دنيوى - فضلا عن الجزاء الاخرى - يتمثل فى ورائة الأرض و حكمها حيث العاقبة للمتقين فى الدنيا والآخرة^{٣٠١}، و تنص الآية الثانية على أن الذين يستخلفهم الله فى الأرض هم الذين آمنوا و عملوا الصالحات من المسلمين، الذين كانوا يستضعفون و لم يسمح لهم

^{٢٩٦} (4) تفسير القرطبي: 8 / 12، التفسير الكبير: 16 / 40، و الروايات من طرق أهل البيت (عليهم السلام) كثيرة مصرّحة باختصاص تحقق هذا الوعد بعهد المهدي الموعود.

^{٢٩٧} (5) التفسير الكبير: 16 / 40.

^{٢٩٨} (1) الأنبياء: 21 / 105.

^{٢٩٩} (2) النور (24): 55.

^{٣٠٠} (3) الحج (22): 41.

^{٣٠١} (4) تفسير الميزان: 14 / 329-331.

بعبادة الله بأمن، و عن التمكين لهؤلاء دينهم الذى ارتضاه تبارك و تعالى لهم : و الآيتان تتحدثان عن عصر ظهور المهدي كما هو واضح من التدبر فيهما^{٣٠٢}.

(١) الأنبياء: ١٠٥ / ٢١.

(٢) النور (٢٤): ٥٥.

(٣) الحج (٢٢): ٤١.

(٤) تفسير الميزان: ٣٢٩ / ١٤ - ٣٣١.

(٥) ناقش العلامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسيره الميزان الأقوال الأخرى التي أوردتها المفسرون و أثبت -

ص: ٢١٠

٣- إقامة المجتمع التوحيدى الخالص

و استنادا لما تقدم يتضح أن من خصائص عصر المهدي الموعود - عجل الله فرجه - هو أن تكون مقاليد المجتمع البشرى برمته بيد الصالحين الذين كانوا يستضعفون فى الأرض و الذين يمثلون الإسلام المحمدى الأصيل، فإذا مكنهم الله فى الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر أى أقاموا المجتمع التوحيدى الخالص الذى يعبد الله وحده لا شريك له بأمن دونما خوف من كيد منافق أو كافر، و وفروا بذلك جميع الظروف اللازمة لتحقيق العبادة الحقّة لله و التكامل الانسانى فى ظلها، لذا فلا حجة بالمرّة لمن يكفر بع ذلك **فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** حقا لانهم أعرضوا عن الصراط المستقيم مع توفر جميع الأوضاع المناسبة لسلوكه و هذه خصوصية أخرى من خصوصيات عصر المهدي المنتظر - عجل الله فرجه -، و تفسير ما روى من شدة تعامله مع المنحرفين.

٤- تحقق الغاية من خلق النوع الانسانى

قال عزّ و جلّ: **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**^{٣٠٣}.

تدل الآية الكريمة على حصر الغاية من خلق الإنسان بالعبادة الحقّة لله جل و علا^{٣٠٤}، و هذا ما يتحقق فى ظل دولة المهدي الموعود على الصعيدين الفردى و الاجتماعى بأكمله كما أشرنا لذلك فى الفقرة السابقة. و قد عقد

^{٣٠٢} (٥) ناقش العلامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسيره الميزان الأقوال الأخرى التي أوردتها المفسرون و أثبت - عدم انسجامها مع دلالات الآية التي لا يمكن تفسيرها بغير الدولة المهدوية راجع تفسير الميزان

151 / 157.

^{٣٠٣} (١) سورة الذاريات (51): 56.

^{٣٠٤} (٢) تفسير الميزان: 386 / 18 - 389.

- عدم انسجامها مع دلالات الآية التي لا يمكن تفسيرها بغير الدولة المهدوية راجع تفسير الميزان:

١٥٧-١٥١ / ١٥.

(١) سورة الذاريات (٥١): ٥٦.

(٢) تفسير الميزان: ٣٨٦-٣٨٩.

ص: ٢١١

السيد الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) بحثا عقائديا تفسيريا استند فيه لهذه الآية الكريمة لإثبات حتمية ظهور دولة المهدي الموعود - عجل الله فرجه^{٣٠٥}. لأن تحقق هذه الغاية أمر حتمي إذ إن من المحال تخلف مخلوق عن الغاية من خلقه، والآية تتحدث عن النوع الانساني و تحقق العبادة الحق في على الصعيدين الفردي والاجتماعي العام في المجتمع الانساني وهذا ما لم يتحقق في تأريخ الانسان على الأرض منذ نزوله إليها لذا لا بد من القول بحتمية تحققه في المستقبل في دولة إلهية تقيم المجتمع التوحيدي الصالح العابد لله وحده لا شريك له، وهذه الدولة هي الدولة المهدوية كما أشارت لذلك الآيات الكريمة المتقدمة و صرحت به الكثير من الأحاديث الشريفة المروية من طرق الفريقين.

٥- انتهاء الردة عن الدين الحق

قال عز من قائل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^{٣٠٦}.

لقد عقد العلامة الطبا طبائي (رحمه الله) بحثا تفسيريا قرآنيا و روائيا للاستدلال على أن هذه الآية الكريمة تتحدث عن عصر الظهور المهدوي و أن الردة المقصودة فيها هي عن الدين الحق مع البقاء على الظاهر الإسلامي و ذلك بموالاة اليهود و النصارى و إتباعهم في طريقة الحياة في مختلف شؤونها كما هو حاصل اليوم . و هذه الردة هي التي تنهى عنها الآيات السابقة لهذه الآية

(١) تأريخ الغيبة الكبرى: ٢٣٣ و ما بعدها.

(٢) المائدة (٥): ٥٤.

ص: ٢١٢

الكريمة التي تتحدث عن الانحراف الذي يصيب العالم الإسلامي قبل الفتح المهدوي^{٣٠٧}.

^{٣٠٥} (١) تأريخ الغيبة الكبرى 233 و ما بعدها.
^{٣٠٦} (٢) المائدة (٥): 54.

و بناء على ذلك فإنّ من خصائص عصر الدولة المهدوية إنهاء الردّة عن الدين الحق و التبعية لليهود و النصارى فى طريقة الحياة، ثم إعادة المسلمين الى الطريقة الإسلامية فى الحياة بمختلف شؤونها، وهذا ينسجم تماما مع الخصوصيات الأخرى للعصر المهدوى الذى تحدثت عنه الآيات السابقة.

تأريخ ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)

ذكرت الأحاديث الشريفة أنه (عليه السلام) يظهر فى وتر من السنين الهجرية^{٣٠٨} أى من الأعوام الفردية، و يكون ظهوره فى يوم الجمعة^{٣٠٩}، فيما ذكرت أحاديث أخرى أن خروجه يكون يوم السبت العاشر من محرم الحرام^{٣١٠}، و لعل الجمع بين التأريخين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة و فيها يخطب خطبته فى المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه الكوفة يوم السبت.

مكان ظهوره - عجل الله فرجه - و انطلاقة ثورته

ذكرت مجموعة من الأحاديث الشريفة أن بداية ظهوره يكون فى

(١) تفسير الميزان: ٥ / ٣٦٦ - ٤٠٠، و راجع تفسير الشيخ اسعد بيوض التميمي للآيات نفسها فى كتابه زوال اسرائيل حتمية قرآنية؛ ١٢٠ - ١٢٤.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٣٧٩ و عنه فى الفصول المهمة: ٣٠٢ إثبات الهداء: ٣ / ٥١٤.

(٣) إثبات الهداء: ٣ / ٤٩٦.

(٤) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى: ٤ / ٣٠٠ و كذلك ٣٣٣، اقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٥٥٨، كمال الدين: ٦٥٣، غيبة الطوسى: ٢٧٤، عقد الدرر للمقدسى الشافعى: ٦٥، البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان للمتقى الهندى: ١٤٥.

ص: ٢١٣

المدينة المنورة و إعلان حركته يكون فى مكة المكرمة^{٣١١} و فى المسجد الحرام حيث يعلن حركته و يدعو إليها فى خطبة موجزة ذات دلالات مهمة و هى مروية عن الإمام الباقر (عليه السلام) ضمن حديث طويل عن ظهور سليله المهدي، يقول (عليه السلام) فى جانب من الحديث:

ثم ينتهى الى المقام فيصلّى عنده ركعتين ثم ينشد اللّٰه و الناس حقه . فيقول:

^{٣٠٧} (١) تفسير الميزان: ٥ / 366 - 400، و راجع تفسير الشيخ اسعد بيوض التميمي للآيات نفسها فى كتابه زوال اسرائيل حتمية قرآنية؛ 120 - 124.

^{٣٠٨} (٢) الإرشاد للشيخ المفيد: 2 / 379 و عنه فى الفصول المهمة: 302 إثبات الهداء: 3 / 514.

^{٣٠٩} (٣) إثبات الهداء: 3 / 496.

^{٣١٠} (٤) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسى: 4 / 300 و كذلك 333، اقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: 558، كمال الدين: 653، غيبة الطوسى: 274، عقد الدرر للمقدسى الشافعى: 65، البرهان فى علامات مهدى آخر الزمان للمتقى الهندي: 145.

^{٣١١} (١) برهان المتقى الهندي: 144.

يا أيها الناس إنّنا نستنصر الله على من ظلمنا و سلب حقنا، من يحاجنا في الله فانا أولى بالله، و من يحاجنا في آدم فانا أولى الناس بآدم، و من حاجنا في نوح فانا أولى الناس بنوح، و من حاجنا في إبراهيم فانا أولى الناس بإبراهيم، و من حاجنا بمحمد فانا أولى الناس بمحمد (صلى الله عليه و آله)، و من حاجنا في النبيين فانا أولى الناس بالنبيين، و من حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله، أنا أشهد [نشهد] و كل مسلم اليوم إنّنا قد ظلمنا و طردنا و بغى علينا و اخرجنا من ديارنا و اموالنا و أهالينا و قهرنا، الا أنا نستنصر الله اليوم كل مسلم»^{٣١٢}.

و ورد في رواية ينقلها نعيم بن حماد و هو من مشائخ البخارى بسنده عن الإمام الباقر (عليه السلام) أيضا، خطبة ثانية في المكان نفسه و لكن بعد أداء فريضة العشاء، فيروى عن الإمام الباقر (عليه السلام) قوله: «... فإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: اذكركم الله أيها الناس، و مقامكم بين يدي ربكم، فقد اتخذ الحجة و بعث الأنبياء و أنزل الكتاب، و أمركم أن لا تشركوا به شيئا و أن تحافظوا على طاعته و طاعة رسوله، و أن تحبوا ما أحياى القرآن، و تميتوا ما أمات، و تكونوا أعوانا على الهدى، و وزرا على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها و زوالها، و آذنت بالوداع، فإني أدعوكم الى الله، و الى رسوله، و العمل بكتابه، و إماتة الباطل، و إحياء سنته...»^{٣١٣}.

(١) برهان المتقى الهندي: ١٤٤.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ٦٥، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٥٦.

(٣) الملاحم و الفتن لنعيم بن حماد: ٩٥، عقد الدرر ١٤٥، برهان المتقى الهندي: ١٤١، الحاوي للفتاوى الحديثية: ٢/ ٧١، و كتاب اللوائح للسفاري: ٢/ ١١.

ص: ٢١٤

وقفه عند خطبتي إعلان الثورة

و يلاحظ في الخطبة الأولى تأكيده (عليه السلام) على مخاطبة أتباع جميع الديانات السماوية انطلاقا من عالمية ثورته الدينية فهو يمثل خط الانبياء (عليهم السلام) جميعا و يدعو الى الأهداف السامية التي نادوا بها جميعا . هذا أولا و ثانيا يؤكد (عليه السلام) على تمثيله لمدرسة الثقلين فهو ممثل أهل البيت (عليهم السلام) ثانيا الثقلين الذي لا يفترق عن الأول - أعنى القرآن المجيد - لذلك فهم أولى الناس بكتاب الله جل ذكره و أعرفهم بما فيه و بسبل هداية البشرية على نور هداه السماوى.

ثم يشير ثالثا الى مظلومية أهل البيت (عليهم السلام) و تعريضهم لأشكال الظلم و البغى بما أدى الى غيبة خاتمهم - عجل الله فرجه - و سبب تعريضهم لكل ذلك هو نزعات الطواغيت و عباد السلطة للاستئثار و اتخاذ مال الناس دولا و عباد الله خولا و منع أهل البيت (عليهم السلام) من إقرار العدالة الإلهية و قيادة الناس على المحجة البيضاء.

^{٣١٢} (٢) تفسير العياشي: ١/ 65، اختصاص الشيخ المفيد: 256.

^{٣١٣} (٣) الملاحم و الفتن لنعيم بن حماد: 95، عقد الدرر 145، برهان المتقى الهندي: 141، الحاوي للفتاوى الحديثية: 2/ 71، و كتاب اللوائح للسفاري: 2/ 11.

ثم يستنصر كل م سلم لدفع هذه المظلومية التي يكون في دفعها الخير للبشرية جمعاء لأن تسليم مقاليد الأمور الى ممثل نهج الأنبياء و عدل القرآن الكريم يعنى تحقيق أهداف العدالة الإلهية، و لكن - عجل الله فرجه - يستنصر الله جل قدرته أولاً و فى ذلك إشارة الى حتمية انتصار ثورته الإصلاحية فهو المضطر الذى تستجاب دعوته و ولى دم المقتول ظلماً فهو منصور إلهياً، و بهذه الإشارة يحفز (عليه السلام) الناس لنصرته ليفوزوا بسعادة الدارين و يتقوا عذاب الدنيا و خزيتها على يديه و عذاب الآخرة أكبر.

ص: ٢١٥

إعلان أهداف الثورة

أما فى الخطبة الثانية التى يلقيها - عجل الله فرجه - بعد صلاة العشاء، فهو يحدد الأهداف العامة لثورته، و هى الأهداف التى يستنصر الناس لأجلها، و التى تمثل الوجه الآخر للتأثر لمظلومية أهل البيت و مدرستهم و منهجهم (عليهم السلام)، فهو يحدد الهدف الأول و العام المتمثل باقامة التوحيد الخالص الذى بعث لأجله الأنبياء - صلوات الله عليهم - و انزلت معهم الكتب السماوية، و هو الهدف الذى يتجسد من خلال طاعة الله تبارك و تعالى و طاعة رسوله (صلى الله عليه و آله) و من خلال إحياء ما أحيا القرآن، و إحياء سنة رسول الله (صلى الله عليه و آله)، و إماتة ما أماته القرآن و هو الباطل و البدع و الشرك و سائر العبوديات الزائفة.

فدعوته هى دعوة الى الله عز و جل و توحيده و الى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و العمل بسنته الموصلة الى الله.

و عليه يتضح أن استنصاره للتأثر لمظلومية أهل بيت النبوة تعنى الدعوة الى المعونة على الهدف و المؤازرة على التقوى.

الاستجابة لاستنصاره و مبايعته

و أول من يبادر لبيعته (عليه السلام) فى المكان الذى يستنصر فيه المسلمين أى ما بين الركن و المقام هم صفوة أنصاره : «فبإيع ما بين الركن و المقام ثلاثمائة و نيف، عدّة أهل بدر، فيهم النجيلة من أهل مصر و الأبدال من أهل الشام و الأخيار من أهل العراق»^{٣١٤}.

و يستفاد من مجموعة من الأحاديث المروية فى مصادر أهل السنة أن

(١) غيبة الطوسي: ٢٨٤، و عنه فى بحار الأنوار: ٣٣٤ / ٥٢، و اثبات الهداة: ٥١٧ / ٣، ٥١٨.

ص: ٢١٦

ظهوره و مبايعته يكون بعد اختلاف بين قبائل الحجاز و أنه يرفض فى البداية قبول البيعة و يخاطب المبايعين بالقول : «ويحكم! كم عهد قد نقضتموه؟ و كم دم قد سفكتموه؟»^{٣١٥}، و يبدو أن هذا الرفض يمثل محاولة لإشعار المبايعين

^{٣١٤} (١) غيبة الطوسي: 284، و عنه فى بحار الأنوار: 334 / 52، و اثبات الهداة: 517 / 3، 518.

بمسؤولية و تبعات البيعة و المهمة التي هم مقبلون عليها نظير ما فعله جدّه الإمام على (عليهما السّلام) عند إقبال الناس على بيعته بعد مقتل عثمان.

و يستفاد من بعض الأحاديث أن حركة الموطئة للظهور المهدوي تبعت بالبيعة للمهدي (عليه السّلام). و هو في مكة^{٣١٦} ثم تجددتها بعد ذلك.

و تصرّح بعض الأحاديث الشريفة أن أصحابه الخاصين أي الثلاثمائة و الثلاثة عشر يجمعون في مكة و بصورة إعجازية أو سريعة بوسائل النقل المتطورة ليدركوا ظهور الإمام و يبايعوه^{٣١٧}.

خروجه الى الكوفة و تصفية الجبهة الداخلية

يخرج (عليه السّلام) بجيشه متوجها للكوفة التي يتخذها منطلقا لتحركه العسكري^{٣١٨} بعد إنهاء فتنة السفيناني و الخسف الذي يقع بجيشه في البيداء^{٣١٩}.

(١) مستدرک الحاكم: ٥٠٣ / ٤، القول المختصر لابن حجر : ١٨، برهان المتقي الهندي : ١٤٣، عقد الدرر : ١٠٩، معجم أحاديث الإمام المهدى (عليه السّلام): ١ / ٤٤٩.

(٢) فتن ابن حماد: ٨٣-٨٤، الحاوي للفتاوى: ٦٧ / ٢، البرهان: ١١٨.

(٣) غيبة النعماني: ٣١٥، اثبات الهداة: ٣ / ٤٥٣.

(٤) بحار الأنوار: ٣٠٨ / ٥٢، إثبات الهداة: ٣ / ٥٨٣، ٥٢٧، ٤٩٣.

(٥) تفسير الطبري، ٢٢: ٧٢، تذكرة القرطبي: ٢ / ٦٩٣، سنن الدارمي: ١٠٤، مسند أحمد: ٦ / ٢٩٠، صحيح مسلم: ٤ / ٢٢٠٨، سنن أبي داود: ٤ / ١٠٨، سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣٥١، سنن الترمذي: ٤ / ٤٠٧، تاريخ البخاري: ٥ / ١١٨، سنن النسائي: ٥ / ٢٠٧. و أحاديث الخسف بجيش السفيناني كثيرة مروية في الصحاح و غيرها و من طرق أهل البيت (عليهم السّلام) أيضا.

ص: ٢١٧

و ينشر راية رسول الله (صلّى الله عليه و آله) المذخورة عنده في نجف الكوفة^{٣٢٠}.

^{٣١٥} (١) مستدرک الحاكم: ٥٠٣ / ٤، القول المختصر لابن حجر : ١٨، برهان المتقي الهندي : ١٤٣، عقد الدرر : ١٠٩، معجم أحاديث الإمام المهدى (عليه السّلام): ١ / ٤٤٩.

^{٣١٦} (٢) فتن ابن حماد: ٨٣-٨٤، الحاوي للفتاوى: ٦٧ / ٢، البرهان: ١١٨.

^{٣١٧} (٣) غيبة النعماني: ٣١٥، اثبات الهداة: ٣ / ٤٥٣.

^{٣١٨} (٤) بحار الأنوار: ٣٠٨ / ٥٢، إثبات الهداة: ٣ / ٥٨٣، ٥٢٧، ٤٩٣.

^{٣١٩} (٥) تفسير الطبري، ٢٢: ٧٢، تذكرة القرطبي: ٢ / ٦٩٣، سنن الدارمي: ١٠٤، مسند أحمد: ٦ / ٢٩٠، صحيح مسلم: ٤ / ٢٢٠٨، سنن أبي داود: ٤ / ١٠٨، سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣٥١، سنن الترمذي: ٤ / ٤٠٧، تاريخ البخاري: ٥ / ١١٨، سنن النسائي: ٥ / ٢٠٧. و أحاديث الخسف بجيش السفيناني كثيرة مروية في الصحاح و غيرها و من طرق أهل البيت (عليهم السّلام) أيضا.

و تنصره الملائكة التي نصرت جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معركة بدر^{٣٢١}. و تذكر الأحاديث الشريفة أنه يواجه وأصحابه و جيشه صعوبات شديدة و تعباً في بداية تحركه العسكري^{٣٢٢} و حروبه التي تستمر ثمانية أشهر لتصفية الجبهة الداخلية فيما تستمر ملاحمه عشرين عاماً^{٣٢٣}.

و يلاحظ هنا أن المسير الذي يختاره (عليه السلام) هو المسير الذي اختاره جده الإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته الإستشهادية من مكة إلى الكوفة، التي منع جده سيد الشهداء عن الوصول إليها فيصل سليله المهدي (عليه السلام) إليها و يحقق الأهداف الإصلاحية في الأمة المحمدية التي سعى لها جده سيد الشهداء (عليه السلام).

و عند ما يدخل الكوفة يجد فيها ثلاث رايات تضطرب^{٣٢٤} فيوحدها و ينهي اضطرابها بنشره للراية المحمدية المذخورة و ينهي جيوب النفاق المتبقية فيها في معركته مع الفرقة التي تصفها الأحاديث الشريفة بالبترية^{٣٢٥}.

دخوله بيت المقدس و نزول عيسى (عليه السلام)

تنص الكثير من الروايات على دخوله (عليه السلام) بيت المقدس بجيشه ضمن إطار حادثة مهمة للغاية، هي نزول نبي الله عيسى بن مريم المسيح (عليه السلام) الذي بشرت بعودته نصوص الانجيل إضافة إلى الأحاديث الشريفة المروية في

(١) تفسير العياشي: ١/ ١٠٣، غيبة النعماني: ٣٠٨، كمال الدين: ٦٧٢.

(٢) تفسير العياشي: ١/ ١٩٧، إثبات الهداة: ٣/ ٥٤٩.

(٣) غيبة النعماني: ٢٩٧.

(٤) إثبات الهداة: ٣/ ٤٦٩ بالنسبة للمدة الأولى، و تقول رواية لابن حماد: ١٢٧ أن ملاحمه تستمر عشرين سنة.

(٥) الارشاد: ٣٦٢، غيبة الطوسي: ٢٨٠.

(٦) دلائل الإمامة: ٢٤١، غيبة الطوسي: ٢٨٣.

ص: ٢١٨

الكتب الروائية الموثقة عند أهل السنة و الشيعة^{٣٢٦}. و تذكر الأحاديث الشريفة قصة صلاة عيسى صلاة الفجر خلف الإمام المهدي (عليه السلام) بعد أن يرفض عرض الإمام بأن يتقدم عيسى لإمامة الصلاة معللاً الرفض بأن هذه الصلاة اقيمت

^{٣٢٠} (1) تفسير العياشي: 1/ 103، غيبة النعماني: 308، كمال الدين: 672.

^{٣٢١} (2) تفسير العياشي: 1/ 197، إثبات الهداة: 3/ 549.

^{٣٢٢} (3) غيبة النعماني: 297.

^{٣٢٣} (4) إثبات الهداة: 3/ 469 بالنسبة للمدة الأولى، و تقول رواية لابن حماد: 127 أن ملاحمه تستمر عشرين سنة.

^{٣٢٤} (5) الارشاد: 362، غيبة الطوسي: 280.

^{٣٢٥} (6) دلائل الإمامة: 241، غيبة الطوسي: 283.

^{٣٢٦} (1) صحيح البخاري: 4/ 305، مسلم: 1/ 136، تاريخ البخاري: 7/ 233، سنن ابن ماجه: 2/ 1357، سنن الترمذي: 4/ 512، صحيح البخاري: 3/ 107، فتن ابن حماد: 103 و غيرها كثير مروية من طرق الفريقين

لأجل الإمام المهدي فيقدمه و يصلّي خلفه إشارة الى خاتمية الرسالة المحمدية، و في ذلك نصر ة مهمة للشورة المهدوية حيث توجّهها للعالم الغربي الذي يدين معظمه بالمسيحية.

و يظهر أن دخول المهدي - عجل الله فرجه - يكون بعد تحريرها من الإفساد اليهودي و إنهاء حاكميتهم عليها . لذا قد يكون من الممكن القول بأن دخول الإمام بيت المقدس يكون بعد تصفيته الجبهة الداخلية و مقدمة لمواجهة الأعداء خارج العالم الإسلامي أو الروم حسب تعبير الروايات و فتح كل الأرض . من هنا نفهم سر توقيت نزول عيسى المسيح مع دخول المهدي (عليه السلام) بيت المقدس.

قتل الدجال و إنهاء حاكمية الحضارات المادية

إنّ معظم الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن نزول عيسى (عليه السلام) تذكر قيامه بكسر الصليب و رجوع النصارى عن تأليهه^{٣٢٧} ثم قتل الدجال - الذي هو رمز الحضارات المادية - على يديه أو على يدى الامام المهدي بمعونته (عليهما السلام).

و مع رجوع النصارى عن تأليه عيسى (عليه السلام) و مشاهدتهم لمناصرة نبيهم لخ اتم أئمة الإسلام المعصومين تفتح أبواب دخولهم الإسلام - و هم النسبة الأكبر من سكان الأرض - بيسر، و نتيجة لذلك تيسر مهمة قتل الدجال

(١) صحيح البخارى: ٣٠٥ / ٤، مسلم: ١٣٦ / ١، تأريخ البخارى: ٢٣٣ / ٧، سنن ابن ماجه: ١٣٥٧ / ٢، سنن الترمذى: ٤ / ٥١٢، صحيح البخارى: ١٠٧ / ٣، فتن ابن حماد: ١٠٣ و غيرها كثير مرويّة من طرق الفريقين.

(٢) الدر المنثور للسيوطي: ٣٥٠ / ٢.

ص: ٢١٩

و القضاء على الحضارات الطاغوتية و فتح الأرض و إقامة الدولة الإسلامية العالمية العادلة و بدء عملية البناء الإصلاحي و تحقيق أهداف الأنبياء (عليهم السلام).

هذه - على نحو الإيجاز - المحطات الرئيسة لتحرك الإمام المهدي - عجل الله فرجه - بعد ظهوره، و كل منها يشتمل على تفاصيل كثيرة لا يسع المجال لذكرها . لذا ننتقل للحديث - و بالإيجاز نفسه - عن سيرته بعد ظهوره فى أبرز مجالاتها ثم عن خصائص عهده.

سيرته سيرة جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله)

تنص الأحاديث الشريفة أنه (عليه السلام) يسير بسيرة جده (صلّى الله عليه و آله) الذى قال:

^{٣٢٧} (٢) الدر المنثور للسيوطي: 350 / 2.

«بعثت بين جاهليتين لاخراهما شر من أولاهما»^{٣٢٨}، وبيّن لامته الكثير من مظاهر الجاهلية الثانية الأشد شرا، فالمهدى: «يصنع كما صنع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما كان قبله و يستأنف الإسلام جديدا»^{٣٢٩} وقد تحدث النبي (صلى الله عليه وآله) عن غربة الإسلام بعده و نقل عنه المسلمون ذلك^{٣٣٠}.

فالمهدى يهدم الجاهلية الثانية كما هدم جده (صلى الله عليه وآله) الجاهلية الأولى، و يستأنف الإسلام الذى عاد غريبا كما بدأ غريبا. و لكن ثمة فروقا بين السيرتين تفرضهما بعض الخصوصيات الزمانية لكل منها. و هذه الخصوصيات الزمانية هى التى تفسّر الفروق فى سيرتهما (عليهما السلام) كما سنلاحظ بعضها فى سياساته العسكرية و القضائية و الإدارية و الدينية و غيرها. و لهذا فلا يضر ذلك بحقيقة أن سيرتهما - صلوات الله عليهما - واحدة.

(١) أمالى الشجرى: ٧٧ / ٢.

(٢) غيبة النعماني: ٢٣٢، عقد الدرر للمقدسى الشافعى: ٢٢٧، تهذيب الأحكام: ١٥٤ / ٦.

(٣) مسند أحمد: ١ / ١٨٤، صحيح مسلم: ١ / ١٣٠، سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣١٩، الترمذى: ٥: ١٨.

ص: ٢٢٠

إحياء السنة و آثار النبي (صلى الله عليه وآله)

تقوم حركة المهدى الإصلاحية الكبرى على أساس إحياء السنة المحمدية و إقامتها التى يكون بها قوام كل القيم الإسلامية فهو كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «رجل من عترتى يقاتل على سنتى كما قاتلت أنا على الوحى»^{٣٣١} و هو «يقفو أثرى لا يخطئ»^{٣٣٢} و هو «رجل منى اسمه كاسمى يحفظنى الله فيه و يعمل بسنتى»^{٣٣٣}، فهو «يبين آثار النبى»^{٣٣٤}، و يدعو الناس الى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله). فهو مجددها كما أنه مجدد الإسلام و يظهر ما خفى و اخفى منها. و قد سمي «المهدى» لأنه يهدى الناس الى «أمر قد دثر و ضل عنه الجمهور»^{٣٣٥}.

شدته مع نفسه و رأفته بامته

إن سيرة الإمام المهدى (عليه السلام) مع نفسه و امته تجسد ص ورة الحاكم الإسلامى المثالى الذى تكون السلطة عنده وسيلة لخدمة الناس و هدايتهم لا مصدرا للدخل الوفير و الظلم و الاستئثار بالأموال و استعباد الناس، فهو يحيى صورة

^{٣٢٨} (١) أمالى الشجرى: ٧٧ / ٢.

^{٣٢٩} (٢) غيبة النعماني: ٢٣٢، عقد الدرر للمقدسى الشافعى: ٢٢٧، تهذيب الأحكام: ١٥٤ / ٦.

^{٣٣٠} (٣) مسند أحمد: ١ / ١٨٤، صحيح مسلم: ١ / ١٣٠، سنن ابن ماجه: ٢ / ١٣١٩، الترمذى: ٥: ١٨.

^{٣٣١} (١) فتن ابن حماد: ١٠٢، القول المختصر لابن حجر: ٧، برهان المتقى: ٩٥.

^{٣٣٢} (٢) القول المختصر: ١٠، الفتوحات المكية لابن عربى: ٣ / ٣٣٢.

^{٣٣٣} (٣) إثبات الهداة: ٣ / ٤٩٨.

^{٣٣٤} (٤) إثبات الهداة: ٣ / ٤٥٤.

^{٣٣٥} (٥) سنن الدارمي: ١٠١، فتن ابن حماد: ٩٨، عقد الدرر: ٤٠، إثبات الهداة: ٣ / ٥٢٧.

الحاكم الإسلامي التي جسدها من قبل - و بأسمى صورها - أبواه، و من قبل رسول الله و وصيه الإمام علي - صلوات الله عليهما و آلهما - فهو مع نفسه:

«مالباسه إلّا الغليظ و ما طعامه إلّا الشعير الجشب»^{٣٣٦} و هو الذي «يكون من الله على حذر، لا يضع حجرا على حجر، و لا يقرع أحدا في ولايته بسوط إلّا في

(١) فتن ابن حماد: ١٠٢، القول المختصر لابن حجر: ٧، برهان المتقي: ٩٥.

(٢) القول المختصر: ١٠، الفتوحات المكية لابن عربي: ٣ / ٣٣٢.

(٣) إثبات الهداة: ٣ / ٤٩٨.

(٤) إثبات الهداة: ٣ / ٤٥٤.

(٥) سنن الدارمي: ١٠١، فتن ابن حماد: ٩٨، عقد الدرر: ٤٠، إثبات الهداة: ٣ / ٥٢٧.

(٦) راجع الكافي: ١ / ٤١١، إثبات الهداة: ٣ / ٥١٥.

ص: ٢٢١

حد»^{٣٣٧}، أما مع امته فهو «الرؤوف الرحيم» بهم و هو الموصوف بأنه «المهدي كأنما يعلق المساكين الزبد»^{٣٣٨}، و هو الصدر الرحب الذي تجد فيه الأمة ملاذها المنقذ فهي: «تأوى إليه امته كما تأوى النحلة الى يعسوبها»^{٣٣٩} أو «كما تأوى النحل الى بيوتها»^{٣٤٠}.

سيرته القضائية

و المهدي الموعود - عجل الله فرجه - هو الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا كما تواترت بذلك الأحاديث النبوية، و إنجاز هذه المهمة يحتاج الى سيرة قضائية صارمة، لذلك فهو يجسد سيرة جده الإمام علي (عليه السلام) الشديدة في تتبع حقوق الناس المغصوبة و أخذها من الغاصب حتى لو كانت مخبأة تحت ضرس و حتى لو تزوج بها الحرائر، و: «يبلغ من ردّ المهدي المظالم، حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يردّه»^{٣٤١}.

فيبلغ من عدله أن «تتمنى الأحياء الأموات»^{٣٤٢} أي يتمنوا عودة الأموات لينعموا ببركات عدله.

^{٣٣٦} (٦) راجع الكافي: ١ / 411، إثبات الهداة: 3 / 515.

^{٣٣٧} (١) ملاحم ابن طاووس: 132.

^{٣٣٨} (٢) فتن ابن حماد: 98، عقد الدرر: 227.

^{٣٣٩} (٣) ابن حماد: 99، الحاوي للسيوطي: 2 / 77.

^{٣٤٠} (٤) برهان المتقي الهندي: 78.

^{٣٤١} (٥) ابن حماد: 98، الحاوي: 2 / 83، القول المختصر: 25، عقد الدرر: 36.

^{٣٤٢} (٦) ابن حماد: 99، القول المختصر: 5.

و تذكر مجموعة من الأحاديث الشريفة أنه (عليه السلام) يحكم بحكم سليمان و داود في قضائه؛ أى بالعلم «اللدني» دون الاحتجاج بالبيئة^{٣٤٣}، و لعل ذلك انطلاقاً من مهمته في اقرار العدل الحقيقي دون الظاهري الذي قد تفرّقه البيئة

(١) ملاحم ابن طاووس: ١٣٢.

(٢) فتن ابن حماد: ٩٨، عقد الدرر: ٢٢٧.

(٣) ابن حماد: ٩٩، الحاوي للسيوطي: ٧٧ / ٢.

(٤) برهان المتقي الهندي: ٧٨.

(٥) ابن حماد: ٩٨، الحاوي: ٨٣ / ٢، القول المختصر: ٢٥، عقد الدرر: ٣٦.

(٦) ابن حماد: ٩٩، القول المختصر: ٥.

(٧) الكافي: ٣٩٧ / ١، إثبات الهداة: ٤٤٧ / ٣.

ص: ٢٢٢

الظاهرية و إن كان خلاف العدل الحقيقي و هذه حقيقة معروفة و قد شهدا التاريخ الإسلامي و الانساني و يشهد التاريخ المعاصر الكثير من مصاديقها حيث يؤدي الالتزام بالبينات الظاهرية الى غياب العدل الحقيقي و إن أقرت العدل الظاهري . و على أى حال. فهذه من خصوصيات عهده (عليه السلام) و هى تتسجم مع طبيعة الأوضاع العامة لهذا العهد.

سيرته تجاه الأديان و المذاهب

يزيل الإمام المهدي الموعود- عجل الله فرجه - مظاهر الشرك كافة و يروج التوحيد الخالص: «و لا يبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله إلّا عبد الله فيها و يكون الدين كله لله و لو كرّه المشركون»^{٣٤٤}، و يقوم (عليه السلام) بعرض الإيمان على الجميع و ينهى الحالة المذهبية فيوحد المذاهب الإسلامية و يصلح الله به أمر الأمة و يرفع اختلافها و يؤلف قلوبها^{٣٤٥} على أساس السنة النبوية النقية و ما اخفى أو ضيع من قيم الإسلام م الأصلية. فهو كما قال جدّه (صلّى الله عليه و آله): «سنته سنتي يقيم الناس على ملتي و شريعتي»^{٣٤٦}.

^{٣٤٣} (٧) الكافي: 1 / 397، إثبات الهداة: 3 / 447.

^{٣٤٤} (١) إثبات الهداة: 2 / 410.

^{٣٤٥} (٢) ابن حماد: 102، الطبراني الأوسط: 1 / 136.

^{٣٤٦} (٣) كمال الدين: 411.

و يستفاد من بعض الروايات أنه (عليه السلام) يقوم بإخراج التوراة و الإنجيل غير المحرّفين من غار بأنطاكية و يحتاج اليهود و النصارى بهما و يستخرج حلى بيت المقدس و مائدة سليمان و يردّها الى بيت المقدس^{٣٤٧} ، و يدعمه فى موقفه هذا عيسى (عليه السلام) الذى «يحتج به على نصارى الروم و الصين»^{٣٤٨} حيث

(١) إثبات الهداة: ٢ / ٤١٠.

(٢) ابن حماد: ١٠٢، الطبرانى الأوسط: ١ / ١٣٦.

(٣) كمال الدين: ٤١١.

(٤) ابن حماد، ٩٨، سنن الدانى: ١٠١، الحاوى للسيوطى: ٢ / ٧٥، لوائح السفاريني: ٢ / ٢ تاريخ بغداد: ٩ / ٤٧١، عقد الدرر: ١٤١.

(٥) غيبة النعماني: ١٤٦.

ص: ٢٢٣

يرفض وفود اليهود و النصارى بعد نزوله عند ما يأتونه مدعين أنهم أصحابه فيردهم و يصرّح بأن أصحابه هم المسلمون فيضم الى مجمع المهدي (عليه السلام)^{٣٤٩} الأمر الذى يؤدى الى رجوع النصارى عن تأليهه كما يقوم بأداء فريضة الحج الى البيت الحرام^{٣٥٠} و يدفن الى جنب رسول الله (صلّى الله عليه و آله)^{٣٥١}.

و تذكر بعض الروايات أن المهدي (عليه السلام) يخرج التوراة الأصلية من جبال بالشام و يحتاج اليهود بها فيسلم منهم جماعة كثيرة^{٣٥٢} ثم يستخرج تابوت السكينة من بحيرة طبرية و يوضع بين يديه فى بيت المقدس فيسلم اليهود و لا يبقى على العناد إلا القليل منهم^{٣٥٣}.

محاربة البدع و نفى تحريف الغالين و المبطلين

و ينفى الإمام المهدي - عجل الله فرجه - عن الدين التحريفات بصورة كاملة و يزيل كل البدع التى ورثها المسلمون من قرون الابتعاد عن الثقلين و السنة النبوية النقية و تعطيلها و هذا هو هدف ظهوره: «ليمحو الله به البدع كلها و يميت به الفتن كلها، يفتح الله به باب كل حقّ، و يغلق به كل باب باطل»^{٣٥٤}.

^{٣٤٧} (٤) ابن حماد، 98، سنن الدانى: 101، الحاوي للسيوطي: 2 / 75، لوائح السفاريني: 2 / 2 تاريخ بغداد: 9 / 471، عقد الدرر: 141.

^{٣٤٨} (5) غيبة النعماني: 146.

^{٣٤٩} (1) تاريخ البخاري: 7 / 233، مسلم: 4 / 2253، ابن ماجه: 2 / 1357، الترمذي: 4 / 512.

^{٣٥٠} (2) مسند أحمد: 2 / 240، صحيح مسلم: 2 / 915، مستدرک الحاكم: 2 / 595.

^{٣٥١} (3) تاريخ البخاري: 1 / 263، الترمذي: 5 / 588.

^{٣٥٢} (4) ابن حماد: 98، بنابيع المودة للقدوزي: 3 / 344.

^{٣٥٣} (5) ابن حماد: 99-100، عقد الدرر: 147، القول المختصر: 24.

^{٣٥٤} (6) ملاحم السيد ابن طاووس: 32.

و هذا أول ما يبدأ به (عليه السّلام)، فتذكر الأحاديث الشريفة من مصاديقه هدم المقاصير التي ابتدعها بنو أمية في المساجد لعزل الإمام عن المؤمنين^{٣٥٥}،

(١) تاريخ البخاري: ٢٣٣ / ٧، مسلم: ٢٢٥٣ / ٤، ابن ماجه: ١٣٥٧ / ٢، الترمذي: ٥١٢ / ٤.

(٢) مسند أحمد: ٢ / ٢٤٠، صحيح مسلم: ٩١٥ / ٢، مستدرک الحاكم: ٥٩٥ / ٢.

(٣) تاريخ البخاري: ٢٤٣ / ١، الترمذي: ٥٨٨ / ٥.

(٤) ابن حماد: ٩٨، ينابيع المودة للقندوزي: ٣ / ٣٤٤.

(٥) ابن حماد: ٩٩ - ١٠٠، عقد الدرر: ١٤٧، القول المختصر: ٢٤.

(٦) ملاحم السيد ابن طاووس: ٣٢.

(٧) اثبات الهداء: ٣ / ٥٠٦.

ص: ٢٢٤

و يعيد مقام ابراهيم (عليه السّلام) الى موضعه الأصلي^{٣٥٦} و يزيل عن المساجد كل ما ابتدع فيها و يعيدها الى السنة الإسلامية الأولى و الطريقة المحمدية^{٣٥٧}.

سيرته الادارية

و يختار المهدي الموعود - عجل الله فرجه - لحكم الأرض ولاءهم خيرة أصحابه الذين يتحلّون بأعلى كفاءات الوالى الإسلامى من العلم و الفقه و الشجاعة و النزاهة و الإخلاص^{٣٥٨}، و هو مع ذلك متابع لأموالهم و طريقة قيامهم بمهامهم و يحاسبهم بشدة فإن: «علامة المهدي أن يكون شديدا على العمال جوادا بالمال رحيمًا بالمساكين»^{٣٥٩}، و فى عهده: «يزاد المحسن فى إحسانه و يتاب على المسيء»^{٣٦٠}.

و هو (عليه السّلام) شديد مع المتاجرين بالدين و المقدسات الإسلامية الساعين لإضلال الناس، يردعهم عن ذلك، و ممّا يقوم به فى بدايات ظهوره هو قطع أيدي سدة الكعبة بسبب ذلك و يفضحهم أمام الناس لكى لا ينخدعوا بهم؛ إذ هم «سراق الله»^{٣٦١}.

^{٣٥٥} (٧) اثبات الهداء: 3 / 506.

^{٣٥٦} (١) اثبات الهداء: 527.

^{٣٥٧} (٢) اثبات الهداء: 516 - 517.

^{٣٥٨} (٣) إثبات الهداء: 3 / 494.

^{٣٥٩} (٤) مسند ابن أبي شيبة: 15 / 199، سنن الدارمي: 101، حاي السيوطي: 2 / 77.

^{٣٦٠} (٥) مسند ابن أبي شيبة: 15 / 199، سنن الدارمي: 101، حاي السيوطي: 2 / 77.

^{٣٦١} (٦) إثبات الهداء: 3 / 449، 455.

و يقوم الإمام المنتظر - عجل الله فرجه - بالسيف، فظهوره يكون بعد إتمام الحجة البالغة و اتضاح الحقائق بالكامل و فتح أبواب الحق و إغلاق الباطل

(١) اثبات الهداء: ٥٢٧.

(٢) اثبات الهداء: ٥١٦ - ٥١٧.

(٣) إثبات الهداء: ٣ / ٤٩٤.

(٤) مسند ابن أبي شيبه: ١٥ / ١٩٩، سنن الدارمي: ١٠١، حاوى السيوطي: ٢ / ٧٧.

(٥) مسند ابن أبي شيبه: ١٥ / ١٩٩، سنن الدارمي: ١٠١، حاوى السيوطي: ٢ / ٧٧.

(٦) إثبات الهداء: ٣ / ٤٢٩، ٤٥٥.

ص: ٢٢٥

٣٦٢

و وقوع المعجزات و الكرامات المبرهنه على تمتعه بالتأييد الإلهي و نصره الملائكة البدرين له و امتلاكه قميص يوسف و عصا موسى و حجره و خاتم سليمان و درع رسول الله (صلى الله عليه و آله) و سيفه و رايته و سائر موارث الأنبياء (عليهم السلام) و إظهاره لها^{٣٦٣} و إتضاح تمثيله الصادق لمنهجهم و سعيه لتحقيق أهدافهم الإلهية و إقرار العدالة السماوية . و مع اتضاح كل ذلك لا يبقى على الباطل إلّا المنحرفون المفسدون الذين لا يرجي منهم إلّا الفساد و الأذى و الظلم الذى يجب أن تظهر منه الدولة المهديّة، لذلك نلاحظ في سيرة الإمام ام الجهادية الصرامة و الحزم و الحدية في التعامل مع الظالمين و المنحرفين فلا يبقى على الأرض منهم ديار و لا يسمح لهم بالنشاط الإفسادي.

على أن الأحاديث الشريفة تصرّح بأن المهدي المنتظر - عجل الله فرجه - يسير بسيرة أبويه رسول الله و وصيه الإمام على - صلوات الله عليهما و آلهما - في مجاهدة المنحرفين و المبطلين فلا يبدأ القتال إلّا بعد عرض الإيمان و الدين الحق عليهم^{٣٦٤} و محاجبتهم بما ألزموا به أنفسهم كما رأينا في قضية إخراج التوراة و الإنجيل و هذه قضية أخرى مهمة في سيرته الجهادية (عليه السلام).

^{٣٦٢} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 هـ.ق.

^{٣٦٣} (1) إثبات الهداء: 439- 440، 494، 478، 487، و راجع عقد الدرر: 135، الفصول المهمة: 298، كفاية الأثر:

147، ابن حماد: 98، القول المختصر: 34، برهان المتقي: 152.

^{٣٦٤} (2) الكافي: 8 / 227 و عنه في إثبات الهداء: 3 / 450.

و يستفاد من الروايات الشريفة أن من سيرته الجهادية تصفية الجبهة الداخلية و هي جبهة العالم الإسلامي من التيارات المحاربة المنحرفة أولاً قبل البدء بمجاهدة القوى الأجنبية، فينهى حركة السفيناني و نفوذ البتريّة و المتأولة الجاهليين و النواصب المضلين المعاندين^{٣٦٥} و يعقد لأجل ذلك هدنة مع الروم

(١) إثبات الهداة: ٤٣٩ - ٤٤٠، ٤٩٤، ٤٧٨، ٤٨٧، و راجع عقد الدرر: ١٣٥، الفصول المهمة: ٢٩٨، كفاية الأثر:

١٤٧، ابن حماد: ٩٨، القول المختصر: ٣٤، برهان المتقى: ١٥٢.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٢٧ و عنه في إثبات الهداة: ٣ / ٤٥٠.

(٣) الإرشاد: ٢ / ٣٨٤ و عنه في بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٨٤ و عنه في اثبات الهداة: ٣ / ٥٤٤.

ص: ٢٢٤

قبل ان يتوجه لمجاهدة اليهود ثم الروم و قتل الدجال و فتح الأرض كلّها . بل و يعتمد قبل البدء بتصفية الجبهة الداخلية بتنظيم صفوف جيشه و يعين القادة العسكريين الأكفاء و يعقد ل هم الأولوية و يذهب بالعاهات و الضعف عن أنصاره و يقوّ قلوبهم^{٣٦٦} و يملأها إيماناً بالحق الذي يجاهدون من أجله و يبتليهم و يحصهم^{٣٦٧}، لكي يتحرك لانجاز مهمته الإصلاحية الكبرى بجيش عقائدي قوى و منسجم يتحلى بالكفاءة القتالية المطلوبة و القوة المعنوية اللازمة.

سيرته المالية

يعيد المهدي الموعود - عجل الله فرجه - نظام «التسوية في العطاء»^{٣٦٨} الذي كان سائدا على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم غيّر و بدّل من بعده و أبدعت بدله معايير جديدة أحدثت نظام التفاضل الطبقي بالتدريج بالرغم من التزام الوصي الإمام علي (عليه السلام) إبان خلافته بنظام التسوية في العطاء و تابعه على ذلك ابنه الحسن (عليه السلام) في شهور خلافته القليلة لكنه قد غاب بالكامل بعد استشهادهما، و بدأ بنو أمية بالاستئثار بأموال المسلمين و تقييد العطاء من بيت المال بمصالحهم السياسية و تحويله من عطاء شرعي الى رشاو مقيتة يستجلبون بها الأنصار لهم على الباطل أو يشتررون به سكوت البعض عن الحق.

و المهدي المنتظر (عليه السلام) يجعل بيت المال قسمة مشتركة بين المسلمين دونما تفاضل أو تمييز، فالجميع متساوون في الانتفاع من النعم الإلهية و الخدمات المستثمرة من الأموال العامة، تطبيقاً لأحد أبعاد العدالة المحمدية المكلف باقرارها . و تصرح الأحاديث الشريفة بأنه ينهي الحالة الإقطاعية

^{٣٦٥} (٣) الإرشاد: ٢ / 384 و عنه في بحار الأنوار: 52 / 386 و عنه في اثبات الهداة: 3 / 544.

^{٣٦٦} (١) إثبات الهداة: 71.

^{٣٦٧} (٢) الكافي: 8 / 167، كمال الدين: 672.

^{٣٦٨} (٣) مسند أحمد: 3 / 37، ملاحم ابن المنادي: 42، ميزان الاعتدال: 3 / 97.

(١) اثبات الهداء: ٧١.

(٢) الكافي: ٨ / ١٦٧، كمال الدين: ٦٧٢.

(٣) مسند أحمد: ٣ / ٣٧، ملاحم ابن المنادي: ٤٢، ميزان الاعتدال: ٣ / ٩٧.

ص: ٢٢٧

حسب النص القائل: «إذا قام قائمنا اضمحلت القطائع فلا قطائع»^{٣٦٩}، و المقصود بها الأراضي الزراعية أو غيرها من الثروات و المنافع التي يعطيها الحكام للمقرّبين منهم و قد راجت هذه الظاهرة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه و آله) و خاصة في عهد الخليفة الثالث و في العصر الأموي بشكل خاص.

و تتحدث الكثير من الأحاديث عن كثرة عطائه (عليه السلام) و تعتبرها علامة مميزة له فهو: «يحثو المال حثوا»^{٣٧٠} عند ما يعطى من سأل، و هذا و إن كان يشير الى كرمه و كثرة الخيرات و البركات في عصره إلّا أنها تفصح عن نقطة مهمة أخرى في سيرته الاقتصادية (عليه السلام) و هي سيرة إغناء الناس بم ا يكفيهم و يغنيهم و يجعلهم في رفاهية من العيش بحيث يتفرغوا الى الطاعات و العبادة و العمل الإصلاحى الفردى و الاجتماعى.

و عليه يتضح أن سيرته في المجال المالى ترتبط بمهمته الإصلاحية و إقامة المجتمع التوحيدي الخالص في تعبد لله تبارك و تعالى فالمراد منها توفير متطلبات ذلك و إزالة العقبات الصادة عنه.

الصورة العامة للدولة المهدوية في النصوص الشرعية

و نصل الآن الى خاتمة هذا الفصل فنعرض فيها على نحو الإجمال أيضا الصورة التي ترسمها النصوص الشرعية لدولة المهدي الموعود، عجل الله فرجه.

إنّ الدولة المهدوية إنّما تأتى لتحسم عصر المعاناة الذي عاشته البشرية طويلا و تنهى الظلم و الجور الذي ملأ الأرض نتيجة لحكم الطواغيت و حاكمية

(١) قرب الإسناد للحميري: ٣٩.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٨٠.

ص: ٢٢٨

^{٣٦٩} (١) قرب الإسناد للحميري: 39.
^{٣٧٠} (2) مسند أحمد: 3 / 80.

الأهواء و الشهوات و النزعات المادية و بظهور الإمام المهدي المنتظر على مدى القرون . «يفرج الله عن الأمة فطوبى لمن أدرك زمانه»^{٣٧١}. فالله تبارك و تعالى يحقق للأمة المسلمة؛ و لبنى الانسان عامة؛ كل الطموحات الفطرية السليمة، و يزيل الشر و يقيم المجتمع الموحد العابد الأمر بالمعروف و الناهي عن المنكر و المسارع للخيرات السائر في منازل الكمال و معارج النور.

و تخرج الأرض بركاتها و كذلك السماء، و ما يحصل عليه الناس ليس هو الغنى المادى فحسب بل هو «الاستغناء» حيث «يملا الله قلوب امة محمد (صلى الله عليه و آله) غنى و يسعهم عدله»^{٣٧٢} أى يحررهم من أسر المتطلبات و الحاجات المادية المعيشية المحدودة، فالمهدي المنتظر الذى يحرر المسلمين من ذل التبعية للضالين و المنحرفين، كما صرح به النص القائل: «و به يخرج ذل الرق من أعناقكم»^{٣٧٣}؛ يحرر البشرية من ذل الحياة البهيمية و الخضوع لأسر الشهوات و يفتح أمام الانسان جميع أبواب التكامل و ال رقى المعنوى و التكامل الروحى فيشهد عصره تطورا فكريا و روحيا عاليا كما يشير لذلك الإمام الباقر (عليه السلام) حيث يقول: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم و كملت به أحلامهم»^{٣٧٤}، و مما يساعد على ذلك - إضافة الى العامل المهم و الرئيسى المتقدم - عامل ثانوى هو التطور الهائل الذى يشهده عصره خاصة فى مجال الاتصالات و الذى نرى بوادره اليوم طبق القوانين العلمية أيضا كما يشير الى ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: «إن قائمنا إذا قام مد الله عز و جل لشيعتنا فى

(١) إثبات الهداة: ٣ / ٥٠٤.

(٢) مسند أحمد: ٣ / ٣٧.

(٣) الغيبة للطوسي: ١٨٥، ح ١٤٤.

(٤) إثبات الهداة: ٣ / ٤٤٨، الكافي: ١ / ٢٥، كمال الدين: ٦٧٥.

ص: ٢٢٩

أسماعهم و أبصارهم حتى لا يكون بينهم و بين القائم برید؛ يكلمهم فيسمعون و ينظرون إليه و هو فى مكانه «^{٣٧٥}، و لعل ذلك يكون بوسائل غيبية تمكنهم منها المراتب الروحية السامية التى يصلون إليها و إن كان ذلك قد أصبح ممكنا بدرجة محدودة اليوم أيضا عبر وسائل الاتصال الحديثة المتطورة، و لكن من المؤكد - استنادا للأحاديث الشريفة - أن الكثير من الحقائق و القضايا الغيبية تظهر فى عصر الدولة المهدي و يحظى الكثير من المؤمنين بمراتب عالية من معرفة أسرار الغيب و علم الكتاب و تجاوز الأسباب و القوانين الطبيعية و الكثير من الظواهر التى نعتبرها اليوم من المعجزات غير المألوفة»^{٣٧٦}.

^{٣٧١} (١) إثبات الهداة: 3 / 504.

^{٣٧٢} (٢) مسند أحمد: 3 / 37.

^{٣٧٣} (٣) الغيبة للطوسي: 185، ح 144.

^{٣٧٤} (٤) إثبات الهداة: 3 / 448، الكافي: 1 / 25، كمال الدين: 675.

^{٣٧٥} (١) إثبات الهداة: 3 / 450 - 451.

^{٣٧٦} (٢) راجع مثلا كمال الدين: 654.

و مع توفير الدولة المهدوية لجميع عوامل التكامل المادى و الروحى يقام المجتمع الموحد الذى يعبد الله تبارك و تعالى بإخلاص فتسود العلاقات الإيمانية المحضة و تحكمه قيم من قبيل البراءة ممن «كان بالرهن أوثق منه بأخيه المؤمن» و مثل أن «ريح المؤمن على المؤمن ربا»^{٣٧٧} فحتى العمل التجارى يكون يومئذ عبادة خالصة لله عز و ج ل إذ يكون بهدف خدمة عباد الله فقط.

يقول الإمام على (عليه السلام) ضمن حديث فى وصف جامع لدولة الإمام المهدي العالمية : «... يؤيده الله بملائكته و يعصم أنصاره و ينصره بآياته و يظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعا و كرها، و يملأ الأرض عدلا و قسطا و نورا و بره انا، يدين له عرض البلاد و طولها حتى لا يبقى كافر إلّا آمن و لا طالح إلّا صلح و يصطليح فى ملكه السباع و تخرج الأرض بركاتهما و تنزل السماء بركتها و تظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين

(١) إثبات الهداة: ٣ / ٤٥٠ - ٤٥١.

(٢) راجع مثلا كمال الدين: ٦٥٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ٣ / ٣١٣، تهذيب الأحكام: ٧ / ١٧٨.

ص: ٢٣٠

عاما، فطوبى لمن أدرك أيامه و سمع كلامه»^{٣٧٨}، أجل فى ظل دولة المهدي المنتظر - عجل الله فرجه - يتضح للعالمين أن صلاح البشرية و خيرها و تكاملها المادى و المعنوى إنما يتحقق فى ظل رسالة السماء و على يدى أولياء الله المعصومين - سلام الله عليهم - و هذا ما يحققه الله تعالى على يد خاتمهم و خاتم الأئمة الاثنى عشر الأوصياء أى المهدي الذى وعد الله به الامم : «و لذلك يرضى عنه ساكن الأرض و ساكن السماء» كما أخبر عن ذلك جدّه رسول الله (صلّى الله عليه و آله)^{٣٧٩}.

(١) اثبات الهداة: ٣ / ٥٢٤.

(٢) مستدرک الحاكم: ٤ / ٤٦٥، فتن ابن حماد: ٩٩.

ص: ٢٣١

الفصل الثالث قبسات من تراث الإمام المهدي (عليه السلام)

من كلامه فى التوحيد و نبذ الغلو

^{٣٧٧} (٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق 3 / 313، تهذيب الأحكام: 7 / 178.

^{٣٧٨} (١) إثبات الهداة: 3 / 524.

^{٣٧٩} (٢) مستدرک الحاكم: 4 / 465، فتن ابن حماد: 99.

«إن الله تعالى هو الذى خلق الأجسام و قسم الارزاق، لأنه ليس بجسم و لا حالّ فى جسم، ليس كمثله شىء و هو السميع العليم، و أما الأئمة (عليهم السلام) فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق و يسألونه فيرزق إيجابا لمسألتهم و إعظاما لحقهم»^{٣٨٠}.

فى علة الخلق و بعث الأنبياء و تعيين الأوصياء

يا هذا يرحمك الله، إنّ الله تعالى لم يخلق الخلق عبثا، و لا أهملهم سدى، بل خلقهم بقدرته و جعل لهم أسماعا و أبصارا و قلوبا و ألبابا، ثمّ بعث إليهم النّبيّين (عليهم السلام) مبشّرين و منذرين، يأمرونهم بطاعته و ينهونهم عن معصيته، و يعرفونهم ما جهلوه من أمر خالقهم و دينهم، و أنزل عليهم كتابا و بعث إليهم ملائكة، يأتين بينهم و بين من يعثّم إليهم بالفضل الذى جعله لهم عليهم، و ما آتاهم من الدلائل الظاهرة و البراهين الباهرة و الآيات الغالبة، فمنهم من جعل النّار عليه بردا و سلاما، و اتخذته خليلا، و منهم من كلّمه تكليما، و جعل عصاه ثعبانا مبيّنا، و منهم من أحيى الموتى بإذن الله، و أبرأ الأكمه و الأبرص بإذن الله، و منهم من علّمه منطق الطّير و أوتى من كلّ شىء ثمّ بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله رحمة للعالمين،

(١) غيبة الطوسي: ١٧٨، احتجاج الطبرسي: ٢ / ٤٧١، إثبات الهداء: ٣ / ٧٥٧.

ص: ٢٣٢

و تمّم به نعمته، و ختم به أنبياءه، و أرسله إلى النّاس كافّة، و أظهر من صدقه ما أظهر، و بيّن من آياته و علاماته ما بيّن، ثمّ قبضه صلّى الله عليه و آله حميدا فقيدا سعيدا، و جعل الأمر بعّ ده إلى أخيه و ابن عمّه و وصيّّه و وارثه علىّ بن أبى طالب (عليه السلام)، ثمّ إلى الأوصياء من ولده واحدا واحدا، أحيى بهم دينه، و أتمّ بهم نوره، و جعل بينهم و بين إخوانهم و بنى عمّهم و الأدنين فالأدنين من ذوى أرحامهم فرقانا بيّنا يعرف به الحجّة من المحجوج، و الإمام من المأموم، بأن عصمهم من الذّنوب، و برّاهم من العيوب، و طهّهم من الدّنس، و نزّههم من اللّبس، و جعلهم خزّان علمه، و مستودع حكمته، و موضع سرّه، و أيّدهم بالدلائل، و لو لا ذلك لكان النّاس على سواء، و لا دعى أمر الله عزّ و جلّ كلّ أحد، و لما عرف الحقّ من الباطل، و لا العالم من الجاهل^{٣٨١}.

فى مقام الأئمة (عليهم السلام)

«الذى يجب عليكم و لكم أن تقولوا إنّا قدوة الله و أئمّة، و خلفاء الله فى أرضه و اماناؤه على خلقه، و حججه فى بلاده، نعرف الحلال و الحرام و نعرف تأويل الكتاب و فصل الخطاب»^{٣٨٢}.

فى انتظام نظام الإمامة و عدم خلو الأرض من الحجّة

^{٣٨٠} (١) غيبة الطوسي: 178، احتجاج الطبرسي: 2 / 471، إثبات الهداء: 3 / 757.

^{٣٨١} (١) بحار الأنوار: 53 / 194، معجم أحاديث الإمام المهدي: 4 / 382.

^{٣٨٢} (2) تفسير العياشي: 1 / 16، معجم أحاديث الإمام المهدي: 4 / 467.

و من رسالة له الى سفيريه العمرى و ابنه : «وَقَفَّكُمَا اللَّهَ لَطَاعَتَهُ، وَ ثَبَّتَكُمَا عَلَى دِينِهِ، وَ أَسْعَدَكُمَا بِمَرْضَاتِهِ، انْتَهَى إِلَيْنَا مَا ذَكَرْتُمَا أَنَّ المِشْمَى أَخْبَرَكُمَا عَنِ المَخْتَارِ وَ مَنَظَرَاتِهِ مِنْ لَقَى، وَ احْتِجَاجِهِ بِأَنَّهُ لَا خَلْفَ لِغَيْرِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ وَ تَصَدِيقِهِ إِيَّاهُ وَ فَهِمْتُ جَمِيعَ مَا كَتَبْتُمَا بِهِ مِمَّا قَالَ أَصْحَابُكُمَا عَنْهُ، وَ أَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَمَى بَعْدَ الْجَلَاءِ، وَ مِنَ الضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهُدَى، وَ مِنَ مَوْبِقَاتِ الْأَعْمَالِ، وَ مَرَدِيَّاتِ الْفِتَنِ، فَإِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: **الْمُ* أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا**

(١) بحار الأنوار: ١٩٤ / ٥٣، معجم أحاديث الإمام المهدي: ٣٨٢ / ٤.

(٢) تفسير العياشي: ١٦ / ١، معجم أحاديث الإمام المهدي: ٤٦٧ / ٤.

ص: ٢٣٣

أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ^{٣٨٣} كيف يتساقطون في الفتنة، و يترددون في الحيرة، و يأخذون يميناً و شمالاً، فارقوا دينهم، أم ارتابوا، أم عاندوا الحق، أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة و الأخبار الصحيحة، أو علموا ذلك فتناسوا، ما يعلمون أن الأرض لا تخلو من حجةٍ إمّا ظاهراً و إمّا مغموراً.

أو لم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبينهم (صلى الله عليه و آله) واحداً بعد واحد إلى أن أفضى الأمر بأمر الله عزّ و جلّ إلى الماضي يعنى الحسن بن على (عليهما السلام) - فقام مقام آبائه (عليهم السلام) يهتدى إلى الحق و إلى طريق مستقيم، كانوا نورا ساطعاً، و شهاباً لامعاً، و قمراً زاهراً، ثم اختار الله عزّ و جلّ له ما عنده فمضى على منهج آبائه (عليهم السلام) حذو النعل بالنعل على عهد عهده، و وصية أوصى بها إلى وصي ستره الله عزّ و جلّ بأمره إلى غاية، و أخفى مكانه بمشيئة للقضاء السابق و القدر النافذ، و فينا موضعه، و لنا فضله، و لو قد أذن الله عزّ و جلّ فيما قد منعه عنه و أزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حلية، و أبين دلالة، و أوضح علامة، و لأبان عن نفسه و قام بحجته، و لكن أقدار الله عزّ و جلّ لا تغالب و إرادته لا تردّ و توفيقه لا يسبق، فليدعوا عنهم اتباع الهوى، و ليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه، و لا يبحثوا عما ستر عنه م فيأثموا، و لا يكشفوا ستر الله عزّ و جلّ فيندموا، و ليعلموا أن الحق معنا و فينا، لا يقول ذلك سوانا إلّا كذاب مفتر، و لا يدعيه غيرنا إلّا ضالّ غويّ، فليقتصروا منا على هذه الجملة دون التفسير، و يقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله^{٣٨٤}.

تقوى الله و النجاء من الفتن

يقول (عليه السلام) في رسالته الثانية للشيخ المفيد و هي من الرسائل التي صدرت عنه في غيبته الكبرى : «... فلتكن حرسك الله بعينه التي لا تنام أن تقابل لذلك فتنة تسبل نفوس قوم حرثت باطلا لاسترهاب المبطلين و يبتهج لدمارها المؤمنون، و يحزن

(١) العنكبوت (٢٩): ١ - ٢.

^{٣٨٣} (١) العنكبوت (٢٩): ١ - ٢.
^{٣٨٤} (٢) كمال الدين: ٥١٠، بحار الأنوار: ١٩٠ / ٥٣، معجم أحاديث المهدي: ٢٨٧ / ٤.

(٢) كمال الدين: ٥١٠، بحار الأنوار: ٥٣ / ١٩٠، معجم أحاديث المهدي: ٢٨٧ / ٤.

ص: ٢٣٤

لذلك المجرمون، و آية حركتنا من هذه اللوثة حادثة بالحرمة المعظم من رجس منافق مذمم، مستحلّ للدّم المحرم، يعتمد بكيدة أهل الإيمان و لا يبلغ بذلك غرضه من الظلم لهم و العدوان، لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض و السماء، فلتطمئن بذلك من أولياتنا القلوب، و ليثقوا بالكفاية منه، و إن راعتهم بهم الخطوب، و العاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهي عنه من الذنوب .

و نحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين أيّذك الله بنصره الذي أيد به السلف من أولياتنا الصالحين، أنه من اتقى ربه من إخوانك في الدين و أخرج ممّا عليه إلى مستحقّيه، كان آمنة من الفتنة المبطلة، و محنها المظلمة المضلة و من بخل منهم بما أعاره الله من نعمته على من أمره بصلته، فإنه يكون خاسرا بذلك لا و لاه و آخرته، و لو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ...»^{٣٨٥}.

رعايته للمسلمين

«... فإننا نحيط علما بأبنائكم و لا يعزب عنا شيء من أخباركم و معرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، و نبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إننا غير مهملين لمراعاتكم، و لا ناسين لذكركم، و لو لا ذلك لنزل بكم اللأواء و اصطلمكم الأعداء فاتقوا الله جلّ جلاله و ظاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم يهلك فيها من حمّ أجله و يحمى عنها من أدرك أمله، و هي أمارة لأزوف حركتنا و مبائتكم بأمرنا و نهينا، و الله متمّ نوره و لو كرّه المشركون»^{٣٨٦}.

(١) احتجاج الطبرسي: ٢ / ٤٩٨.

(٢) احتجاج الطبرسي: ٢ / ٤٩٥.

ص: ٢٣٥

الاستعداد الدائم للظهور

فليعمل كلّ امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، و يتجنّب ما يدينه من كراهتنا و سخطنا فإن أمرنا بغتة فجاءة حين لا تنفعه توبة و لا ينجيّه من عقابنا ندم على حوبة و الله يلهمكم الرشد، و يلطف لكم في التوفيق برحمته^{٣٨٧}.

نماذج من أجوبته القصيرة

^{٣٨٥} (١) احتجاج الطبرسي: ٢ / 498.

^{٣٨٦} (٢) احتجاج الطبرسي: ٢ / 495.

^{٣٨٧} (١) احتجاج الطبرسي: ٢ / 495.

و من أجوبته (عليه السلام) على أسئلة اسحاق بن يعقوب : «أما ما سألت عنه أرشدك الله و ثبتك من أمر المنكرين لى من أهل بيتنا و بنى عمنا فأعلم أنه ليس بين الله عز و جل و بين أحد قرابة، و من أنكرنى فليس منى و سبيله سبيل ابن نوح، أما سبيل عمى جعفر و ولده فسبيل إخوة يوسف (عليه السلام) ...

و أما أموالكم فما تقبلها إلّا لتطهروا، فمن شاء فليصل و من شاء فليقطع ... و أما ظهور الفرج فإنه الى الله تعالى ذكره و كذب الوقتون ... و أما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلّا لما طاب و طهر ... و أكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن فى ذلك فرجكم...»^{٣٨٨}.

نماذج من أدعيته و زياراته

من دعائه للمؤمنين عامة : «إلهى بحق من ناجاك، و بحق من دعاك فى البرّ و البحر، تفضل على فقراء المؤمنين و المومنات بالغناء و الثروة، و على مرضى المؤمنين و المومنات بالشفاء و الصّحة، و على أحياء المؤمنين و المومنات باللطف و الكرامة، و على أموات المؤمنين و المومنات بالمغفرة و الرّحمة، و على

(١) احتجاج الطبرسى: ٢ / ٤٩٥.

(٢) كمال الدين: ٤٨٣، غيبة الطوسى: ١٧٦.

ص: ٢٣٦

غرباء المؤمنين و المومنات بالردّ إلى أوطانهم سالمين غانمين، بمحمد و آله أجمعين»^{٣٨٩}.

من دعائه فى قنوته : «... و أسئلك باسمك الذى خلقت به خلقك و رزقتهم كيف شئت و كيف شاؤوا، يا من لا يغيّره الأيام و الليالى أدعوك بما د عاك به نوح حين ناداك فأنجيته و من معه و أهلك قومه، و أدعوك بما دعاك ابراهيم خليلك حين ناداك فأنجيته و جعلت النار عليه بردا و سلاما، و أدعوك بما دعاك به موسى كليمك حين ناداك ففلقت له البحر فأنجيته و بنى إسرائيل، و أغرقت فرعون و قومه فى اليم، و أدعوك بما دعاك به عيسى روحك حين ناداك، فنجّيته من أعدائه و إليك رفعته، و أدعوك بما دعاك به حبيبك و صفيك و نبيك محمد صلى الله عليه و آله، فاستجبت له و من الأحزاب نجّيته، و على أعدائك نصرته، و أسئلك باسمك الذى إذا دعيت به أجبت، يا من له الخلق و الأمر، يا من أحاط بكلّ شىء علما، يا من أحصى كلّ شىء عددا، يا من لا يغيّره الأيام و الليالى، و لا تتشابه عليه الأصوات، و لا تخفى عليه اللغات، و لا ييرمه إلحاح الملحّين.

أسئلك أن تصلّى على محمد و آل محمد خيرتك من خلقك، فصلّ عليهم بأفضل صلواتك، و صلّ على جميع النّبیین و المرسلين الذين بلغوا عنك الهدى، و عقدوا لك المواثيق بالطّاعة، و صلّ على عبادك الصّالحين، يا من لا يخلف الميعاد أنجز لى ما وعدتتى، و اجمع لى أصحابى، و صرّهم، و انصرنى على أعدائك و أعداء رسولك، و لا تخيّب دعوتى، فإنّى

^{٣٨٨} (٢) كمال الدين: 483، غيبة الطوسى: 176.

^{٣٨٩} (١) مهج الدعوات للسيد ابن طاووس: 295 الصحيفة المهدية للفيض الكاشاني: 112.

عبدك و ابن عبدك، ابن أمتك، أسير بين يديك، سيدي أنت الذي مننت عليّ بهذا المقام، و تفضلت به عليّ دون كثير من خلقك، أسئلك أن تصلي علي محمد و آل محمد، و أن تنجز لي ما وعدتني، إنك أنت الصّ اديق، و لا تخلف الميعاد، و أنت علي كل شيء قدير»^{٣٩٠}.

(١) مهج الدعوات للسيد ابن طاووس: ٢٩٥ الصحيفة المهدية للفيض الكاشاني: ١١٢.

(٢) مهج الدعوات: ٦٨.

ص: ٢٣٧

من صلواته علي النبي (صلى الله عليه و آله): «اللهم صلّ علي محمد سيّد المرسلين، و خاتم النبيين، و حجّة ربّ العالمين، المنتجب في الميثاق، المصطفى في الظلال، المطهر من كلّ آفة، البري ء من كلّ عيب، المؤمل للنّجاء، المرتجى للشفاعة، المفوض إليه في دين الله ...»^{٣٩١}.

نماذج من زيارته: «الله أكبر الله أكبر، لا الله إلّا الله و الله أكبر، و لله الحمد، الحمد لله الذي هدانا لهذا، و عرفنا أوليائه و أعداءه، و وقفنا لزيارة أئمتنا و لم يجعلنا من المعاندين الناصبين و لا من الغلاة المفوضين و لا من المرتابين المقصرين، السّلام علي وليّ الله و ابن أوليائه، السّلام علي المدّخر لكرامة [أوليائه] الله و بوار أعدائه السّلام علي النّور الذي أراد أهل الكفر إطفاءه، فأبى الله إلّا أن يتمّ نوره بكرههم و أمده بالحياة حتّى يظهر علي يده الحقّ برغمهم، أشهد أن الله اصطفاك صغيرا و أكمل لك علومه كبيرا، و أنّك حيّ لا تموت حتّى تبطل الحبّ و الطّاغوت.

اللهم صلّ عليه و علي خدامه و أعوانه، علي غيبته و نأيه، و استره سترا عزيزا و اجعل له معقلا حريزا و اشدّد اللهم و طأئك علي معانديه، و احرس مواليه و زائريه . اللهم كما جعلت قلبي بذكره معمورا، فاجعل سلاحى بنصرته مشهورا و إن حال بيني و بين لقائه الموت الذي جعلته علي عبادك حتما مقضيا و أقدرت به علي خليقتك رغما، فابعثنى عند خروجه، ظاهرا من حفرتي، مؤتزا كفني، حتّى أجاهد بين يديه، في الصّف الذي أثبتت علي أهله في كتابك، فقلت **كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**.

اللهم طال الانتظار، و شمت بنا ال فجّار، و صعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليّك الميمون، في حياتنا و بعد المنون، اللهم إني أدين لك بالرجعة، بين يدي صاحب هذه البقعة، ألغوث ألغوث، يا صاحب الزّمان، قطعت في وصلتك الخلان، و هجرت

(١) ضمن صلوات طويلة علي النبي و أوصيائه (عليهم السّلام)، غيبة الطوسي: ١٦٥، الصحيفة المهدية: ٥٣.

ص: ٢٣٨

^{٣٩٠} (٢) مهج الدعوات: 68.
^{٣٩١} (١) ضمن صلوات طويلة علي النبي و أوصيائه (عليهم السّلام)، غيبة الطوسي: 165، الصحيفة المهدية: 53.

لزيارتك الأوطان، و أخفيت أُمري عن أهل البلدان لتكون شفيعا عند ربك و ربّي، و إلى آبائك موالىّ فى حسن التوفيق،
و إسباغ النعمة علىّ، و سوق الإحسان إلىّ.

اللّهم صلّ على محمّد و على آل محمّد، أصحاب الحقّ، و قادة الخلق، و استجب منّى ما دعوتك، و أعطني ما لم أنطق به
فى دعائى، و من صلاح دينى و دنياى، إنّك حميد مجيد، و صلّى الله على محمّد و آله الطّاهرين.

ثمّ ادخل الصّفة فصلّ ركعتين و قل: اللّهمّ عبدك الزّائر فى فناء ولىك المزور، الذى فرضت طاعته على العبيد و الأحرار، و
أنقذت به أولياءك من عذاب النّار، اللّهمّ اجعلها زيارة مقبولة ذات دعاء مستجاب من مصدّق بوليّك غير مرتاب، اللّهمّ لا
تجعله آخر العهد به و لا بزيارته، و لا تقطع أثرى من مشهده، و زيارة أبيه و جدّه، اللّهمّ اخ لف علىّ نفقتى، و انفعنى بما
رزقتنى، فى دنياى و آخرتى و لإخوانى و أبوىّ و جميع عترتى، أستودعك الله أيّها الإمام الذى يفوز به المؤمنون و يهلك
على يديه الكافرون المكذبون»^{٣٩٢}.

(١) مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: ٣٢٧، الصحيفة المهدية: ١٧٣، معجم أحاديث المهدي: ٤ / ٤٩١.

ص: ٢٣٩

الفهرس التفصيلي

فهرس اجمالي ٥

مقدمة المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السّلام ٧

الباب الأوّل:

الفصل الأوّل: الإمام المهدي المنتظر عليه السّلام فى سطور ١٧

الفصل الثّانى: المهدي الموعود و غيبته فى بشارات الأديان ٢١

البشارات بالمنقذ فى الكتب المقدسة ٢٢

رسوخ الفكرة فى الديانتين اليهودية و النصرانية ٢٣

الإيمان بالمصلح العالمى فى الفكر غير الدينى ٢٥

طول عمر المصلح فى الفكر الانسانى ٢٦

الإيمان بالمهدي عليه السّلام تجسيد لحاجة فطرية ٢٧

^{٣٩٢} (١) مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: 327، الصحيفة المهدية: 173، معجم أحاديث المهدي: 4 / 491.

موقف الفكر الانساني من غيبة المهدي عليه السلام ٢٨

الفكر الديني يؤمن بظهور المصلح العالمي بعد غيبة ٢٩

الاختلاف في تشخيص هوية المنقذ العالمي ٣٠

الخط بين البشارات و تأويلها ٣٢

منهج لحل الاختلاف ٣٢

المهدي الإمامي و حل الاختلاف ٣٣

البشارات السماوية لا تنطبق على غير المهدي الإمامي ٣٧

البشارات و غيبة الإمام الثاني عشر ٣٨

ص: ٢٤٠

البشارات و خصوصيات المهدي الإمامي ٣٩

البشارات و أوصاف المهدي الإمامي ٤١

الاهتداء الى هوية المنقذ على ضوء البشارات ٤٢

الاستناد الى بشارات الكتب السابقة و مشكلة التحريف ٤٣

الاستناد الى ما صدقه الاسلام من البشارات ٤٥

تأثير البشارات في صياغة العقيدة المهدوية ٤٦

نتائج البحث ٤٨

الفصل الثالث: المهدي الموعود و غيبته في القرآن الكريم ٥٣

١- عدم خلو الزمان من الإمام ٥٥

الإمام المنقذ من الضلالة ٥٨

المواصفات القرآنية لإمام الهدى ٥٩

مصدق الإمام في عصرنا الحاضر ٦١

٢- في كل زمان إمام شهيد على امته ٦٢

صفات الشهيد الإمام ٦٤

الشهيد عنده علم الكتاب ٦٦

٣- لا يخلو زمان من هاد الى الله بأمره ٧٠

معنى «الهادى» فى القرآن ٧٠

الهادى منصوب من الله ٧٤

الفصل الرابع: المهدي الموعود و غيبته فى المتفق عليه من السنة ٧٧

١- حديث الثقلين ٧٨

اللفظ المتواتر: كتاب الله و عترتى ٨٠

دلالات الحديث على وجود الإمام ٨٢

ص: ٢٤١

مصدق أهل البيت عليهم السلام ٨٣

عصمة الإمام و توفر شروط الحديث ٨٤

مصدق الحديث فى العصر الحاضر ٨٦

٢- احاديث الخلفاء الاثنى عشر ٨٧

الفاظ الأحاديث ٨٧

دلالاتها على وجود الإمام المهدي عليه السلام ٨٩

ترابط أحاديث حجة الوداع ٩٠

مصدق الخلفاء الاثنى عشر ٩١

دراسة الأحاديث مستقلة ٩٢

دلالة الواقع التاريخي ٩٣

اتصال وجود الخلفاء الاثنى عشر ٩٥

أئمة العترة هم المصدق الوحيد ٩٦

الاتفاق على أن المهدي خاتم الخلفاء الاثنى عشر ٩٩

٣- حديث الاممة الظاهرة القائمة بأمر الله ٩٩

٤- أحاديث عدم خلو الزمان من الإمام القرشي المنقذ من الميته الجاهلية ١٠٤

معنى الأمر في الكتاب و السنة ١٠٥

الباب الثاني:

الفصل الأول: نشأة الإمام المهدي عليه السلام ١٠٩

تاريخ الولادة ١٠٩

تواتر خبر ولادته عليه السلام ١١٢

ص: ٢٤٢

كيفية و ظروف الولادة ١١٣

الإخبار المسبق عن خفاء الولادة ١١٤

خفاء الولادة علامة المهدي الموعود ١١٦

الفصل الثاني: مراحل حياة الإمام المهدي عليه السلام ١١٩

الفصل الثالث: الإمام المهدي في ظل أبيه عليهما السلام ١٢١

دور الإمام العسكري عليه السلام في إعلان الولادة ١٢١

حضوره وفاة أبيه عليه السلام ١٢٣

الباب الثالث الفصل الأول: الغيبة الصغرى للإمام المهدي عليه السلام ١٢٧

تسلّمه مهام الإمامة صغيرا ١٢٧

صلاته على أبيه و إعلان وجوده ١٢٩

أهدافه عليه السلام من الصلاة على أبيه ١٣١

غيبتا الإمام المهدي عليه السلام ١٣٣

الفصل الثاني: اسباب الغيبة الصغرى و التمهيد لها ١٣٥

تمهيد النبي صلى الله عليه و آله و الائمة عليهم السلام لغيبة الإمام المهدي عليه السلام ١٣٧

فلسفة مرحلية الغيبة ١٤٣

تعقيب السلطة العباسية لخبر الإمام عليه السلام ١٤٤

الفصل الثالث: انجازات الإمام المهدي عليه السلام فى الغيبة الصغرى ١٤٧

إثبات وجوده و إمامته عليه السلام ١٤٧

إكمال ما تحتاجه الامّة من معارف الإسلام ١٤٨

تنشيت نظام النيابة ١٤٩

ص: ٢٤٣

حفظ الكيان الإيماني ١٥٢

إصدار الرسائل و التوقيعات ١٥٣

لقاء الإمام المهدي عليه السلام بأتباعه المؤمنين ١٥٥

إعلان انتهاء الغيبة الصغرى ١٥٨

الباب الرابع الفصل الأول: الغيبة الكبرى للإمام المهدي عليه السلام و أسبابها ١٦٣

الاطار العام فى لتحرك الإمام عليه السلام ١٦٣

علل الغيبة في الأحاديث الشريفة ١٦٤

١- استجماع تجارب الامم السابقة ١٦٧

٢- العامل الأمني ١٦٨

٣- السماح بوصول الحق للجميع لخروج ودائع الله ١٦٩

٤- التمهيد للاعدادى لجبل الظهور ١٦٩

٥- اتضاح عجز المدارس الاخرى ١٧٠

٦- حفظ روح الرفض للظلم ١٧١

٧- صلاح أمره و أمر المؤمنين به ١٧٢

٨- عدم توفر العدد المطلوب من الأنصار ١٧٢

الفصل الثاني: انجازات الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الكبرى ١٧٣

رعايته للكيان الاسلامي ١٧٣

حفظ الاسلام الصحيح و تسديد العمل الاجتهادي ١٧٤

تسديد الفقهاء في عصر الغيبة ١٧٧

أصحاب الإمام عليه السلام في غيبته الكبرى ١٧٨

ص: ٢٤٤

الالتقاء بالمؤمنين في غيبته الكبرى ١٧٩

ترسيخ الإيمان بوجوده ١٨٠

حضور موسم الحج ١٨٠

الفصل الثالث: تكاليف عصر الغيبة الكبرى ١٨٣

أهمية الانتظار ١٨٦

حقيقة الانتظار ١٨٨

شروط الانتظار ١٩٢

الانتظار و توقع الظهور الفوري ١٩٤

الباب الخامس الفصل الأول: علائم ظهور الإمام المهدي عليه السّلام ١٩٩

ملاحظات بشأن علائم الظهور ١٩٩

العلائم الحتمية و غير الحتمية ٢٠٠

اللغة الرمزية في احاديث العلامات ٢٠٠

أبرز علائم الظهور ٢٠١

زوال علل الغيبة ٢٠٣

الفصل الثاني: سيرة الإمام المهدي عليه السّلام عند الظهور ٢٠٧

خصائص الدولة المهدوية في القرآن الكريم ٢٠٨

١- اتمام النورى الإلهى و اظهار الإسلام ٢٠٨

٢- استخلاف صالحى المؤمنين ٢٠٩

٣- اقامة المجتمع التوحيدى الخالص ٢١٠

٤- تحقق الغاية من خلق النوع الإنسانى ٢١٠

ص: ٢٤٥

٥- انتهاء الردة عن الدين الحق ٢١١

تاريخ ظهور الإمام المهدي عليه السّلام ٢١٢

مكان ظهوره عليه السّلام و انطلاقته ثورته ٢١٢

وقفه عند خطبتي إعلان الثورة ٢١٤

إعلان اهداف الثورة ٢١٥

الاستجابة لاستنصاره و مبايعته ٢١٥

خروجه الى الكوفة و تصفية الجبهة الداخلية ٢١٦

دخوله بيت المقدس و نزول عيسى عليه السلام ٢١٧

قتل الدجال و انتهاء حاكمية الحضارات المادية ٢١٨

سيرته سيرة جدّه رسول الله صلّى الله عليه و آله ٢١٩

احياء السنّة و آثار النبي صلّى الله عليه و آله ٢٢٠

شدّته مع نفسه و رأفته بامته ٢٢٠

سيرته القضائية ٢٢١

سيرته تجاه الأديان و المذاهب ٢٢٢

محاربة البدع و نفى تحريف الغالين و المبطلين ٢٢٣

سيرته الادارية ٢٢٤

سيرته الجهادية ٢٢٤

سيرته المالية ٢٢٤

الصورة العامة للدولة المهدوية في النصوص الشرعية ٢٢٧

الفصل الثالث: قبسات من تراث الإمام المهدي عليه السلام ٢٣١

من كلامه في التوحيد و نبذ الغلو ٢٣١

في علّة الخلق و بعث الأنبياء و تعيين الأوصياء ٢٣١

ص: ٢٤٤

في مقام الائمة عليهم السلام ٢٣٢

في انتظام نظام الإمامة و عدم خلو الأرض من الحجّة ٢٣٢

تقوى الله و النجاة من الفتن ٢٣٣

رعايته للمسلمين ٢٣٤

الاستعداد الدائم للظهور ٢٣٥

نماذج من أجوبته القصيرة ٢٣٥

نماذج من ادعيته و زياراته ٢٣٥

الفهرس التفصيلي ٢٣٩^{٣٩٣}

ص: ٢٤٧

^{٣٩٣} گروه مؤلفان، اعلام الهداية- قم، چاپ: دوم، 1425 ه.ق.